مجلة قاريونس العلمية

تعنى بمختلف فروع المعرفة الإنسانية والتطبيقية

تصدر باللغة العربية

مجلة قاريونس العلمية

تعنى بمختلف فروع المعرفة الإنسانية والتطبيقية

تصدر باللغة العربية

هيئة التحرير

د. الهادي أبو لقمة :

د. سعد بن حميد :

د. أحمد القلاي :

د. سليمان الجروشي :

د. محمد خليفة الدناع :

د. أبو القاسم الطبولي :

أ. عبد الرحمن الشريدي :

المراسلات والمقالات: مجلة قاريونس العلمية - جامعة قاريونس

ص.ب: 1308 برق 40175 هاتف: 20148

محتويات العدد

هيئة التحرير 3

الافتتاحية 5

مكتبة جامعة قاريونس ودورها في الحفاظ على المخطوطات العربية الإسلامية

فرج ميلاد شمبش

ـ المكتبة المركزية ـ جامعة قاريونس 9

التطور الجيومورفولوجي لبعض أدوية الجبل الأخضر باستخدام أسلوب التحليل المورفومتري 35

د. فتحي أحمد الهرام ـ د. محمد مجدي تراب

نضال المرأة في الشعر العربي الحديث 67

د. محمد حامد الحضري

صفحات هامة في تايخ ليبيا 109

د. سليمان الباروني

حلم تحقيق إمارة مستقلة في الجبل الغربي ومعركة الأصابعة 1913 بقلم فرانشيسكو كورو 111

ترجمة وتعليق د. إبراهيم أحمد المهدوي

القرآن والرقابة الإدارية 139

د. ناجي محمد عبد الرزاق

دور الأسرة في الحد من ظاهرة وانحراف الأحداث 175

د. محجوب عطية الفائدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإفتتاحية

ستلاحظون ـ أعزاءنا القراء ـ أن هذا العدد من مجلتكم «مجلة قاريونس العلمية» حافل بالمقالات والأبحاث العلمية، وهذا راجع إلى مشاركتكم الفاعلة واهتمامكم بالنهوض العلمي والحركة الثقافية والمستوى الأكاديمي. وكلنا أمل أن تكون الأعداد القادمة وفق المستوى المتوخى، فلا تبخلوا علينا بآرائكم ومقترحاتكم حتى نكون دائماً عند حسن ظنكم.

والله الموفق

أسرة التحرير

- أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة وأسلوب جيد.
- أن يكون البحث قد كتب حديثاً ولم يسبق نشره.
- أن تتوافر في البحث الموضوعية والمنهج العلمي في البحث والتوثيق.
- يجب ألا تزيد صفحات البحث عن (٢٠) صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة.
- يتم تقييم البحوث التي ترد إلى المجلة من قبل متخصص وفقاً للأسس المتبعة، والبحوث لا تعاد إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تنشر.
- أن يتضمن البحث اسم كاتبه ثلاثياً، ومعلومات عن مجال تخصصه.
- أن يذكر الباحث ثبتاً بالمراجع التي رجع إليها في بحثه.
- البحوث والمقالات تعبر عن وجهة نظر أصحابها.

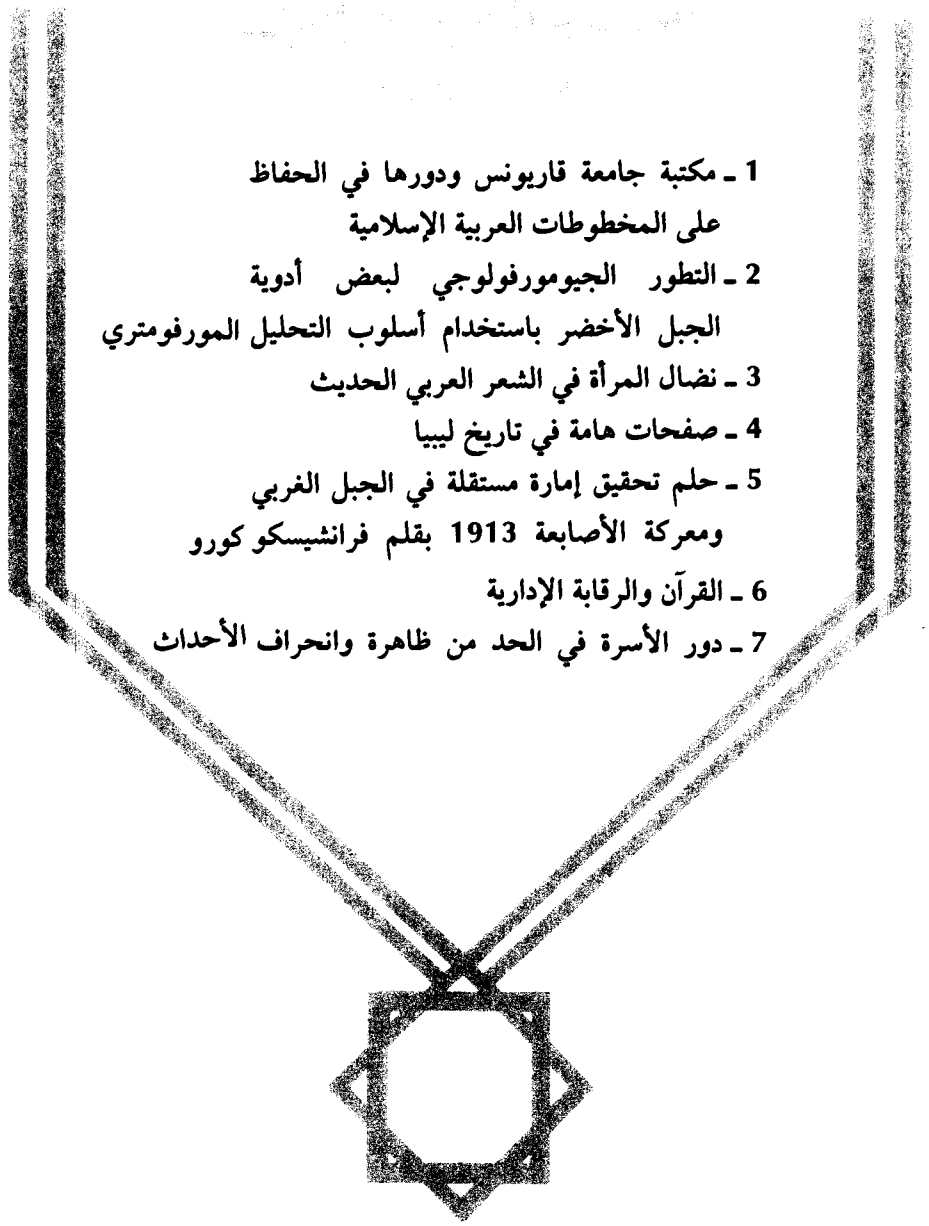

1 ـ مكتبة جامعة قاريونس ودورها في الحفاظ
على المخطوطات العربية الإسلامية

2 ـ التطور الجيومورفولوجي لبعض أدوية
الجبل الأخضر باستخدام أسلوب التحليل المورفومتري

3 ـ نضال المرأة في الشعر العربي الحديث

4 ـ صفحات هامة في تاريخ ليبيا

5 ـ حلم تحقيق إمارة مستقلة في الجبل الغربي
ومعركة الأصابعة 1913 بقلم فرانشيسكو كورو

6 ـ القرآن والرقابة الإدارية

7 ـ دور الأسرة في الحد من ظاهرة وانحراف الأحداث

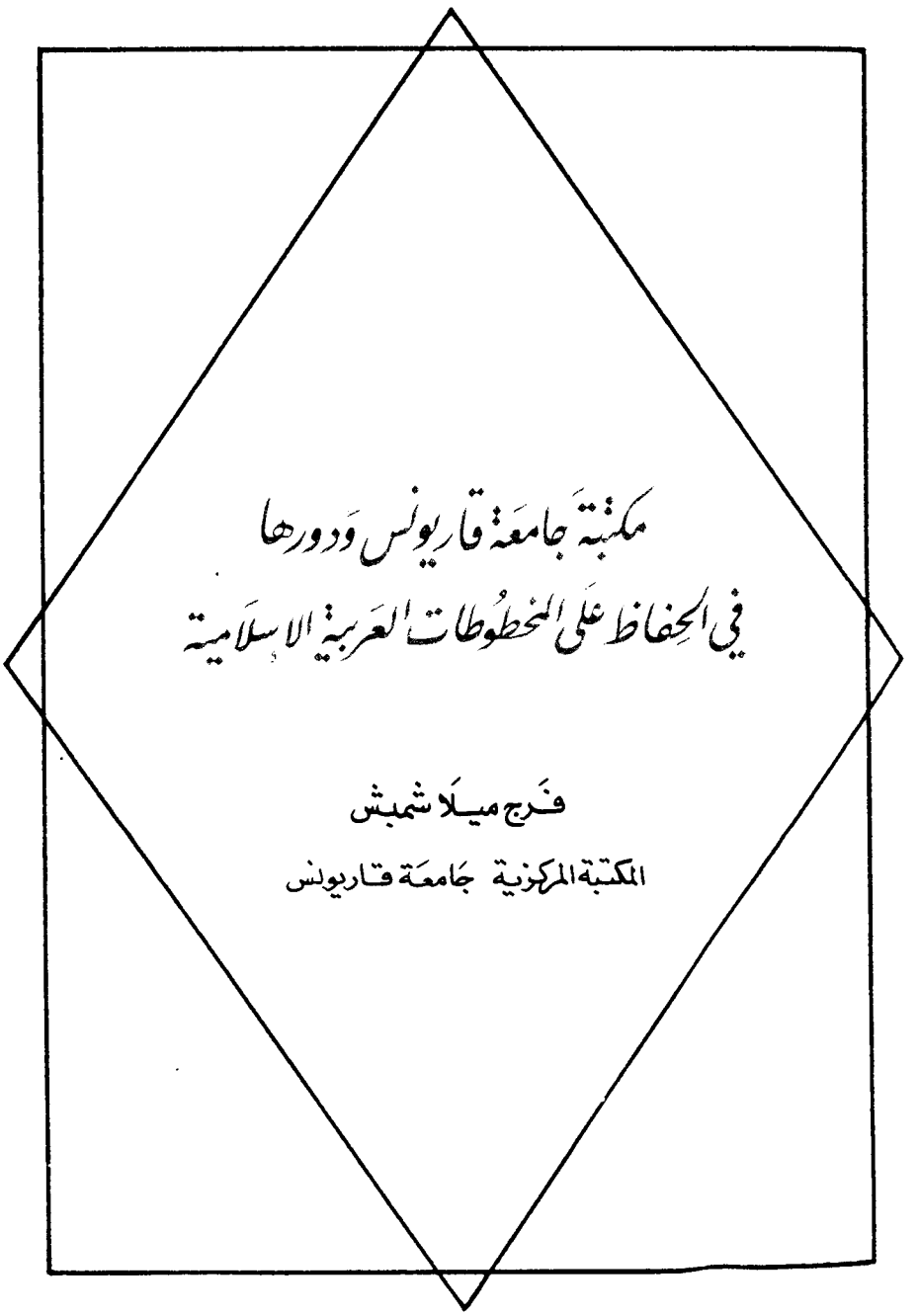

مكتبة جامعة قاريونس ودورها في الحفاظ على المخطوطات العربية الإسلامية

فرج ميلاد شمبش

المكتبة المركزية جامعة قاريونس

مكتبة جامعة قاريونس ودورها في الحفاظ على المخطوطات العربية الإسلامية

المخطوطات جزء كبير من التراث العربي الإسلامي، وهي تمثل ظاهرة حضارية إسلامية. فالحضارة تعرف: بأنها كل ما يتركه السلف للخلف من نواحٍ فكرية وثقافية ومادية. والمخطوطات تمثل هاتين الظاهرتين معاً، حيث تمثل الناحية الثقافية بما تحويه من فكر السابقين، وتمثل الناحية المادية في الحضارة، بما وصل إلى أيدينا من المواد التي تستعمل في الكتابة مثل الجلود والورق والمداد وغير ذلك.

والمخطوط العربي ثروة علمية وقومية نفيسة لا تقدر بثمن، ولنا مثل في هذا التراث التاريخي العريق، إذ يجعلنا ندرك أمجادنا، ونتعرف على فكر أجدادنا، لنفتخر بعقولهم وحضارتهم، والواجب يحتم علينا، ألاّ نهمل صيانتها والحفاظ عليها والعناية بها.

وعلى الرغم مما حل بالوطن العربي الإسلامي على مر العصور من كوارث طبيعية أو بشرية، كالاستعمار الذي يعتبر سبباً رئيسياً في ضياع الكثير منها، فإن معظم أقطاره لا زالت تزخر بحصيلة قيمة ونادرة من هذا التراث الفريد.

والباحث المنصف في تاريخ البشرية وتطوراتها الحضارية لا يسعه إلاّ أن يقف وقفة إجلال وإكبار، واعتراف بما قدمه العرب المسلمون من علم وفكر

وفقه إلى البشرية قاطبة عبر تاريخها. فعلوم المسلمين هي التي أنارت لأوربا طريق الحياة، وأرست دعائم حضارتها بعد أن كانت سادرة في دياجير الظلام، تلك العلوم التي خلّفها العرب المسلمون في الأندلس وجنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط، وما رجع به الصليبيون بعد حملاتهم على ديار الإسلام من علم وثقافة في مختلف ضروب الحياة، بعد أن عاثوا فساداً في تلك الديار زهاء قرنين من الزمان.

وللتراث الإسلامي خصائص عدة أهمها ثلاث هي: التكامل[1] والتنوع والتجانس. فهو تراث متكامل «جمع أحكام الوحي الإلهي ونتاج الفكر الإنساني، وفي ظلاله ٱلْتقى العلم بالإيمان، وامتزجت الدنيا بالدين، فلا أدب عن علم، ولا دين عن دولة، ولا عقل عن نقل. وهو تراث متجانس نجد أن روحه واحدة، فحين ننظر إلى علم الفقه نجد أن الفقيه يعتمد على قواعد الاستنباط التي وضعها له علم أصول الفقه، وحين ننظر إلى علوم اللغة العربية نجد أنها تشكل الأرضية الفكرية للمفسر والفقيه، وحين ننظر إلى هذه العلوم في مجملها نجد أنها مؤسسة على عقيدة التوحيد تجمع أركانها، فالعلوم الإسلامية كل متجانس يخرج من سراج واحد، وتهدف إلى تحقيق هدف واحد، هو تعبد الإنسان لخالقه عزّ وجلّ وتعمير أرضه العمارة المثلى.

وهو تراث متنوع[2]: يجمع بين علوم اللغة العربية وآدابها والشريعة والطب وتفريعاته والفيزياء ومباحثها، والكيمياء وتطورات موادها إلى غير ذلك. فنجد فيه فقه مالك، ورواية البخاري، وتفسير ابن عباس، وكلام الماتريدي، وأدب الجاحظ، ومعجم الخليل، وشعر المتنبي، وفلسفة ابن رشد، وتصوف الغزالي، وطب ابن سينا، وفيزياء ابن الهيثم، وخط ابن مقلة، وألحان الموصلي، وتحليل ابن خلدون جنباً إلى جنب[2].

وليس أدل على مكانة هذا التراث الفريد، وأثره في تقدم الحياة العلمية

---

(1) د. يوسف القرضاوي، بينات الحل الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988، ص 111 ـ 112.
(2) د. القرضاوي، نفس المصدر، ص 112.

والحضارية، من تكالب دول العالم عليه وتنافسها في الحصول على أكبر قدر منه، فلا تكاد تخلو مكتبة أو متحف في العالم من مخطوطات هذا التراث الفريد.

وتأتي المكتبة المركزية في جامعة قاريونس بين طليعة المكتبات في جمع هذا التراث المتناثر ولَمِّ أشتاته. فلقد تجمعت الأفكار حول وجوب الجمع والحفظ، ثم إن الجامعة بثقلها العلمي والاجتماعي هي الأقدر على مهمة التجميع والالتزام بالحفاظ عليه؛ لتوفر مصادر المعرفة لأبنائها من أساتذة وطلبة دراسات عليا وباحثين، مشاركة منها في حركة إحياء التراث العربي الإسلامي داخل البلاد وخارجها.

وهكذا، انطلقت الجامعة منذ بداية السبعينيات نحو تحقيق هذه المهمة، بعد أن تبين عدم وجود جهة داخل البلاد تهتم بذلك. وكانت مصادر التجميع كالآتي:

1 ـ من داخل البلاد: بالشراء من بعض الأشخاص والتبادل والتصوير من البعض الآخر. فمع بداية السبعينيات قامت المكتبة بحملة شراء وتصوير من داخل البلاد، وتمكنت من الحصول على أعداد كبيرة من المصورات في منطقة الجبل الغربي وعلى بعض الأصول، كما تحصلت على حوالى 900 مخطوط من مكتبة الجغبوب التي سعت الجامعة إلى حفظ مجموعاتها.

2 ـ من خارج البلاد: بالشراء من تركيا وجمهورية مصر العربية والجمهورية اليمنية، ومن المكتبة الوطنية بباريس ويوغسلافيا، ومن معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة، حيث تم التعاون في مجال تصوير المخطوطات، وفق برنامج عملي وُضع بين المكتبة المركزية والمعهد منذ سنة 1972 واستمر لفترة، غير أن الظروف التي أدت إلى قطع العلاقات مع جمهورية مصر العربية، وانتقال الجامعة العربية إلى تونس، والمعهد إلى الكويت أوقفت هذا التعاون، ولكن سيستأنف هذا التعاون بعد عودة العلاقات إلى ما كانت عليه.

عدد المخطوطات التي تمتلكها المكتبة من الأصول 2750 مجلداً تحتوي

على أكثر من 3500 عنوان، على اعتبار أن كل مجلد يحوي عدة عناوين. وعدد المخطوطات المصورة حوالى 1000 مخطوط، جزء منها مصور على ورق، والجزء الأكبر على الشريط المصغر «الميكروفيلم».

تهتم المكتبة المركزية أيضاً بجمع كتب التراث العربي الإسلامي، ولهذا الغرض أنشىء قسم خاص لحفظ المخطوطات والوثائق النادرة، وزود بكل الأجهزة ألفنية اللازمة من آلات العرض وطبع الأشرطة المصغرة «الميكروفيلم»، وقاعات عرض المخطوطات الأصل منها والمصوّر، وتستخدم الأساليب الحديثة في حفظ هذه الوثائق حيث وضعت داخل حجرة خاصة مزودة بجهاز الإنذار المبكر خوفاً من تعرضها للسرقة، ويتم الإطفاء ذاتياً في حالة حدوث حريق. وكل مجلد يحفظ في علبة خاصة.

وتضم المكتبة ذخيرة قيمة ونادرة من المخطوطات العربية في مختلف فروع المعرفة. ونذكر من المخطوطات النادرة على سبيل المثال.

1 ـ أمالي ثعلب، لأحمد بن يحيى الشيباني المعروف بثعلب المتوفى سنة 891 هـ/ 904 م، كتبها أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سعيد الشهرياني سنة 683 هـ، وقرأها على محمد بن موسى الحازمي في نفس السنة مصححاً ومعارضاً بالأصل.

2 ـ الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة، لمحمد بن أبي بكر التلمساني الشهير بالبّري المتوفي سنة 676 هـ/ 1271 م. يظهر أنها مسودة المؤلف وبخطه، نسخت في جزيرة منرقه، بالأندلس سنة 645 هـ، كتبت لخزانة الرئيس سعيد بن الحكم بن عمر بن الحكم القرشي.

3 ـ تاريخ دمشق «ثمانية أجزاء في مجلد واحد»، نسخة خزائنية نادرة، يوجد في نهاية كل جزء نصوص سماع نذكر منها نص سماع على مؤلفه، مؤرخ سنة 514 هـ في جامع دمشق.

4 ـ ديوان ابن حزم، نسخة نادرة ونفيسة كتبت في القرن السابع الهجري تقريباً.

5 ـ صفة الأولياء وعلاقته بالأشقياء، تأليف خليل بن أبي بكر أحمد الغزي، نسخت بخط مؤلفها في المدرسة الصلاحية بحلب سنة 771 هـ.

6 ـ شرح (اللباب في علم النحو للأسفرايني) تأليف محمد بن مسعود السيرافي القاني، نسخة جيدة، نسخت في بلدة شيراز سنة 712 هـ في حياة المؤلف.

7 ـ التبين على كتاب (المنتخب في أصول المذهب في الفقه الحنفي) تأليف أمير جانب بن أمير غازي الفارابي الاتقاني المتوفى سنة 758 هـ، نسخة نادرة كتبت في حياة مؤلفها سنة 733 هـ.

8 ـ الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تأليف المعاني بن زكريا النهرواني الجريري بن طرار، نسخة جيدة وكاملة، نسخت في القرن العاشر الهجري تقريباً.

9 ـ العمد في شرح (الزبد للبارزي الحموي)، تأليف أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي المتوفى سنة 816 هـ، نسخة نادرة، بها نص مقابلة على مؤلفها وبخطه سنة 815 هـ.

10 ـ الفصيح في اللغة، تأليف أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي، المتوفى سنة 291 هـ، بأوله نص قراءة للكاتب بن إسماعيل بن صالح بن عمران علي عتيق بن علي بن حسن الصنهاجي في 18 شعبان سنة 579 هـ، والكتاب بخط عتيق المذكور.

11 ـ السوابع في (شرح النوابغ الكلم للزمخشري) تأليف علي بن عبد الوهاب بن علاء الخيوقي أتمه سنة 792 هـ، نسخة نادرة وفي حالة جيدة.

12 ـ فتح اللطيف في شرح (أرجوزة الماكودي في التصريف)، تأليف عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفكوك المغربي المتوفى 1073 هـ، قال مؤلفه: [أو قد فرغت من مسودته غير مراجع لها ولا ناظر في مرقومها في يوم الأحد أوائل صفر في عام 1048 هـ] نسخة جيدة نسخت بخط مغربي.

13 ـ فقه اللغة وسر العربية، تأليف عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفى 429 هـ. نسخة نادرة وفي حالة جيدة، نسخت سنة 663 هـ.

ولم يقف جهد المكتبة المركزية عند الحصول على المخطوطات والحفاظ عليها، وإنما تعداها إلى تنظيم هذه المجموعات، طبقاً لأحدث النظم المعمول بها في فهرسة المخطوطات، وذلك لتسهيل الاستفادة من علومها ولتعم فائدتها.

ومساهمة من مكتب المخطوطات في هذه المكتبة في إحياء الكنوز المكنونة من تراث هذه الأمة، آل على نفسه القيام بحمل أمانة هذه المهمة العظيمة، فقام بإعداد ثلاثة أجزاء من الفهارس لهذه المخطوطات، لكنها لم تشهد النور حتى الآن، إذ لم تنشر للتداول كما هو الحال في الجامعات ومراكز البحث العلمي الأخرى، التي تقوم بطباعة فهارسها، ونشرها بين الباحثين والدارسين.

لذا، نهيب بالمسؤولين في هذه الجامعة، أن يولوا الاهتمام لهذه الفهارس، وأن يذللوا كافة العقبات التي تقف حائلاً دون طباعتها؛ لتشهد النور ويستفيد من ثمارها أبناء هذه الأمة، وتكون بإذن الله مفخرة لجامعة قاريونس ومكتبتها، علماً بأن العديد من الرسائل ترد إلينا من الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية والأشخاص يطلبون هذه الفهارس[3].

أما عن هذه الفهارس، فقد جرى في عام 1982ب1سحب على آلة الأوفست داخل المكتبة، وبأعداد محدودة. ويقع هذا الجزء في 182 صفحة من الحجم الكبير، ويصف 671 عنواناً، وهو يحتوي الموضوعات التالية:

1 ـ القرآن وعلومه: المصاحف الكريمة، القراءات، علوم القرآن، التفسير القرآني.

---

(3) د. عبد الله الشريف ومحمد اطوير، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق الليبية، الدار الجماهيرية للنشر، 1987. «أفرد الباحثان فصلاً كاملاً في هذا الكتاب تعريفاً بفهارس مخطوطات مكتبة مخطوطات جامعة قاريونس».

2 ـ الحديث وعلومه: علم الحديث، مصطلح الحديث.
3 ـ التوحيد «علم الكلام».

وفي عام 1983، تم إعداد الجزء الثاني من الفهرس على نفس الطريقة التي أعد بها الجزء الأول، ويقع هذا الجزء في 300 صفحة من الحجم الكبير، ويصف 795 عنواناً، ويشمل الموضوعات التالية:

1 ـ الفقه وأصوله.
2 ـ الفرائض.
3 ـ التصوف والمواعظ.
4 ـ الأدعية والأذكار.
5 ـ السيرة النبوية..

وفي سنة 1986 م تم إعداد الجزء الثالث، وهو جاهز، ولكنه لم يسحب كما هو الحال بالنسبة للجزأين السابقين، وهذا الأخير يقع في 338 صفحة من الحجم الكبير، ويصف 700 عنوان، ويتضمن المواضيع التالية:

1 ـ المعارف العامة.
2 ـ المنطق وآداب البحث.
3 ـ علوم اللغة العربية.
4 ـ الكيمياء وسر الحرف.
5 ـ الفلك والميقات وعلم الهيئة.
6 ـ الحساب والجبر.
7 ـ الأدب.
8 ـ الطب والصيدلة والبيطرة.
9 ـ التراجم والمناقب.
10 ـ التاريخ والجغرافيا والرحلات.

أما فيما يتعلق بالمخطوطات المصورة والبالغ عددها 1000 عنوان تقريباً، فقد بدأ العمل في فهرستها مع بداية هذا العام 1992 م، وسيكون لها بعون الله فهرس خاص بها.

ويتعاون المكتب مع بعض الكليات في التعريف بالمخطوطات وطرق حفظها وصيانتها وفهرستها: فعلى سبيل المثال يتم تدريب طلاب الدراسات العليا بقسم اللغة العربية شعبة اللغويات والأدبيات، وكذلك طلاب السنة الرابعة بنفس القسم. كما يستفيد طلبة قسمي التاريخ والمكتبات، وخاصة طلاب السنة الثالثة، حيث يتم تدريب الطلاب على كيفية فهرسة المخطوطات نظرياً وعملياً وطرق استعمال المراجع. كذلك يقدم المكتب خدماته لطلبة قسم الشريعة، وطلبة الدراسات العليا بكلية القانون.

بالإضافة إلى ما سبق، يقدم المكتب الخدمات للباحثين والدارسين والمهتمين بالتراث العربي الإسلامي، من أشخاص ومؤسسات داخل البلاد وخارجها، حيث يتعاون مكتب المخطوطات مع أغلب الجامعات العربية، ومعهد المخطوطات العربية بالكويت والقاهرة، ومركز المخطوطات والتراث والوثائق في الكويت، ومعهد التراث العلمي العربي، والمركز العلمي لإحياء التراث ببغداد، ومجمع اللغة العربية بدمشق، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، ومجمع اللغة العربية بالأردن، ومؤسسة الفرقان.

ونظراً لما تحمله هذه المخطوطات من قيمة علمية وتاريخية، فقد سجل منها أكثر من عشرين رسالة علمية للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، أو للاستعانة بها في البحث والدراسة. بعض هذه الرسائل نوقش في الجامعات الليبية والعربية، والبعض الآخر تحت الدراسة[4]. نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

1 ـ شرح الغرة في علم المنطق: وهي أول رسالة ماجستير أجيزت من كلية الآداب جامعة قاريونس، تأليف عيسى بن عبد الله الصفوي، دراسة وتحقيق فهمي أحمد عوض، إشراف الدكتور محمد بالروين. أجيزت الرسالة بتقدير امتياز سنة 1981 م.

(4) لمزيد من الإيضاح، انظر: فرج ميلاد شمبش، المخطوطات العربية في جامعة قاريونس، فهرستها ودورها في الدراسات العليا، بحث قدم للمؤتمر الأول للمخطوطات في ليبيا، مركز دراسات جهاد الليبيين، زليتن، 1988 م.

2 ـ كتاب المثلين، تأليف مسلّم بن محمد اللحجي ظناً، دراسة وتحقيق فيصل مفتاح الحداد، إشراف الدكتور مصطفى بوشعالة؛ أجيزت بتقدير امتياز سنة 1987 م.

3 ـ المجيد في إعراب القرآن المجيد، تأليف إبراهيم بن محمد السفاقس، دراسة وتحقيق موسى محمد ازنين، إشراف الدكتور إبراهيم أرفيدة؛ نوقشت بكلية التربية جامعة الفاتح سنة 1987.

4 ـ المعونة في علم الحساب الهوئي، تأليف أحمد بن محمد الهائم، دراسة وتحقيق خضر عباس محمد المنشاوي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، التابع لجامعة بغداد، سنة 1983 م.

5 ـ مختصر ابن الحاجب الفرعي أو جامع الأمهات، دراسة وتحقيق مصطفى عمران رابعه، كلية التربية جامعة الفاتح. أجيزت.

6 ـ العقد المنظم للحكام فيما يجري من بين أيديهم من نوازل الأحكام، تأليف عبد الله علي بن سلمون الكناني، دراسة وتحقيق المبروك علي الشامس، كلية التربية جامعة الفاتح، سنة 1984 م. أجيزت.

7 ـ التسيير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ الخليل من ذكر أحكام المغرسة، تأليف عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، دراسة وتحقيق خالد العالم كلية التربية جامعة الفاتح، سنة 1983 م. أجيزت.

8 ـ ديوان ابن هانىء الأندلسي، دراسة وتحقيق أحمد فرج البوعيش، كلية التربية جامعة الفاتح، سنة 1985 م. أجيزت.

9 ـ الفائق في معرفة الأحكام والوثائق، لابن رشد القفصي، تحقيق ودراسة «فصل النكاح» صبحي عبد الرازق عمر، المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتطبيقية سنة 1990 م.

10 ـ منازل الفردوس على (المقنع للسوس) في علم الفلك، تأليف محمد بن خليل بن محمد بن خليل بن غلبون الأزهري المالكي، دراسة وتحقيق

حبيب مصطفى عز الدين الغدامس، كلية الآداب والتربية جامعة قاريونس، أجيزت بتقدير جيد جداً.

11 ـ شرح قصيدة (بانت سعاد لكعب بن زهير)، تأليف عبد الله بن يوسف بن هشام، دراسة وتحقيق عيسى عبد الرحمن النيهوم، كلية الآداب والتربية جامعة قاريونس، أجيزت بتاريخ 93/11/7 م بتقدير جيد جداً.

12 ـ المساعد في (تسهيل الفوائد لابن عقيل)، دراسة وتحقيق سلام عبد الله محمد عاشور، كلية الآداب والتربية جامعة قاريونس، تحت الدراسة.

13 ـ الوقف والابتداء لابن سعدان الضرير، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير للطالب محمد خليل الزروق إشراف الدكتور محمد الدَّناع كلية الآداب والتربية جامعة قاريونس. «تحت الدراسة» 20/2/ 93 م.

وأخيراً، نسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى خدمة العلم والعلماء، وأن يتقبل عملنا خالصاً لوجهه الكريم.

فهرس مخطوطات
مكتبة جامعة قاريونس المركزية
بنغازي

الجزء الثالث

- المعارف العامة
- المنطق وأدب البحث
- علوم اللغة العربية
- الكيمياء وسر الحرف
- الفلك والميقات وعلم الهيئة
- الحساب والجبر
- الأدب
- الطب والصيدلة والبيطرة
- التراجم والمناقب
- التاريخ والجغرافيا

إعداد
فرج ميلاد شمبش

1986
منشورات جامعة قاريونس

نهاية الجزء الأول من كتاب تاريخ دمشق وبه نصوص السماع

نهاية الجزء الثاني من كتاب تاريخ دمشق، بها نصوص السماع

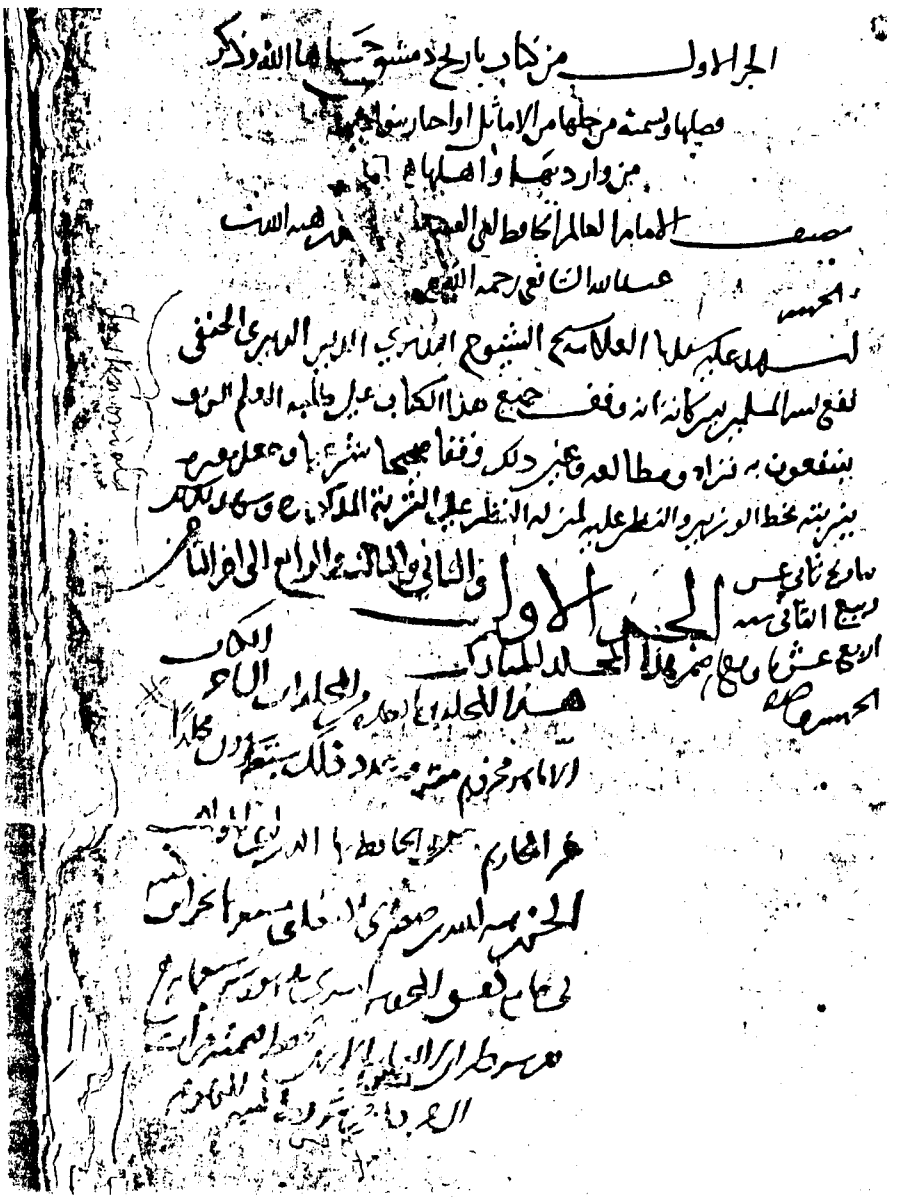

الورقة الأولى من كتاب تاريخ دمشق وبها نص الوقف

بسم الله الرحمن الرحيم ... صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

قال الفقيه الامام الاوحد ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن

الاندلسي رضي الله عنه

لك الحمد يا رب والشكر ثم لك الحمد ما باح بالشكر قلم
لك الحمد في كل ما كالته فقد حصني منك فضل وعم
من الماء انشاني نظفة ومن بعد ذلك لحم ودم
واسلفت في جسدي روحه واحسنها في طباق الاديم
واخرجتني تغدو في عالمي وبالتغيير رجاف الهيم
فصلي البصير المقيم وسمع وذوق ونطق وشم
وحس صحيح وتمييز ما حلقت بانواعه من امم
ومكنني من فنون العلوم بباديء الكلام وخط القلم
وعلمني الحكم في كل ما واطلعني طلع كيف وانى ولم
وجد الحقايق مبرزة لي من الباطل المتقن في الكلم
ببرهان صدق يلوح اليقين وينفي المحال ويبدي الحكم
ونوفي المسمى ببيان اشد ويحمد بالوصف عالم بتسم
ومن ميسدة الفلك المستدير وقفت على حده المنتظم
وما فيه من فلك دائر ومن كوكب قاطع كالعلم
فاكبرها قاصدا مغربا وسائرها جهة المشرق اذ
اد ان رب لنا منشيء يصرفنا العرف حيث حكم
تخالف ما بين ادوارها على سنن راتب مستقيم
ليعلم اهل النهى انها مدرة لحكيم حكم
وان ليس يحتار رشدا ولا لها الحكم بالاتم الالئم
يدبر بازمانها دهرها فيثبت مبدؤها للفهم
ونشهد ان الذي صاغها هو الواحد الحق باري النسم
هو الاول المبتدي خلقها كما شاء اذ شاء خرق وضم
فابدى الزمان وابدى المكان وما فيهما صاغ بدأ وثم
هواء وماء وارض ونار ومشرق انوارها والظلم
نهار مضيء وليل احم وبحر عميق وطود اشم
وركب لما فيها كيف شاء فسكان بر وسكان يم
ونبت يقوم على ساقه وآخر لا ساق يعليه ثم
بلا فيئهم قطعا ولا منالك منهم ولا فيئهم
ولا كان شيء سواه لذا شاء ولا مخبرا بما نظم
فصاغ العقول كما شاء لها فمن شاء اذكى ومن شاء اصم
وركبها في النفوس التي كما شاء انشاءها ربكم
وما كان من قبل عقل ولا سبقاه ولا كان مدح وذم
ولا كان زور ولا حكمة ولا كان ظلم ولا كان ظلم
ولو كان ذلك لم يعتدل وجود الامور ولم يستقم
لان الكثير لاعوة العدد وتحصره اذ يعد العدم
وما حصرت حدود الكلام فوجد الفتح بعد العدم
نهايا تدوجا معات لا تفتح مبدوءة وانتظم

الورقة الأولى من ديوان ابن حزم

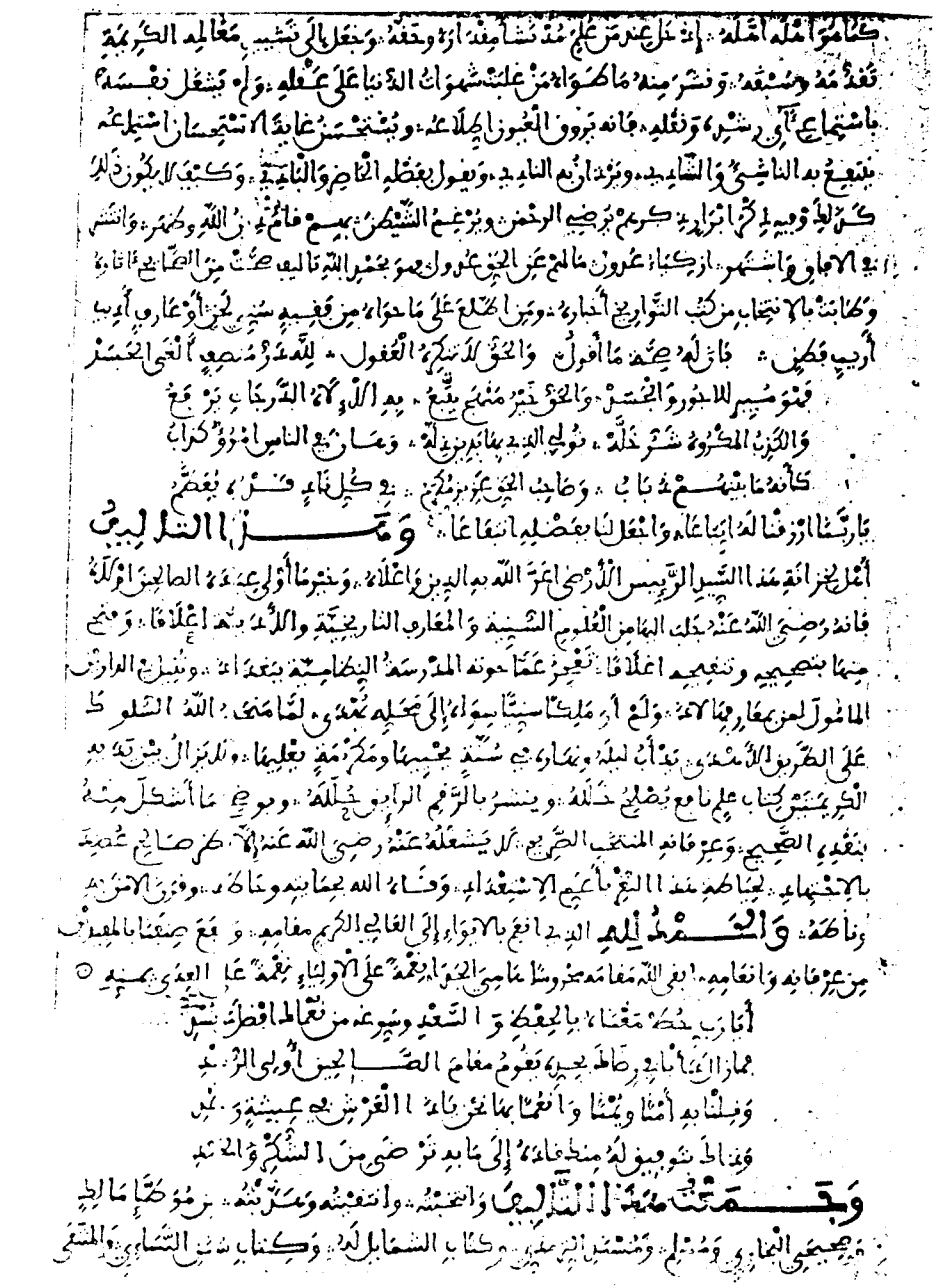

الورقة الثانية من كتاب الجوهرة

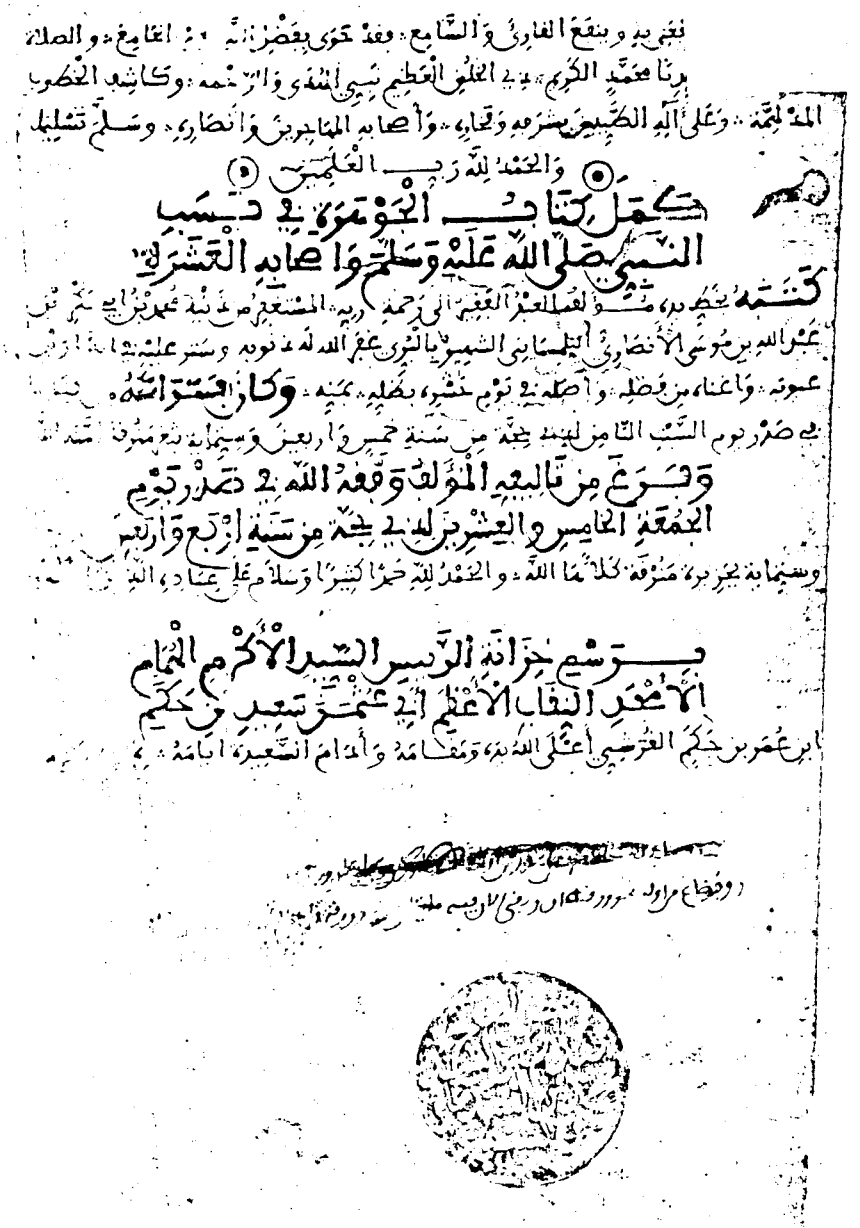

الورقة الأخيرة من كتاب الجوهرة بخط مؤلفها سنة 642 هـ بجزيرة منرقة

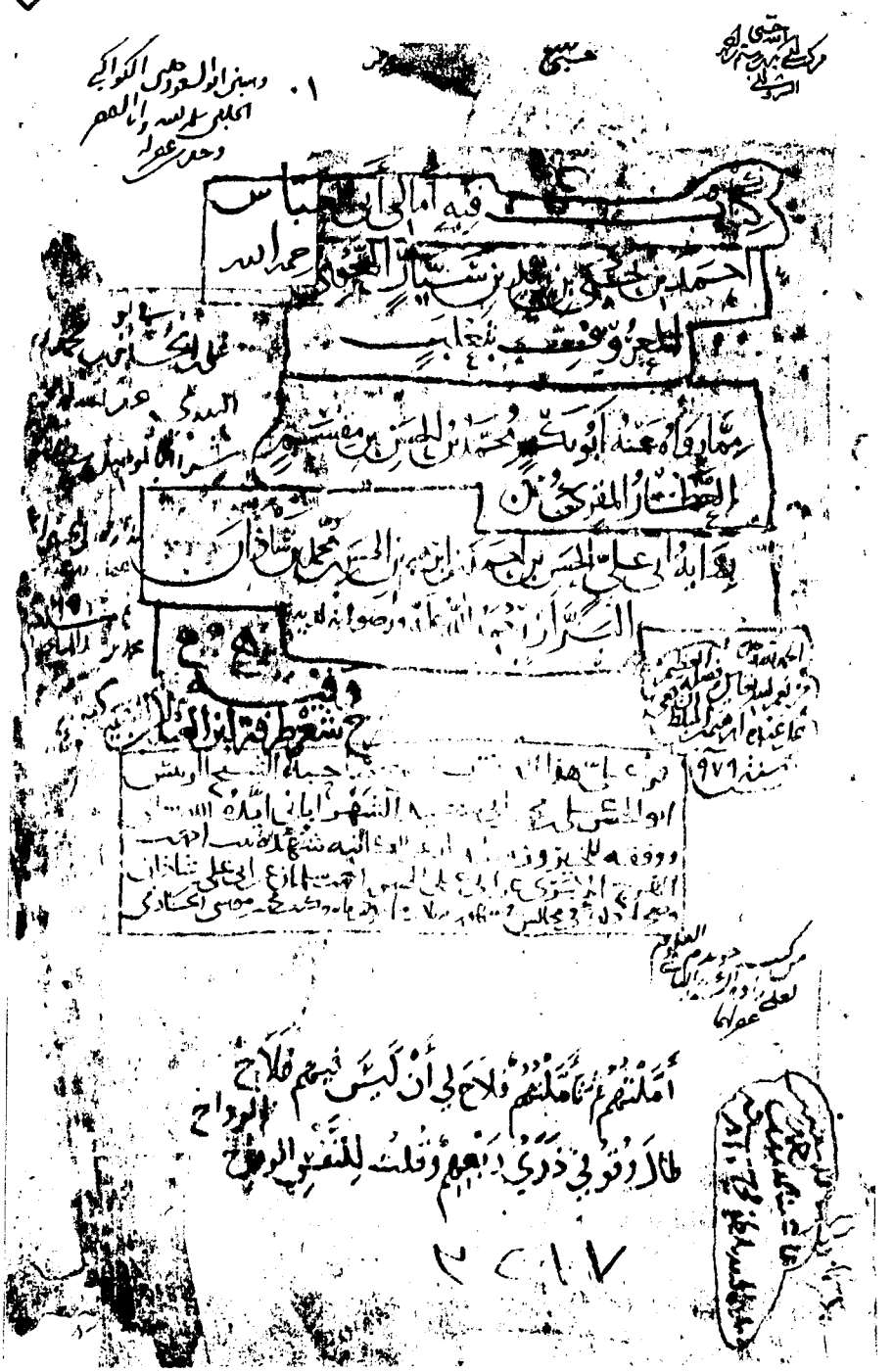

الورقة الأولى من كتاب آمالي ثعلب وبها نصوص القراءة

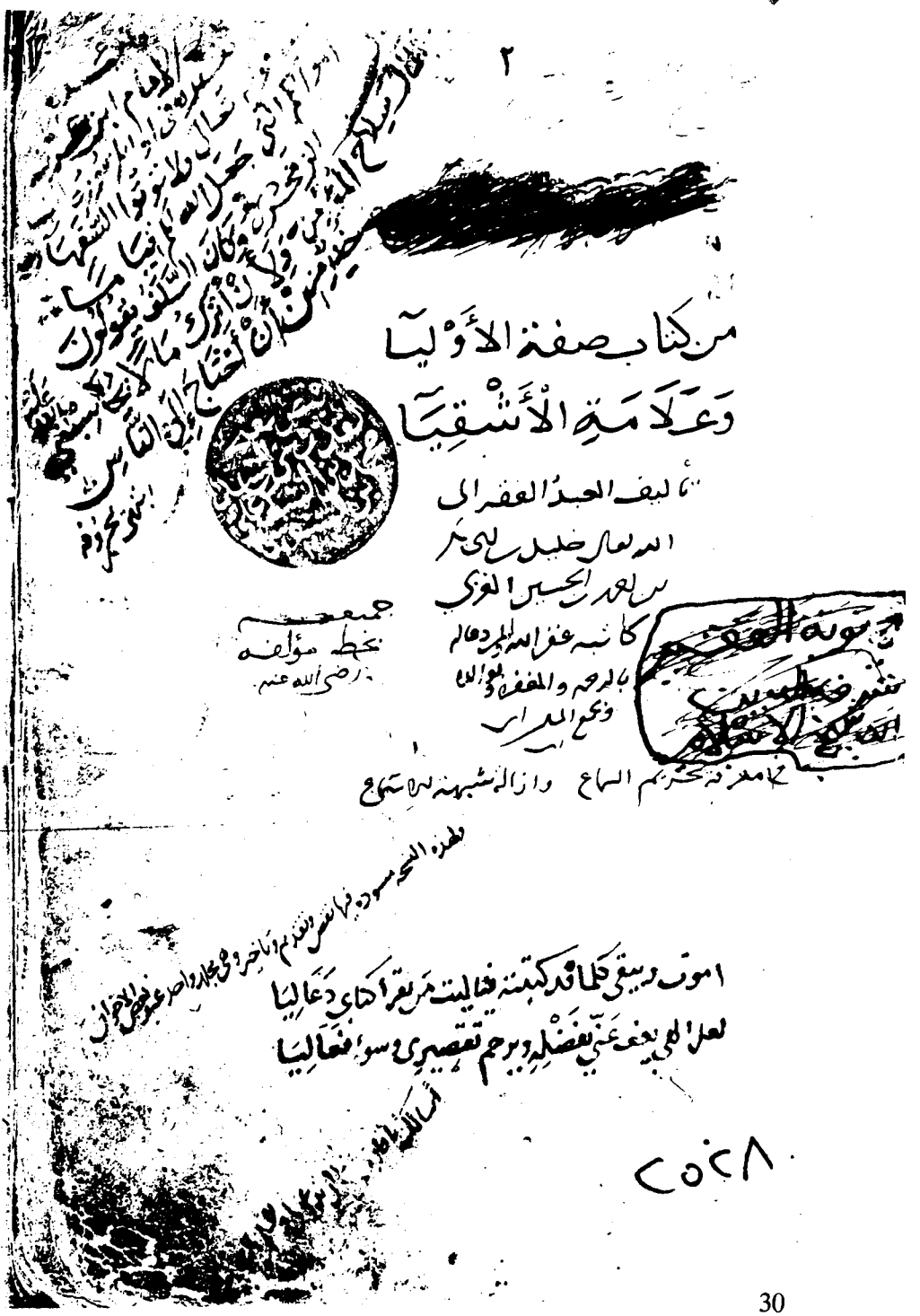

٢

من كتاب صفة الأولياء
وعلامة الأشقياء

تأليف العبد الفقير إلى
الله تعالى خليل بن أيبك
بن عبد الله الحسامي الغوري
كان الله عز وجل له
بالرحمة والمغفرة ولوالديه
ولجميع المسلمين

جميعه بخط مؤلفه
رضي الله عنه

وقفه الشيخ مسعود في أواخر شهر المحرم سنة ٨٥٠

أموت ويبقى كل ما قد كتبته فيا ليت مرقاي دعاليا
لعل إلهي يعفو عني بفضله ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

٥٠٨

عن يميني ونورا عن شمالي اللهم اعظم لي
نورا واجعل لي نورا يجتنا اذا كان
في كل عضو منا ظلمة سل في كل جزء اني
نهتدي به الى سبل الرشاد وقد نبهتنا
صلى الله عليه وسلم على ذلك في هذا الدعا
فوا حسرتاه ان لم تدركنا العناية بالرحمة
والا فنحن مندرجون في سر قوله تعالى لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك
كالانعام بل هم اضل وانما ذلك من
حقيقة وصفنا بما وصفنا به لعدم النور
الذي يقوم لاهليته مقام وصفه جل وصفه
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري
توقد من شجرة فيا ليتنا ان لم ندركنا
السعادة باقتفاء اثاره صلى الله عليه وسلم
النيرة الزاهرة فنخرجنا من ظلمات
اعمالنا والاخذ ذات قلوبنا باقية في
دياجي جهلها وعمى بصيرتها وصمم سمعها

فادعا لا تجيب الداعي ولا تسمع المنادي ولو
من مكان قريب وقد تقدم معنى الاستجابة
لله ولرسوله وكرامعنى الثواب لذلك والعقوبة
لمن اعرض عنها والله الموفق لذلك من يشاء من عباده

اللهم اجعله خالصا لوجهك وارحمني
بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين
ولوالدي ولاهلي واحواني واحبائي ولجميع
* وقد فرغ الفراغ من تاليف هذا الكتاب
الموسوم بصفة الاولياء وعلامة الاتقيا
بلطف الله وعونه ومنه وكرمه واحسانه بجدادان
الطهر ثالث عشر جمادى الاولى سنة سبعين وسبعمائة
بمدرسة الصلاحية بحلب المحروسة رحم الله واقفها ومن ترحم
هذه النسخة سابع عشر رجب الفرد سنة اثنتين وستين
وسبعمائة على يد مؤلفه العبد الفقير الى ربه المعترف
بذنبه خليل بن ايبك بن عبد الله الحسن الكماني السعدادي ثم
الغزي ثم الحلبي الحنفي وهو يسأل الله المغفرة والرضوان
حصل في نسخ في اثنائها وهم فلة بدس وقوع الغلط
والخطا فمن اصلح منه ما حسن اصلاحه فاجره على الله وهو
شريكي في الاجر وقد اذنت لكل واقف عليه من اهل العلم الورع
عني ما فهمه من مقصد معانيه مع الدعاء منه ولله منى والله الموفق

الورقة الأخيرة من كتاب صفة الأولياء بخط مؤلفه سنة 770 هـ

صفحة عنوان كتاب المساعد على تسهيل الفوائد

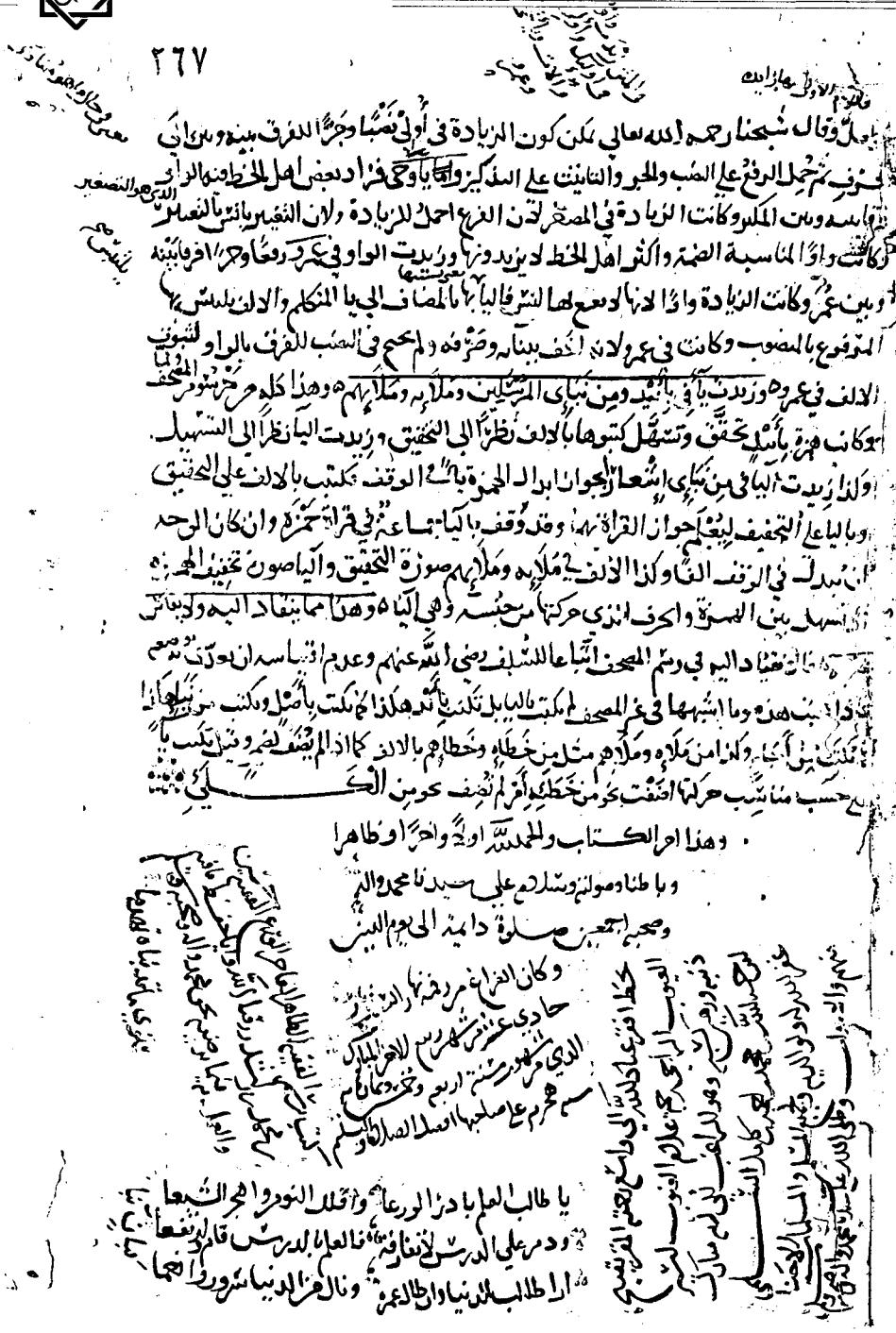

الورقة الأخيرة من كتاب المساعد بخط محمد أحمد كامل السالمي سنة 854 هـ

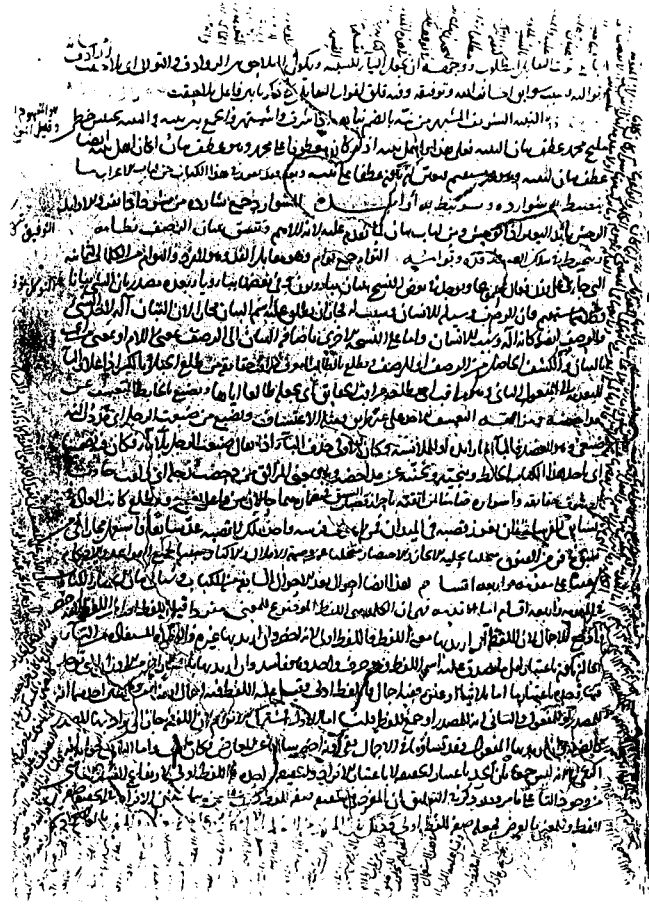

الورقة الأولى من كتاب شرح اللباب للسيرافي

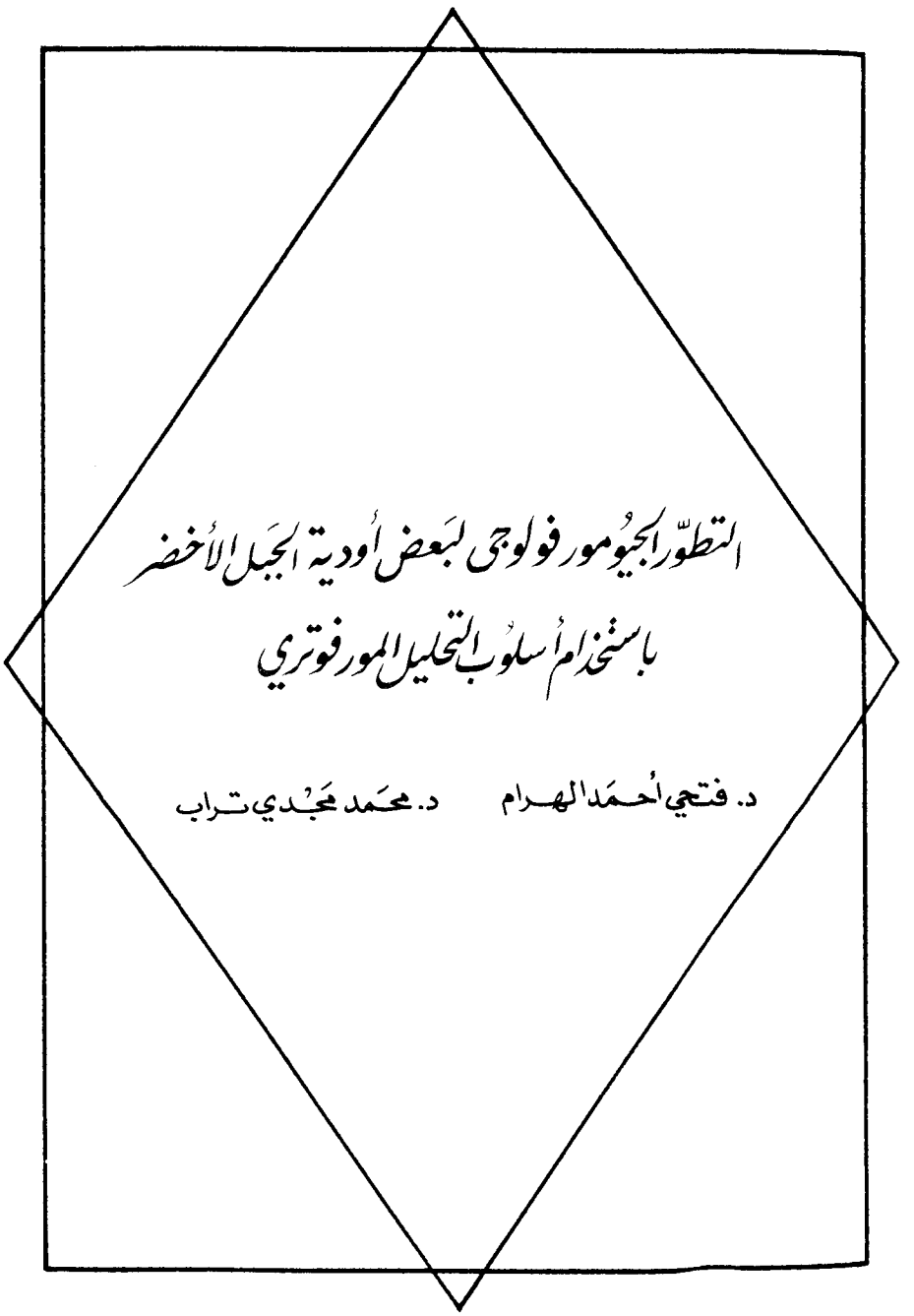

التطوّر الجيومورفولوجي لبعض أودية الجبل الأخضر باستخدام أسلوب التحليل المورفوتري

د. فتحي أحمد الهرام د. محمد مجدي تراب

التطوّر الجيومورفولوجي لبعض أودية الجبل الأخضر باستخدام أسلوب التحليل المورفوتري

د. فتحي أحمد الهرام(*) د. محمد مجدي تراب(**)

ملخص:

تزخر منطقة الجبل الأخضر بظواهر جيومورفولوجية متنوعة، مما يجعلها ميداناً خصباً يشجع على إجراء الدراسات العلمية حول هذه الظواهر التي تحفل بها المنطقة.

ويقوم هذا البحث بدراسة جيومورفولوجية لمجموعة من الأودية شبه الجافة (تزيد مساحة أحواضها عن 30 كيلومتراً مربعاً). وهذه الأودية تقع ضمن النطاق الأوسط للحافة الشمالية للجبل الأخضر، في المنطقة الممتدة بين رأس الهلال شرقاً، ورأس عامر غرباً.

ويهدف البحث إلى محاولة تتبع مراحل التطور الجيومورفولوجي للأودية المختارة منذ بداية تشكلها وحتى الوقت الحاضر، من خلال تحليل الخرائط الجيولوجية والطبوغرافية، مع تطبيق مجموعة من المعاملات المورفومترية التي تقيس الفترة المقطوعة من دورة التعرية، وكذلك المعلومات المتحصل عليها من الدراسة الميدانية التي أجريت على اثنين من الأودية المختارة، وأخيراً استقراء وتأريخ مراحل التطور التي مرت بها، والعوامل التي أدت إلى تشكلها، ومحاولة

(*) أستاذ مشارك بقسم الجغرافيا بجامعة قاريونس.
(**) مدرس بقسم الجغرافيا بجامعة الإسكندرية، ومعار حالياً لجامعة قاريونس.

ربط النتائج المتوصل إليها بالدراسات المماثلة التي أجريت بحوض البحر المتوسط.

موقع منطقة الدراسة:

تضم منطقة البحث مجموعة من الأودية شبه الجافة، تقطع القطاع الأوسط من الحافة الشمالية للجبل الأخضر، وينحصر هذا القطاع بين رأس الهلال شرقاً ورأس عامر غرباً، ويحددها بذلك خطا طول 40، 21، 20 و 22، شرقاً ليصل امتدادها لنحو الأربعين كيلومتراً. (شكل رقم 1).

ويشرف هذا الجزء من الحافة على خط الساحل بانحدار سلمي، متفقاً في هذا مع بقية أجزاء الحافة الشمالية للجبل الأخضر، حيث تتماثل مناسيب كل درجة من درجاته إلى حد كبير، مما دفع الكثير من الباحثين إلى ترجيح النشأة البحرية لهذه المدرجات مثل مارينيلي (Marinely 1920)، واهلمان (Ahlman 1928)، واستيفانني (Stefanini 1930) وغيرهم. إلا أن انتظام الامتداد الجغرافي لهذه المدرجات، ووجود بعض الشواهد الميدانية، دفع بعض الباحثين لتأييد النشأة الانكسارية لهذه المدرجات وأهمهم جريجوري (Gregory 1911)، على حين يرى (جودة، 1975) أن لكل درجة من درجات حافة الجبل الأخضر ظروفها المحلية، بسبب تأثرها بحركات رفع تكتونية ساهمت في رفع الأرصفة البحرية للإقليم.

وقد تم اختيار مجموعة الأودية محل الدراسة على أساس حصر الأحواض التجميعية بالمنطقة المذكورة، التي تتجاوز مساحة كل حوض فيها 30 كيلومتراً مربعاً، وتضم الأحواض الآتية مرتبة من الشرق للغرب (شكل رقم 2).

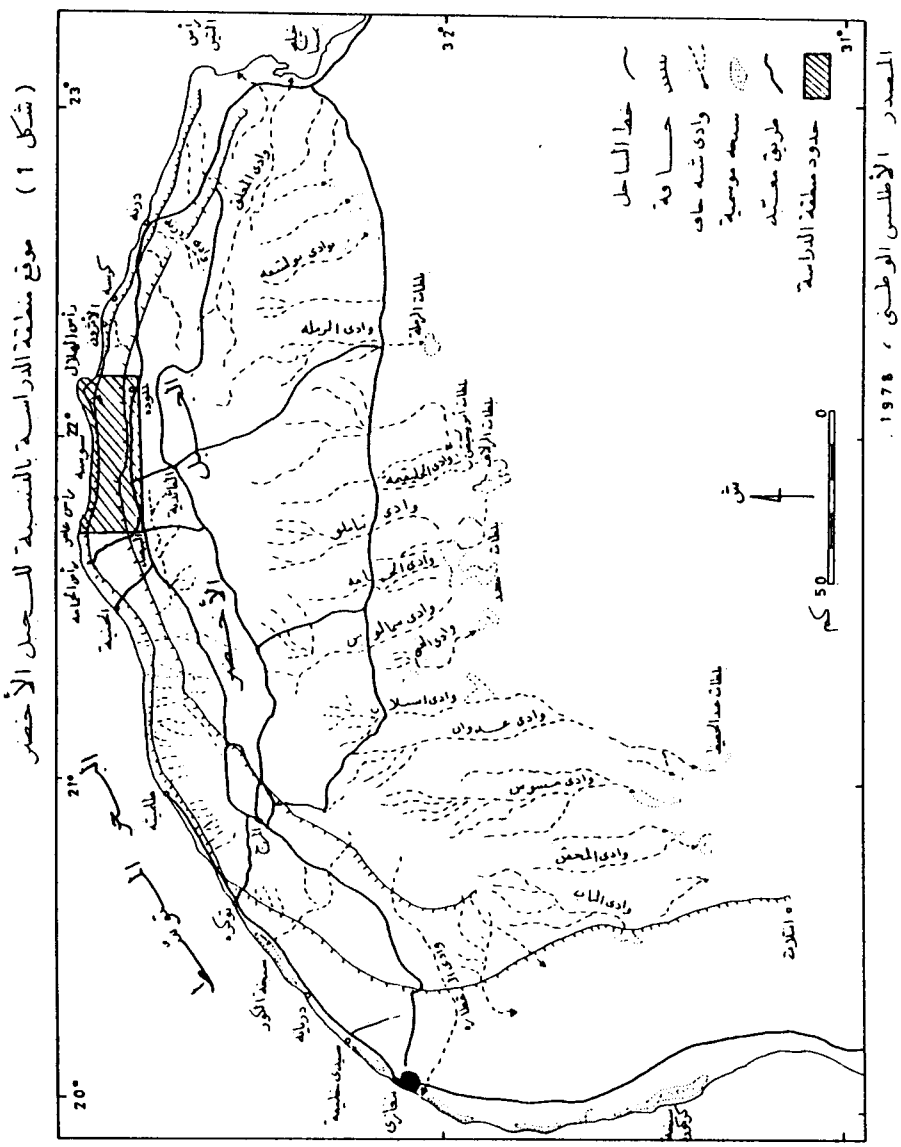

(شكل 1) موقع منطقة الدراسة بالنسبة للسجل الأخضر

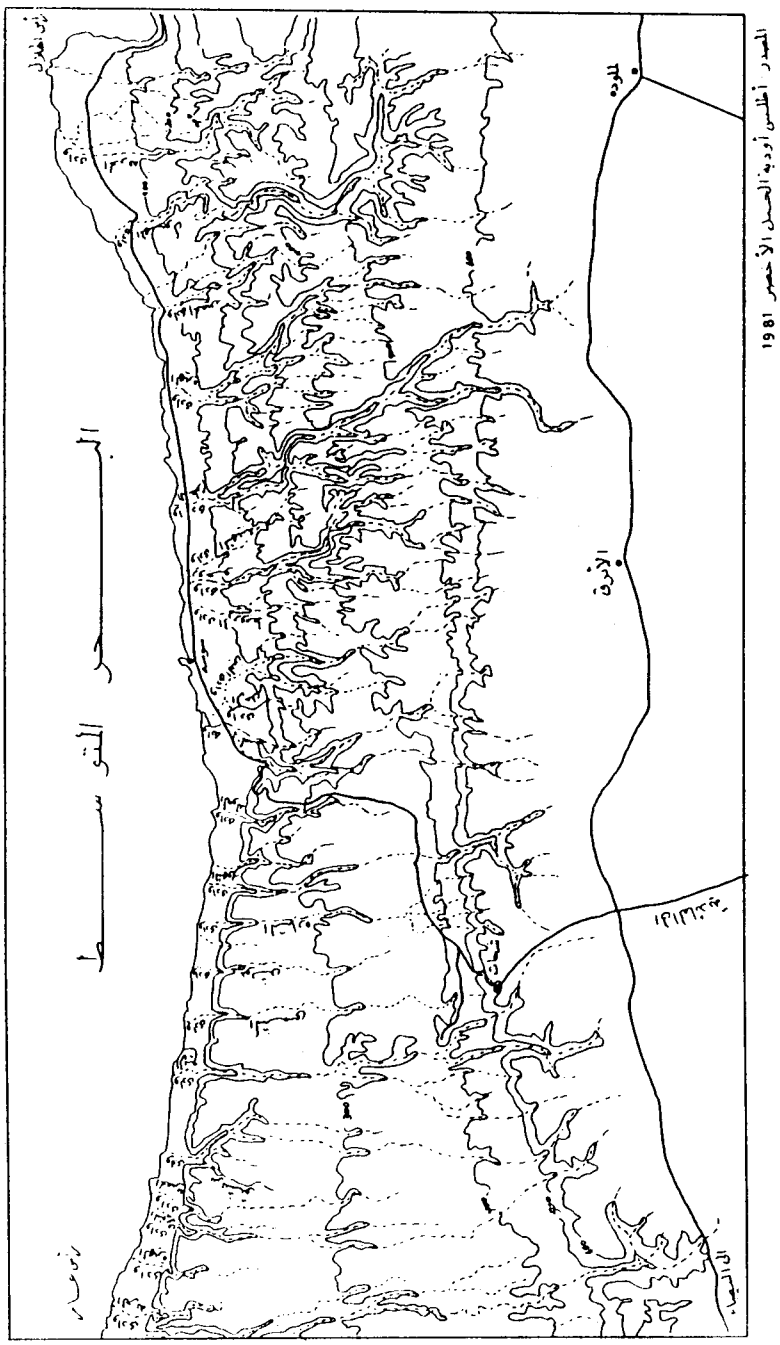

(شكل 2) طبوغرافية المنطقة

جدول رقم (1)

مساحة الأحواض المختارة

مسلسل	اسم الوادي	مساحة الحوض بالكيلومتر المربع
1	المهبول	47,50
2	البطوم	48,35
3	النسر	85,50
4	المشهور	32,00
5	الربيع	38,50

الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى تتبع مراحل التطور الجيومورفولوجي لمجموعة الأودية شبه الجافة المختارة، منذ بداية تشكيلها وحتى الوقت الراهن، ومحاولة تأريخ وربط نشأتها بالمجاري المائية في حوض البحر المتوسط.

الخصائص الجيولوجية:

أ) التتابع الطبقي:

تتألف منطقة البحث من عدة تكوينات تتبع الزمنين الثالث والرابع، حيث ينقسم التتابع الطبقي للمنطقة إلى الوحدات الآتية[1].

1 ـ تكوين أبولونيا[2] (الأيوسين الأسفل ـ الأوسط):

يظهر تكوين أبولونيا على منحدرات الدرجة الأولى للجبل الأخضر بسمك

(1) تم استبعاد تكوينات الهلال والأثرون التابعة للكريتاسي لاقتصار ظهورها على الأجزاء المتاخمة لإقليم البحث.

(2) أطلق بياترز (Pieters 1928) على هذا التكوين اسم أبولونيا تبعاً لظهوره بالقرب من مدينة سوسة (الاسم المعاصر لمدينة أبولونيا الإغريقية).

يصل لعدة مئات من الأمتار، كما يبدو على جوانب أودية القسم الشرقي من المنطقة، وخاصة أودية المهبول والبطوم والنسر. وهو يتألف من الأحجار الجيرية الدقيقة الحبيبات، تتناثر بها أحياناً بعض العقد الصوانية فتكسبها بعض الصلابة الموضعية، وكثيراً ما يحتوي هذا التكوين على الأحجار الجيرية الطباشيرية والمارلية.

2 ـ تكوين درنة (الأيوسين الأوسط ـ الأعلى):

يغطي تكوين درنة الأجزاء الغربية من المنطقة بصورة متداخلة مع تكوين أبولونيا، إلا أنه يتميز عنه بكبر حجم حبيباته، وتركز حفريات النومولیت به، وهو يتشكل في طبقات متوسطة السمك من حبيبات الحجر الجيري الدولوميتي والنموليتي والمرجاني في بعض الأحيان.

3 ـ تكوين البيضاء (الأوليجوسين الأسفل):

يغطي هذا التكوين سفوح الدرجة الثانية للجبل الأخضر، ويفصله عن التكوين السابق سطح عدم توافق، ويتألف تكوين البيضاء من عضوين أساسيين، أولهما عضو شحات المارلي الذي يحتوي على المارل الرمادي المصفر، والصخور الجيرية المارلية، أما العضو الثاني فيعرف باسم الحجر الجيري الطحلبي، لاحتوائه على كميات كبيرة من الطحالب والقنافذ البحرية.

4 ـ تكوين الأبرق (الأوليجوسين الأوسط):

يتألف تكوين الأبرق من المارل الأخضر، ويتحول إلى طبقات من الحجر الجيري الدولوميتي بأجزائه العليا التي يتوج قممها الإرسابات الرملية الحفرية المتصلبة Calcarenite.

5 ـ تكوين الفائدية (الميوسين الأسفل):

يغطي هذا التكوين أجزاء محدودة المساحة من أراضي ما بين الأودية، وخاصة الواقعة عند خطوط تقسيم المياه المحددة لحوض وادي النسر. وتتكون

هذه الوحدة الصخرية من الطين والصلصال الأخضر، وتغطيها طبقات سميكة من الأحجار الجيرية المتوسطة الحبيبات.

6 ـ رواسب الزمن الرابع:

تتألف من رواسب بطون الأودية ومدرجاتها القديمة المكونة من الطفل والطين والحصى، إلى جانب الرواسب البحرية الرملية المتماسكة Calcarenite المنتشرة على طول الأجزاء الساحلية.

ب) البنية الجيولوجية:

تأثرت المنطقة بعدة مراحل من الحركات التكتونية، بدأت في الكريتاسي العلوي واستمرت حتى أواخر الزمن الثالث، ونتج عنها عدد من الخطوط الصدعية والنظم المفصلية، التي يغلب عليها اتجاه شرق الشمال الشرقي/ غرب الجنوب الغربي، بالإضافة إلى بعض الاتجاهات الثانوية الأخرى.

جـ) التاريخ الجيولوجي:

يوضح (شكل رقم 4) مراحل التاريخ الجيولوجي للمنطقة (Rohlich, P., 1978, p. 924). ومن دراسته نتبين أن الإقليم قد تعرض لأربع مراحل ترسيبية/ بنيويه تتلخص فيما يلي:

ـ المرحلة الأولى: حدثت خلال العصر الكريتاسي، حيث تعرض الجبل الأخضر لحركة رفع تكتونية، عملت على ظهوره كجزيرة بارزة فوق مستوى سطح البحر، وذلك على امتداد ثنية محدبة عظمى يمتد محورها في اتجاه شرق الشمال الشرقي/ جنوب الجنوب الغربي، كما أرسب خلال هذه المرحلة تكويني (قصر العبيد والبنية) خارج منطقة الدراسة.

ـ المرحلة الثانية: حدث طغيان وتقدم للبحر خلال بداية وأواسط الأيوسين، وأرسب خلالها تكوين درنة وأبولونيا (راجع شكل رقم 4 «ب»).

ـ المرحلة الثالثة: تعرضت المنطقة لحركة رفع تكتونية أخرى خلال أواخر

الأيوسين. وأدى هذا إلى انحسار البحر عن الأجزاء الشمالية من إقليم الجبل الأخضر، ثم تقدم البحر مرة أخرى خلال بداية الميوسين.

- المرحلة الرابعة: حدثت حركة الرفع الرئيسية للمنطقة خلال أواسط الميوسين، وبرزت خلاله الأجزاء الشمالية من إقليم الجبل الأخضر، وتكررت عملية تقدم البحر وانحساره خلال دورات ترسيبية برزت أثناءها تكوينات البيضاء والأبرق والفائدية. كما تكونت خلال هذه المرحلة بعض التراكيب البنيوية الثانوية سواء القبابية أو الحوضية، التي ساهمت إلى حد كبير في تعديل المظهر المورفولوجي العام للإقليم (راجع شكل رقم 4 «د»).

(شكل 3) التتابع الطبقي للجزء الشمالي من الجبل الأخضر
" من العصر الطباشيري الأعلى حتى الزمن الثالث "

التكوين	الفترة	العصر	الزمن
تكوين الرجمة	الأوسط	الميوسين	
تكوين الفائدية	الأسفل		
تكوين الأبرق	الأعلى	الأوليجوسين	
	الأوسط		
تكوين البيضاء	الأسفل		
تكوين درنة / تكوين أبولونيا	الأعلى	الأيوسين	
	الأوسط		
	الأسفل		
	الأوسط	الباليوسين	
تكوين توكرة: تكوين الأثرون		الطباشيري الأعلى	
تكوين توكرة: تكوين الهلال			

المصدر: (Rohlich , P. , 1978)

(شكل 4) التاريخ الجيولوجي لمنطقة الدراسة خلال الزمنين الثاني والثالث

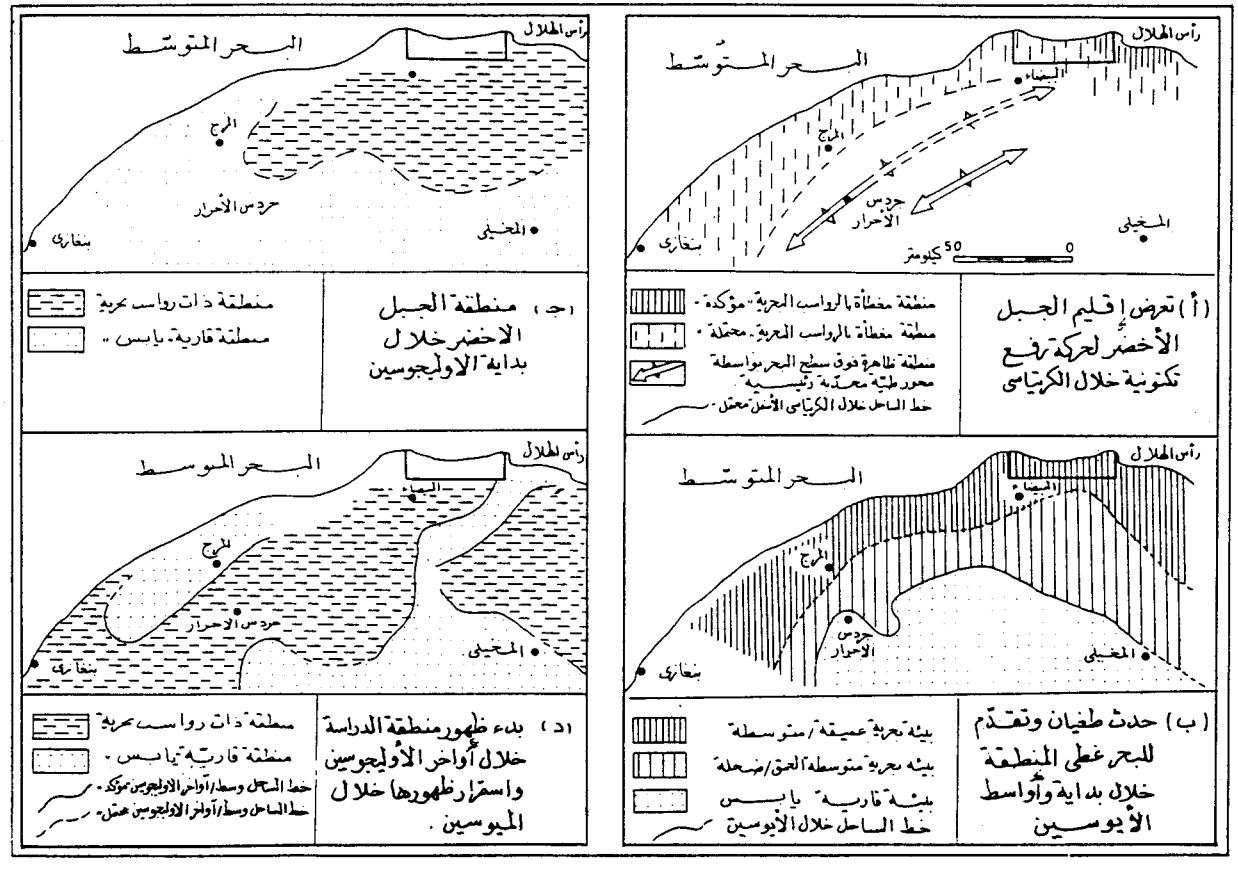

أساليب الدراسة ووسائلها:

تعتمد الدراسة على أساليب ووسائل وطرق البحث الآتية:

أولاً: تحليل الخريطة الجيولوجية والبنيوية للمنطقة، ودراسة التاريخ الجيولوجي لها.

ثانياً: التحليل الكرتوجرافي للخريطة الكنتورية لمجاري الأودية المختارة بمقياس رسم 1: 50,000[1] بعد تكبيرها مرتين، واستخدامها في إنشاء خريطة الكنتور المبسط (شكل رقم 5).

ثالثاً: تطبيق مجموعة من المعاملات المورفومترية التي تقيس الفترة المقطوعة من دورة التعرية وتشمل:

أ) أشكال الأحواض (تطور أحواض التصريف المائي بدلالة أشكالها):

1 ـ معدل الاستطالة Elongation Ratio (Schumm, 1956, p. 612).

2 ـ معدل الاستدارة Circulation Ratio (Miller, 1953, p. 9).

3 ـ معامل شكل الحوض Form Factor (Horton, 1932, p. 353).

4 ـ معامل الانبعاج Leminescate Ratio (Chorley, 1957, p. 139).

5 ـ معامل الاندماج Compactness Cœfficient (Gravelius, 1914, p. 8).

6 ـ محيط الحوض النسبي Relative Basin Perameter (Gardiner, 1975, p. 117).

7 ـ نسبة الطول/ العرض الحوضي Length/Wiedth Ratio (Muller, 1974, p. 195).

8 ـ معامل شكل الحوض العام.

---

(1) مجموعة خرائط طوبوغرافية تغطي المنطقة بمقياس رسم 1: 50,000 صادرة عن الجيش الأمريكي Army Map Service U.S.A.، بفترة كنتورية 20 متراً عام 1967 لوحات أرقام 3690I, 3690IV, 3790IV.

ب) التحليل الهبسومتري (العلاقة بين المساحة والمناسيب):

1 ـ المنحنى الهبسومتري Hypsometric Curve (Strahler, 1952).

2 ـ التكامل الهبسومتري Hypsometric Integral (Mayer, 1990 p. 53).

جـ) انحدار القطاع الطولي وخصائصه:

1 ـ القطاع الطولي المورفومتري بكل رتبة.
2 ـ درجة انحدار القطاع.
3 ـ درجة وعورة القطاع.
4 ـ معدل تطور انحدار المجرى.

رابعاً: الدراسة الميدانية لمجرى وادي البطوم والنسر [1] والسهل الساحلي ومقدمات حافة الجبل الأخضر بهدف معالجة الجوانب الآتية:

أ) تمييز المدرجات النهرية الناتجة عن انخفاض مستوى القاعدة وتصنيفها، بعد استبعاد المصاطب الليثولوجية والبنيوية.

ب) دراسة نقاط تجديد شباب المجرى، وتمييزها عن نقط القطع الصخرية والبنيوية.

جـ) تمييز وربط بقايا المدرجات البحرية على مقدمات حافة الجبل الأخضر.

د) رسم مجموعة من الخرائط الجيومورفولوجية التفصيلية لبعض الأشكال الأرضية السابقة ميدانياً.

خامساً: محاولة استقراء وتأريخ مراحل التطور الجيومورفولوجي لمجموعة الأودية المختارة، والحافة الشمالية للجبل الأخضر، ودراسة العوامل

(1) تم اختيار مجرى وادي البطوم للدراسة الميدانية، بسبب ظهور عدد من نقاط التجديد على قطاعه الطولي (راجع القطاع الطولي للوادي: الهرام وآخرون) 1986 م، ووادي النسر لإنجازه جزءاً أكبر من دورته التحاتية، طبقاً لنتائج التحليل المورفومتري للأحواض المختارة.

المساهمة في تشكيلها، ومحاولة ربط نتائجها بالدراسات المماثلة التي أجريت بحوض البحر المتوسط.

نتائج الدراسة:

1 ـ تشير دراسة أشكال الأحواض أنه يمكن ترتيبها تنازلياً تبعاً للمرحلة المقطوعة من دورة التعرية، اعتماداً على نتائج تطبيق سبع معاملات مورفومترية، يضمها جميعاً معامل شكل الحوض العام (جدول رقم 2)، وذلك على النحو التالي:

يأتي حوض وادي النسر في مقدمة الأحواض التي قطعت شوطاً أكبر من دورتها التحاتية، ثم يعقبه واديا المهبول والربيع، وبعدهما يأتي البطوم، ثم في النهاية حوض وادي المشهور الذي لا يزال في بداية دورته حين أدركته ظروف المناخ الجاف.

2 ـ تكاد تتفق نتائج التحليل الهبسومتري للعلاقة بين المناسيب والمساحات مع نتائج تحليل أشكال هذه الأحواض، سواء بتطبيق المعامل الهبسومتري أو المنحنى الهبسومتري (شكل رقم 6)، حيث يسجل حوض وادي النسر معاملاً لا تتعدى قيمته أكثر من 0,63، مما يشير إلى أن هذا الحوض لم يزل أمامه أكثر من 63٪ من حجم تكويناته، كانت تنتظر النحت والإزالة لولا تحول ظروف المناخ للجفاف الحالي[1]. على حين تبلغ هذه النسبة أكثر من 82٪ في حالة وادي البطوم، مما يعطي صورة أكثر وضوحاً للمرحلة التحاتية التي تمكن الوادي الأول من قطعها، بينما لا يزال الثاني في مرحلة مبكرة نسبياً من مراحل هذه الدورة.

(1) تنخفض قيمة المعامل الهبسومتري في حالة الأحواض التي قطعت شوطاً أكبر من مراحل دورتها التحاتية حتى تقترب من الصفر (علاقة عكسية)، أي حينما تتمكن هذه الأودية من إزالة ونحت كتلتها الحوضية تماماً، ويصبح سطح الأرض مستوياً ولا يتعدى منسوب أجزائه قيمة مساوية لمستوى القاعدة العام، أما الأحواض ذات القيم المرتفعة التي تقارب الواحد الصحيح، فلا تزال في بداية دورتها التحاتية (1952 و Strahler).

3 ـ تسجل دراسة التكامل الهبسومتري[1] أن حوض وادي النسر يتبوأ المركز الأول أيضاً بين الأحواض المدروسة، من حيث المرحلة المقطوعة من الدورة الجيومورفولوجية، بينما يأتي البطوم في المركز الأخير، وتكاد تتفق هذه النتائج مع المعاملات السابقة (جدول رقم 3).

4 ـ أما معامل تطور انحدار المجرى، الذي يحسب درجة التقوس النسبي للقطاعات الطولية للأودية بجميع الرتب النهرية، فيؤكد أيضاً أن مجرى وادي النسر تمكن من إنجاز حوالى 52,6٪ من مهمته قبل تحول المناخ للجفاف، أما واديا البطوم والمشهور فلم يتمكنا من إحراز أكثر من 14,4٪، 8,2٪ على التوالي (جدول رقم 4 وشكل رقم 7).

(1) يدرس التكامل الهبسومتري العلاقة بين المنسوب المتوسط بالحوض وأدنى منسوب عند مصبه من ناحية، والفارق بين أعلى وأدنى منسوب في نفس الحوض من ناحية أخرى. وترتفع قيمة هذا المعامل في حالة الأحواض التي قطعت شوطاً أكبر من دورتها التحاتية (علاقة طردية) (Mayer. L. 1990, p. 53).

جدول رقم (2)

الخصائص المورفومترية الشكلية للأحواض المختارة

ر.م	اسم الوادي	معدل الاستطالة Schumm 1956	معدل الاستدارة Miller 1953	معامل شكل الحوض Horton 1932	معامل الاندماج Gravelius 1914	محيط الحوض النسبي Gardimer 1975	معامل الانبعاج Chorley 1957	نسبة طول الحوض/ عرضه Muller 1974	معامل شكل الحوض العام مجدي تراب 1988
1	الربيع	0,50	0,39	0,19	1,60	32,00	0,87	3,00	0,029
2	المشهور	0,43	0,28	0,15	1,89	44,89	0,82	3,25	0,017
3	النسر	0,61	0,48	0,29	1,44	26,06	0,83	2,17	0,023
4	البطوم	0,51	0,31	0,20	1,79	40,41	0,76	1,51	0,023
5	المهبول	0,55	0,35	0,24	1,68	35,65	0,76	1,88	0,029
المتوسط العام		0,52	0,36	0,21	1,68	35,80	0,81	2,36	0,029

جدول رقم (3)

التحليل الهبسومتري للأحواض المختارة

المعامل المورفومتري	الأسلوب المستخدم	الربيع	المشهور	النسر	البطوم	المهبول	المتوسط العام
المعامل الهبسومتري	Strahler 1952	0,700	0,770	0,630	0,820	0,690	0,720
المتكامل الهبسومتري	Mayer 1990	0,296	0,232	0,367	0,183	0,321	0,280

جدول رقم (4)

الخصائص الانحدارية للقطاعات الطولية للأودية المختارة

المقياس		الوحدة	الربيع	المشهور	النسر	البطوم	المهبول	المتوسط العام
عدد الرتب النهرية		عدد	5	4	5	5	5	4,8
درجة الانحدار بكل رتبة	الأولى	درجة	2,7	2,9	8,2	7,4	4,9	5,2
	الثانية	درجة	4,9	3,9	9,2	7,2	7,3	6,5
	الثالثة	درجة	5,6	2,7	5,0	4,4	3,9	4,3
	الرابعة	درجة	5,2	5,1	5,7	2,2	2,9	4,2
	الخامسة	درجة	6,5	-	2,1	5,5	4,8	4,7
درجة انحدار القطاع		درجة	5,7	4,7	4,7	4,4	5,9	5,1
درجة وعورة القطاع(*)		٪	132,3	104,7	117,7	108,5	111,2	114,9
معدل تطور المجرى(**)		٪	22,2	8,2	62,6	14,4	27,1	24,9

(*) النسبة بين الجزء الذي تمكن الوادي من نحته إلى الانحدار من أعلى إلى أدنى نقطة بالحوض.

(**) النسبة المئوية لاختلاف درجات الانحدار بكل رتبة عن الانحدار الكلي المباشر بالقياس بين أعلى نقطة وأدنى نقطة بالحوض.

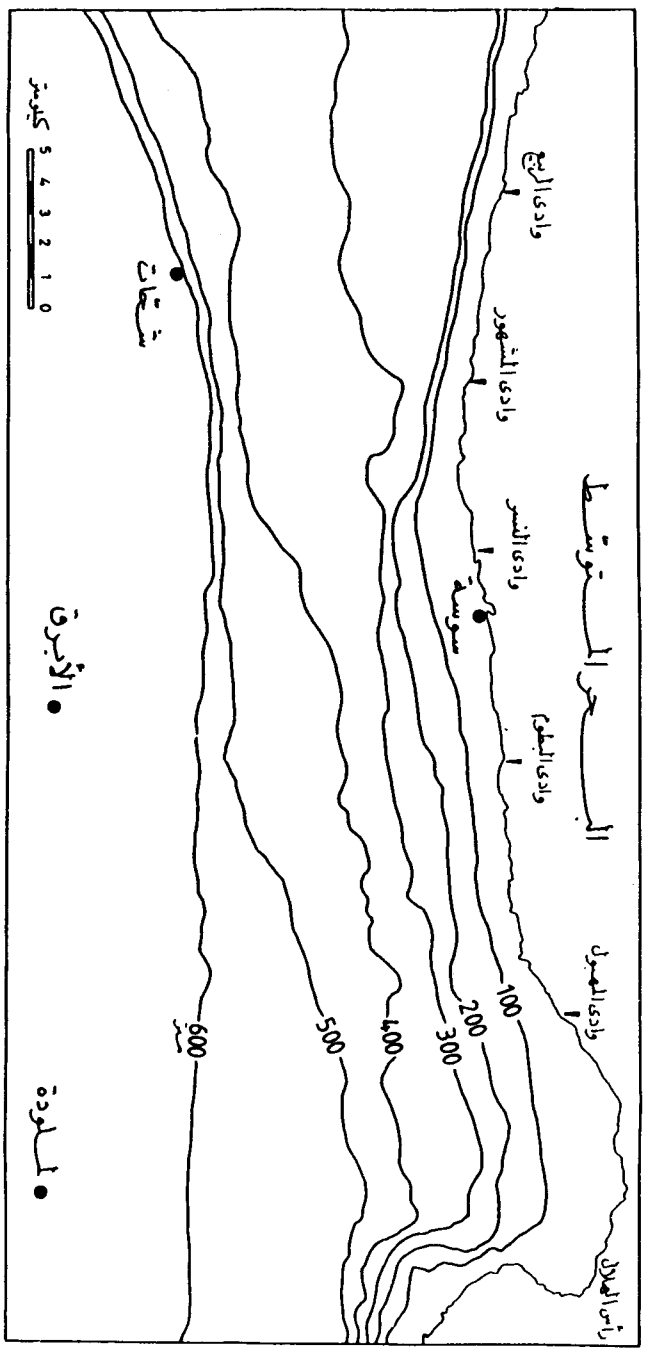

(شكل 5) خريطة الخطوط المنسلقة

المصدر : باستخدام الخرائط الطبوغرافية .

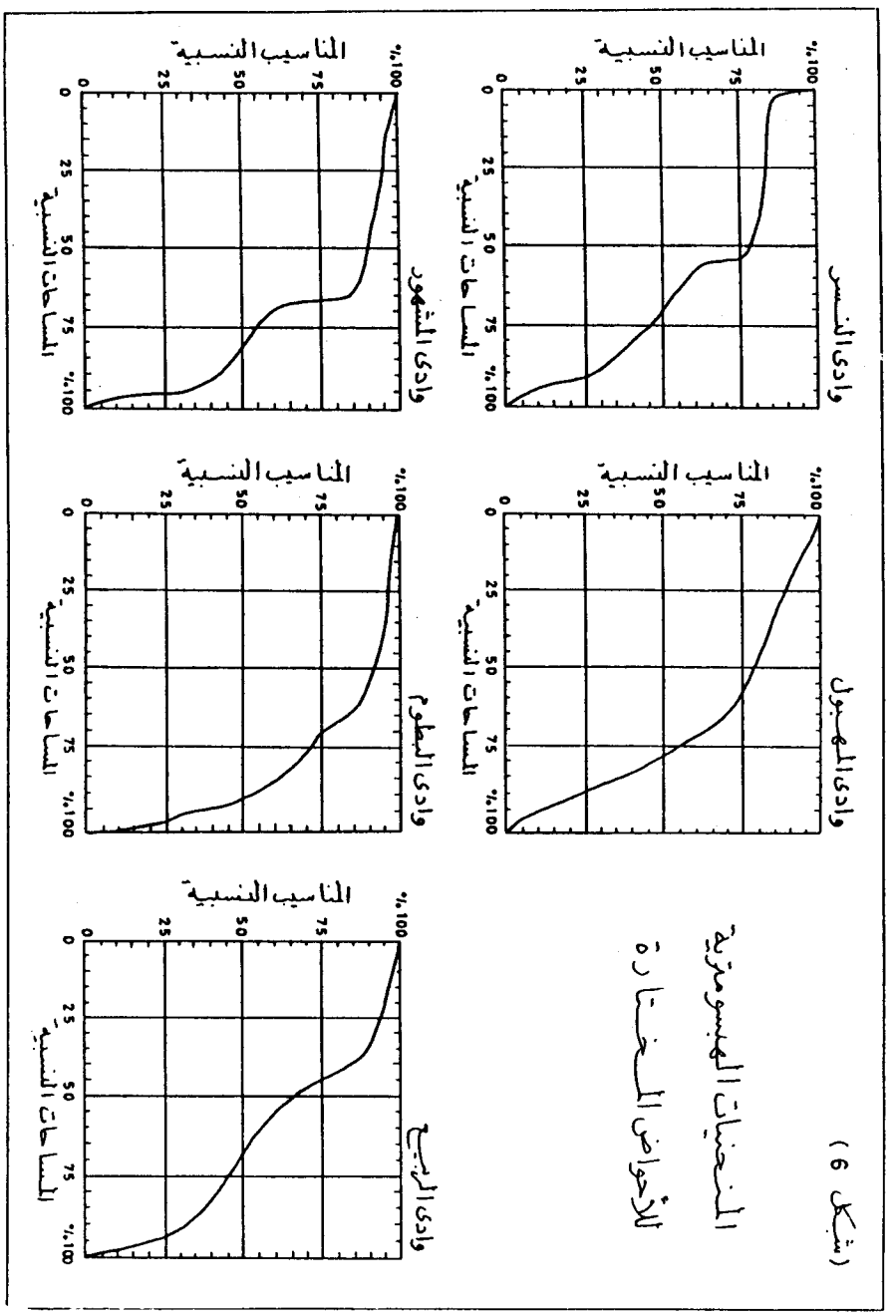

(شكل 6)
المنحنيات الهبسومترية
للأحواض المختارة

(شكل 7)

مجموعة قطاعات طولية مورفومترية للأودية المختارة *

▥ الجزء الذى تمكن الوادى من نحته وتعميقه رأسيًا، ويوضح معدل تطور انحدار المجرى.

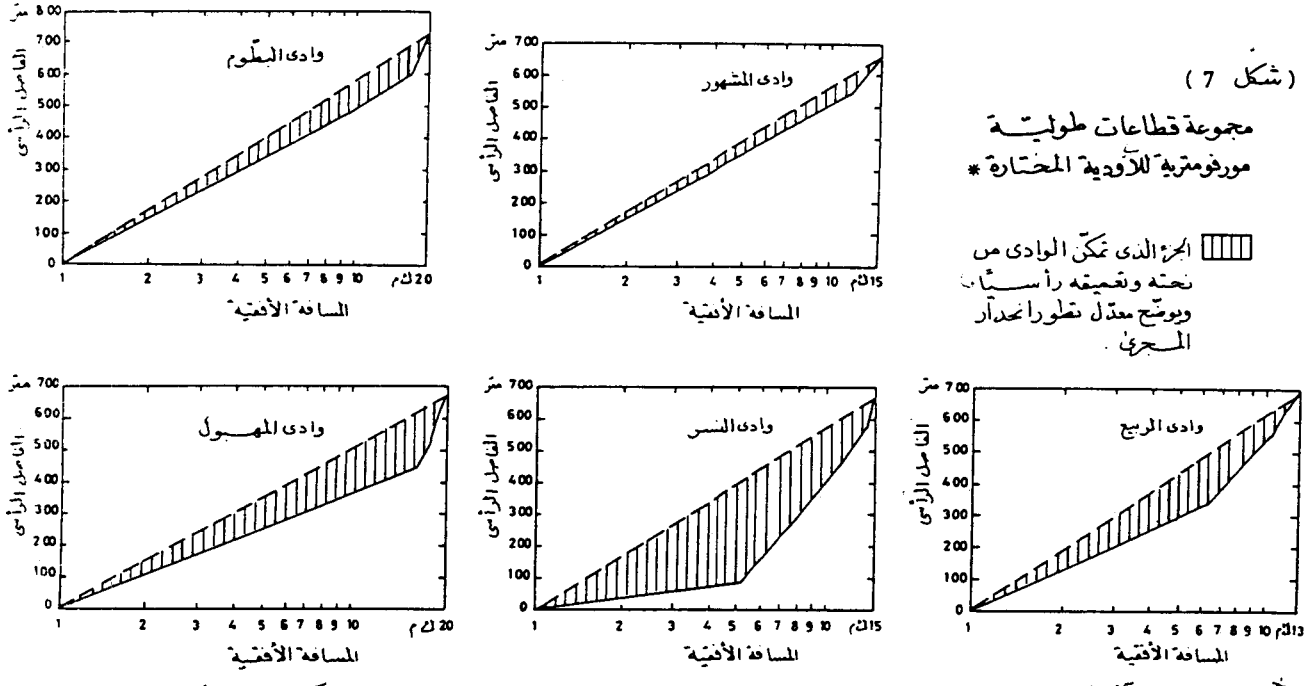

* أستخدم الحاسب الآلى فى إنشاء هذه المجموعة من القطاعات، ورسمت على ورق نصف لوغاريتمى، وهى تمثل انحدار شبكة التصريف بكل رتبة.

تحليل الخريطة الكنتورية:

بدراسة الخريطة الطبوغرافية لمنطقة البحث (شكل رقم 2) وخريطة الكنتور (شكل رقم 5)، نتبين أن خط الساحل يبدو مقوساً كخليج مفتوح، بينما تظهر الدرجة الثانية للجبل الأخضر كقوس أيضاً، ولكن كبروز ممتد في اتجاه الشمال، وبذلك يبدو القوسان أكثر تقارباً عند الأجزاء الوسطى من منطقة البحث، مما ساعد على شدة الانحدار الطولي لوادي النسر على وجه الخصوص، حيث ينحدر مجراه من منسوب 600 متر عند قمة الحافة وحتى خط الساحل، في مسافة لا تزيد عن سبعة كيلومترات، مما أكسبه طاقة نهرية تفوق الأودية الأخرى التي تقطع حافتي الجبل الأخضر عند طرفي إقليم البحث، نستخلص من ذلك أن الانحدار (الأصلي) الأولي لسطح الأرض Initial Slope هو المسؤول عن التفاوت النسبي لقيمة الجزء المقطوع من الدورة التحاتية للأودية المدروسة.

دلائل التطور الجيومورفولوجي للأودية:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الأدلة لتتبع مراحل التطور الجيومورفولوجي للأودية المختارة ميدانياً، التي توضح نتائجها الخريطة الجيومورفولوجية للجزء الأدنى من وادي النسر (شكل رقم 8)، وهذه الأدلة هي:

1 ـ نقاط تجديد الشباب Points of Rejunvenation:

تظهر أربع مجموعات من نقاط تجديد الشباب على معظم القطاعات الطولية لمجاري الأودية المدروسة [1]، إلا أن هذا العدد يقل إلى اثنتين فقط في وادي المهبول والنسر، بسبب زيادة معدل التراجع الخلفي لنقاط التجديد خلال تكوين الأثرون (كريتاسي أعلى)، الذي يتألف من الأحجار الجيرية الطباشيرية

(1) مجموعة من القطاعات الطولية لمجاري الأودية واردة في أطلس أودية الجبل الأخضر: الهرام وآخرون، 1986 م، ص 39، 59 69، 82، 97.

الأقل صلابة من تكويني درنة وأبولونيا، مما أسهم في اتفاق مناسيب نقاط التجديد التابعة لمرحلتين مختلفتين من انخفاض منسوب سطح البحر، أما الآفاق الصوانية Flint التي تتخلل الأحجار الجيرية فقد عملت على ظهور الشكل السلمي لنقاط التجديد بمجرى وادي المهبول. كما تتمثل على معظم القطاعات نقطة قطع بنيوية Structural Knick point عند منسوب حوالى 600 متر، ناجمة عن الحركة الصدعية المشكلة للدرجة الثانية للجبل الأخضر.

2 ـ المدرجات النهرية River Terraces:

أمكن تتبع عدة مجموعات من بقايا المدرجات النهرية على جانبي وادي النسر والبطوم، وتم قياس ارتفاع قطوعها بالنسبة للقاع الحالي، وتم تصنيفها من المجموعات الآتية:

المستوى الأول (الأعلى) 60 ـ 70 متراً.

المستوى الثاني 40 ـ 35 متراً.

المستوى الثالث 20 ـ 27 متراً.

المستوى الرابع 12 ـ 16 متراً.

ولوحظ أن هذه البقايا تتمثل بوضوح على الضفاف المحدبة للثنيات، وأجزاء متناثرة من المجاري المستقيمة للواديين، حيثما تتوافر الظروف الملائمة لحفظها (شكل رقم 8). وتتركب رواسب هذه المدرجات من التكوينات الصلصالية الرملية والحصوية، وتتداخل بينها مستويات من الحصى وشظايا الأحجار الجيرية والحصى شبه المستدير، مختلط مع بعض الكتل سيئة الصقل والاستدارة، مما يوحي بإمكانية تشكيل هذه المدرجات بصورة مركبة، تشترك فيها عمليات حركة المواد القديمة على سفوح جوانب الأودية، قبيل التخفيض المستمر لمستوى القاعدة العام. ولكن هذه المدرجات تبدو في كثير من أجزاء الواديين في حالة مشوشة وغير واضحة المعالم، وخاصة المستويات العليا الثلاثة، بتأثير السيول الحديثة وعوامل التعرية الأخرى.

3 ـ ظاهرة وادٍ داخل وادٍ Valley In Valley Shape :

تتمثل هذه الظاهرة بوضوح على طول الأجزاء الوسطى لمعظم الأودية محل الدراسة، وخاصة أودية المشهور والحولة[1] والنسر والبطوم والمهبول، كما أمكن ملاحظتها على جوانب المسيلات الجبلية Gullies، التي تقطع الدرجة الأولى للجبل الأخضر، ويرتبط وجودها بالمواضع التي تضيق عندها الأودية بصورة لا تسمح بتشكيل المدرجات على ضفافها، وقد أمكن تتبع أربعة مستويات للتقويض الجانبي Lateral Corrasion، ترتبط مناسيبها بأسطح المدرجات النهرية القديمة.

4 ـ الثنيات المتعمقة Incised Meanders :

تكاد ترتبط الثنيات المتعمقة بالأجزاء الوسطى لجميع الأودية المدروسة، وتكون معاً نطاقاً عرضياً موازياً للدرجة الأولى للجبل الأخضر، وتبعد عنه بحوالى 2 ـ 3 كم للجنوب، ويتراوح اتساع هذا النطاق بين الكيلومتر الواحد وكسوره، وتنتشر به عدة مستويات للتعميق الرأسي للثنيات Multi Intrenched Meanders، تتميز بشدة انحدار جوانبها، كما لوحظ زيادة ارتفاع مناسيبها بالمقارنة بأسطح المدرجات، ومستويات التقويض الجانبي القديمة ببضعة أمتار، مما يدفعنا للاعتقاد بترجيح النشأة المزدوجة لهذه الثنيات، أي بسبب الانخفاض المتوالي لمستوى القاعدة العام الذي ساهم في تشكيل المدرجات النهرية، ومستويات النحت الجانبي لمجاري الأودية القديمة، بجانب حركة الرفع التكتونية الوئيدة التي تعرض لها إقليم الجبل الأخضر، ووضح تأثيرها عند حواف درجاته.

5 ـ خوانق النضال النهري Antecedents Georges :

تبدو مجموعة من الخوانق النهرية على طول النطاق السابق ذكره بالأجزاء المستقيمة من مجاري الأودية، حيث يتمثل بالجزء الأوسط من وادي الحولة

---

(1) يقع وادي الحولة فيما بين وادي «المشهور والنسر»، وتبلغ مساحته الحوضية نحو 11 كلم مربعاً.

نطاق من الخوانق يتعدى طوله التسعمائة متر (شكل رقم 8)، مما يعضد من الرأي المقترح باستمرار تعرض الحافة الأولى للجبل الأخضر لعدة مراحل متتابعة من حركات الرفع الحديثة، خلال الزمن الجيولوجي الرابع، وبصورة ملازمة للانخفاض المتوالي لسطح البحر.

6 ـ الأسر النهري River Capture:

أفادت الدراسة الميدانية بوجود محاولة للأسر النهري، إذ كاد أحد روافد وادي النسر أن يأسر المنابع العليا لوادي الحولة المتاخم له غرباً، لولا تحول المناخ للجفاف الحالي، ولم يترك سوى بضعة أمتار فاصلة بين كوع الأسر Elbow of Capture وفجوة الأسر Wind Gap. وقد استغلت هذه المسافة في إنشاء الطريق الممتد بين مدينتي شحات وسوسة (شكل رقم 8).

ويمكن استخدام محاولة وادي النسر للاستيلاء على حمولة وادٍ مجاور له دليلاً جديداً على شدة طاقته النهرية، وإنجازه جزءاً أكبر من مراحل دورته التحاتية، على الرغم من تماثل الظروف الجيولوجية والمناخية للواديين، فكلاهما يعتبر من الأنهار الأصلية Consequent Streams، كما تأثرا معاً بالذبذبات المناخية في كميات المطر الساقطة على الإقليم، بل وكانا يعملان سوياً على مستوى القاعدة العام، الذي تركت ذبذباته بصماتها على مجرى الواديين.

7 ـ الأرصفة البحرية Marine Benches:

أمكن التعرف على خمس مجموعات من الأرصفة البحرية، تنتشر بقاياها على طول النطاق الساحلي للمنطقة، وسفوح الدرجة الأولى للجبل الأخضر. وقد تم الاعتماد على عدد من الأدلة الجيومورفولوجية والطبوغرافية عند فحص وتصنيف هذه البقايا، وأهمها مقارنة زوايا انحدار مقدمات هذه الأرصفة ودرجة استواء سطوحها، والارتباط والمضاهاة بين مناسيب بقاياها، إلى جانب دراسة بعض الظواهر الجيومورفولوجية المتمثلة على هذه الأرصفة، وخاصة الكهوف

والفجوات البحرية، والإرسابات البحرية الحاوية للأصداف، والتوزيع الجغرافي للكثبان البحرية الحفرية Calcarenite، التي بلغ سمك بعض تكويناتها بمنطقة سوسة أكثر من الأمتار الأربعة، وباتساع أكثر من 80 متراً El - Ebaidi, S.K., 1985.

وإذا أضيفت هذه الأدلة الجيومورفولوجية إلى الشواهد الاستراتيجرافية والباليونتولوجية والأركيولوجية التي قدمها العديد من الباحثين أمثال: Hey, R.W, 1956, 1962, Mcburney C, & Hey, R 1985 (جودة 1968) وأيضاً (محمد العرفي 1990). وفي ضوء هذه الدراسات إلى جانب ما أمكن الوصول إليه من نتائج بالدراسة الميدانية، نستطيع تصنيف بقايا هذه الأرصفة إلى عدة مجموعات، بعد ربطها بمناسيب البحر المتوسط خلال الذبذبات البلايوستوسينية على النحو التالي:

الرصيف	المنسوب بالأمتار	تأريخ الرصف
1 ـ الرصيف الصقلي	85 ـ 90	ما قبل جونز
2 ـ الرصيف الميلازي	45 ـ 55	جونز/ مندل
3 ـ الرصيف التيراني	35 ـ 40	مندل/ ريس
4 ـ الرصيف المناستيري	18 ـ 25	ريس/ فورم
5 ـ الرصيف المناستيري المتأخر	5 أمتار	ما بعد الجليد

(شكل 8) مورفولوجية الجزء الأدنى من وادي النسر ووادي الحولة

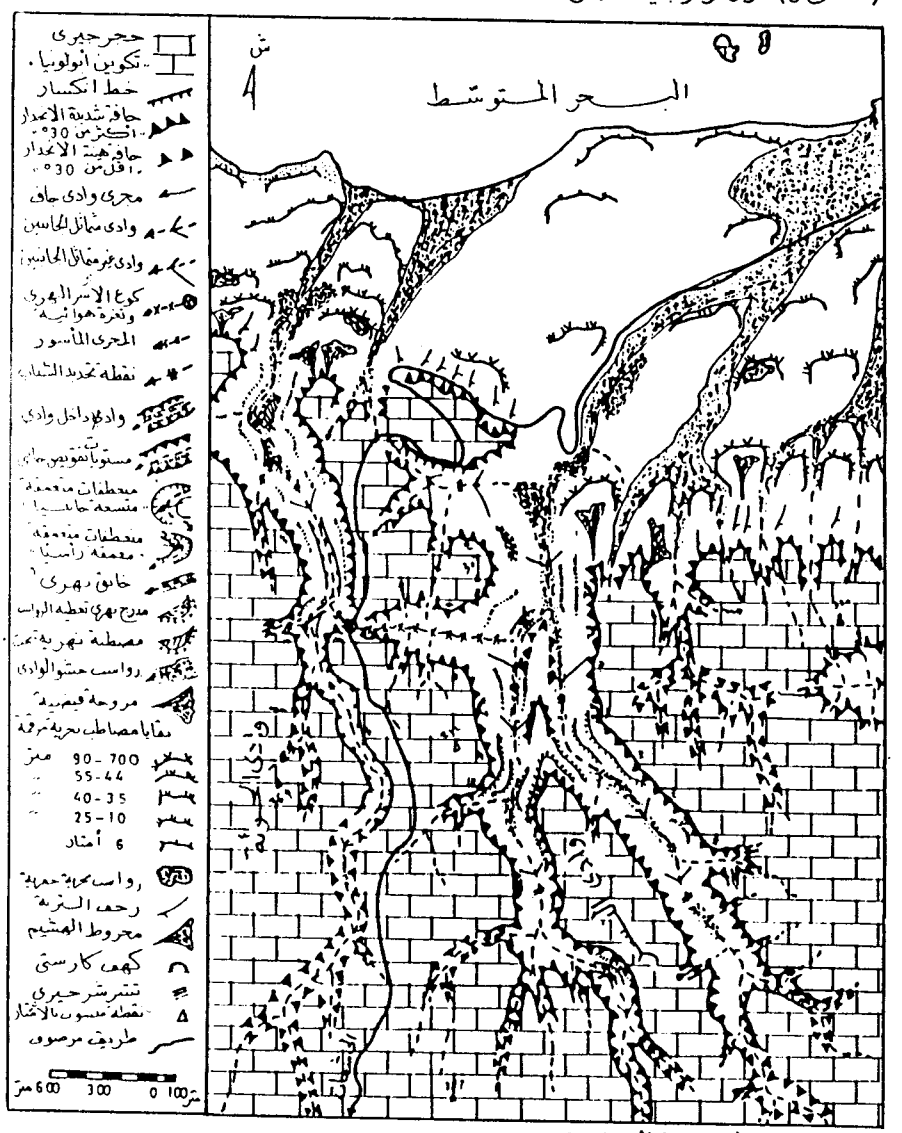

المصدر : الدراسة الحقلية .

مراحل التطور الجيومورفولوجي للأودية:

بناءً على نتائج التحليل المورفومتري، ودراسة وربط الدلائل الجيومورفولوجية السابقة، يمكننا استنباط مراحل التطور الجيومورفولوجي للأودية المدروسة وإيجازها في النقاط الآتية:

1 ـ بدأ تشكيل مجموعة الأودية بالمنطقة أواخر عصر الميوسين وأوائل البليوسين كمجار أصلية تتبع ميل الطبقات، إلا أن هذه المجموعة من الأودية لم تنجح في شق مجاريها بصورة متزامنة، حيث ساهم الانحدار الأولي لسطح الأرض في ظهور أودية القطاع الأوسط من المنطقة (نظراً لقرب الحافة الانكسارية من ساحل البحر)، وخاصة واديا النسر والبطوم، وبدأت بقية النظم التصريفية بالمنطقة في الظهور خلال مرحلة تالية لهما.

2 ـ ساهم اختلاف تأثير عامل الانحدار الأولي لسطح الأرض، بالإضافة لنظم العيوب والفوالق التي نشأت بالمنطقة، في حدوث اضطرابات في توجيه التصريف المائي التابع Consequent Streams، فساعد على حدوث بعض عمليات الأسر النهري بين مجاريه، وخاصة بعد تشكيل المجاري التالية القصيرة Subsequent Streams، التي يتفق معظمها مع خطوط الضعف الجيولوجي في اتجاه شرق الشمال الشرقي، غرب الجنوب الغربي.

3 ـ استمرت حركات الرفع التكتونية خلال الزمن الجيولوجي الرابع، ونجحت أودية المنطقة في استمرار جريانها للشمال، ومقاومة حركة الرفع بالمزيد من التعميق الرأسي Vertical Erosion، وتحولت بالتالي إلى مجموعة من الأودية المناضلة Antecedents Valleys، وتشكلت خلال هذه الفترة مجموعة من الخوانق النهرية.

4 ـ تعرضت المنطقة لانخفاض مستوى القاعدة العام خمس مرات خلال البليوسين/ البلايستوسين، وبصورة معاصرة لخمس فترات مطيرة تركت آثارها على مجاري الأودية، فيما عدا الفترة الأخيرة (الرصيف البحري 5 أمتار)، التي لم تدم فترة زمنية كافية لتشكيل نقطة تجديد ومدرج نهري مصاحب لها.

المصادر والمراجع

أ) باللغة العربية:

1 ـ جودة حسنين جودة، 1975 م:
برقة والبطنان في أواخر الزمن الجيولوجي الثالث وأثناء الزمن الرابع، دراسة في الجيومورفولوجيا المناخية، ضمن أبحاث في جيومورفولوجية الأراضي الليبية، الجزء الثاني، منشورات جامعة بنغازي، ص 13 ـ 42.

2 ـ فتحي أحمد الهرام، جبريل امطول، عثمان العوشار 1987 م:
أطلس أودية الجبل الأخضر، منشورات مركز البحوث، جامعة قاريونس.

3 ـ محمد علي عبد الرحيم العرفي، 1990 م:
توزيع المدرجات النهرية بأودية الجبل الأخضر وأصل تكوينها، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس.

4 ـ محمد مجدي تراب، 1988 م:
حوض وادي بدع ـ جنوب غرب السويس، دراسة جيومورفولوجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

ب) باللغات الأجنبية:

1 - Army Map Service, 1967:
Topographic maps in Scale 1:50,000, plate no. 3790 IV, 3690 I, 3690 IV, U.S.A.

2 - Chorley, R.J., Malm, D.E., and Paoqrzelski, H.A., 1957: A new standard for Estimating Drainage Basin shape, Amer, J., Sci, Vol. 255, pp. 138 - 141.

3 - El-Ebaidi, S.K., 1985:
Calcarenites of Al-Jabal Al-Akhdar, Special project, Dept. of Earth Sciences, Univ. of Garyounis, Libya.
4 - Gardiner, V., 1975:
Drainage Basin Morphometry Brit. Geomorph. Res. Group Tech, Bull. 14. Norwich: Geo. Abstracts.
5 - Gravelius, H., 1914:
Flusslounde, 1, Berlin and Leipzig.
6 - Gregory, J.W., 1911:
The Geology of Cyrenaica Q. J. Geol. Soc. London. Vol. 67, No. 268. London.
7 - Hey, K. W., 1956:
The Pleistocene shoreline of Cyrenaica. Quaternaria, Stal., Vol. 3, Roma.
8 - Horton, R.E., 1932:
Drainage Basin characteristics, Transactions of the American Georgraphical Union, 13, pp. 350 - 361.
9 - Mayer, L., 1990:
Introduction to Quantitative Geomorphology, Prentice Hall, New Jersey, U.S.A., 580 p.
10 - Miller, V.G., 1953:
Quantitative Geomorphic study of Drainage Basin characteristics in the Clinch Mountain Area, Va and Tenn. Office Naval Research Project NR 389 - 042, Tech, Rept. 3, Columbia Univ.
11 - Muller, E.H., 1974:
Origins of Drumlins in Glacial Geom., (Ed. Cates, D.R.), Binghamton, New York: State Univ., pp. 187 - 207.
12 - Pietersz, C.R., 1968:
Proposed nomenclaure for rock units in Northern Cyrenaica. Petrol. Explor. Soc. Libya. 10th Ann. Field Conf., 1968. In Geology and Archeology of Northern Cyrenaica (Ed. Basr, F.T.), pp. 125 - 130, Tripoli.
13 - Rohlich, P., 1978:
Geological Development of Jabal Al-Akhdar, Libya, Geol. Rundschan. vol. 67, Stuttgard.
14 - -----, 1980:
Tectonic Development of Al-Jabal Al-Akhdar, The Geology of Libya,

V. III, (Edit. Salem, J., and Busrowil, M.T.), Academic Press, pp. 923 - 931, Tripoli.

15 - Schumm, S.A., 1956:
Evolution of Drainage Systems and slopes in Badlands at Perth Amboy, New Jersey, Bull. Amer. Geol. Soc. 67, pp. 597 - 646.

16 - Stahler, A.N., 1952:
Hydrometric (Area-Altitude) Analysis of Erosional Topography, Bull. Geol. Soc. Amer., 63, pp. 1117 - 42.

17 - Stefanini, G., 1930:
Struttra Geologica della cirenaica e cenni Descrittivia Corredo dello Schizzo Geologico Dimostrative della Cirenaica, In: La Cirenaica Geografica Economica, Politica Milana.

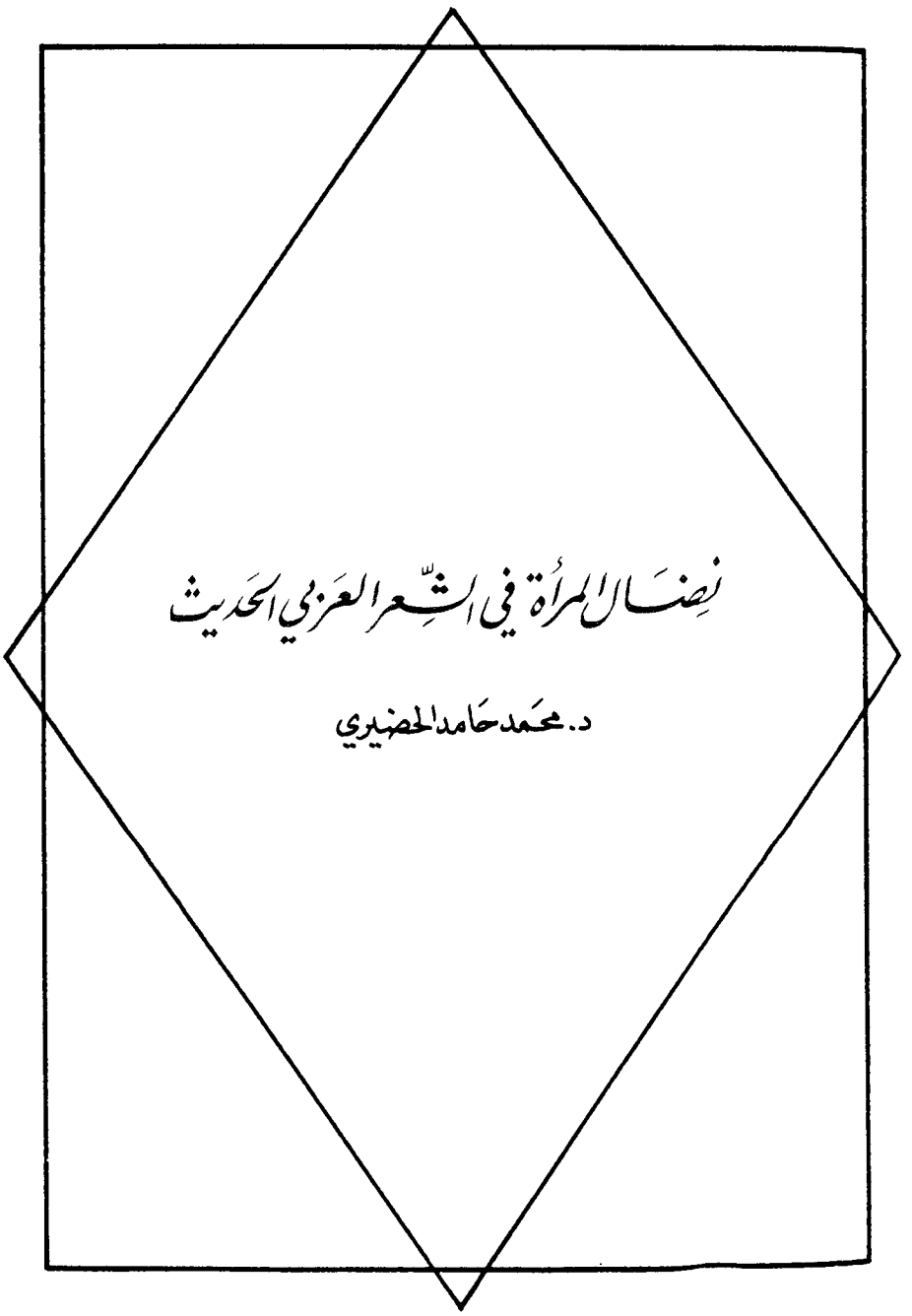

نضال المرأة في الشعر العربي الحديث

د. محمد حامد الحضيري

نضال المرأة في الشعر العربي الحديث

«المقدمـــة»

لقد أبرزت في هذا الملخص المواضيع الأساسية التي تناولها موضوع بحثي تحت عنوان: ـ نضال المرأة في الشعر العربي الحديث، قدمت له بمقدمة، ومدخل مختصرين، وقسمته إلى فقرتين رئيسيتين وخاتمة، فتناولت في المقدمة الأسباب الداعية لهذا البحث، وهي استقصاء نضال شاعراتنا العربيات في إنتاجهن الشعري الحديث، وألحقت هذه المقدمة بخلفيات لهذا الشعر في قديمه الذي كان مرآة صادقة لنضال المرأة الشاعرة، مقرون ـ ذلك كله ـ بنضال المرأة المعاصرة كمناضلة خلدتها أعمال بطولية، إما في حركات وطنية تحريرية، أو في عمليات انتحارية، أو في مجال الحياة السياسية من أجل التحرير والحرية.

كان همي من كل ذلك أن أقدم المرأة في ثوب من العصرية النضالية، كإنسانة لها قدراتها وإبداعاتها الخلاقة، لنصل من ذلك كله إلى نتائج محددة علها تضيء السبيل لفتاة عصرنا كي تتمكن من أداء دورها النضالي في تحرير المرأة، وخوض غمار الحياة في نواحيها المختلفة، وخاصة السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية وتقويم ما ساد مجتمعنا العربي من تخلف في هذا الميدان.

«المدخـــل»

وفي مدخل البحث كشفت عن أهمية قديمنا الشعري من خلال ما دونته المرأة المناضلة، ووضحت أن قديمنا كان ثورة وتحريضاً وتخليداً للأبطال وحثاً على الموت في سبيل الحياة، ودللت على ما قصدت إليه بهذا البيت لليلى الأخيلية. قالت[1]:

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا الْفَتَى لاَقَى الْحِمامَ كَرِيمَا

ووضحت في هذا المدخل أن ألمع من ترك أثراً واضحاً في نضال المرأة العربية الشاعرة، هي خنساء العرب التي كانت رمزاً صادقاً للفداء والتضحية لتحريضها فلذات كبدها على الاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، وارتبط ذلك كله بما سبقه من جهاد أخويها صخر ومعاوية اللذين بقيا ثورة في شعرها النضالي، بغض النظر عن أنه شعر بكاء ورثاء، ومن ذلك في رثائها لصخر[2]:

وَمَا كَرَّ إِلاَّ كَانَ أَوَّلَ طَاعِنٍ وَلاَ أَبْصَرَتْهُ الْخَيْلُ إِلاَّ اقْشَعَرَّتِ

وختمت هذا المدخل ببيان ما كان سائداً في قديمنا من محاربة الخدر وحياة القصور، وأوردت أبياتاً شعرية لميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد، وزوجة معاوية، من ذلك قولها[3]:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشُّفُوفِ
وَبَيْتٌ تَخْفِقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرٍ مُنِيفِ

(1) أبي الحسن علي بن محمد المعافري: «الحدائق الغناء في أخبار النساء» تراجم شهيرات النساء في عصر الإسلام، تقديم وتحقيق د. عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس. 1398 هـ ـ 1978 م. ص (171).

(2) الخنساء بنت عمر بن الحارث: «ديوان الخنساء» ط 9، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983 م. ص (20).

(3) أبي الحسن المعافري: «الحدائق الغناء في أخبار النساء» ص (34).

أولاً:

نضال المرأة الفدائية
في الشعر العربي الحديث

وتناولت في الفقرة الأولى تحت عنوان «نضال المرأة الفدائية في الشعر العربي الحديث» دور المرأة المناضلة، واقتصرت حديثي على البطلة الشهيدة سناء محيدلي، والفدائية المناضلة جميلة العرب أبو حيرد، ولعل هذا التحديد فيه ما يكفي أن يكون مثلاً صادقاً على إبراز دور فتاتنا المناضلة في تحقيق انتصارات لأمتنا، وتسجيل بطولات نادرة في تاريخ كفاحنا المعاصر ضد القوى الظالمة، فكانت البطلة سناء نصراً للعرب، أرعبت الأعداء بمواقفها الشجاعة، وفدائيتها الصادقة. وتدلنا هذه الأبيات[4] الشعرية على ذلك:

أُرْعِبُوا لَمْ يَحْسِبُوا أَنَّ الْفَتَاةَ الْعَرَبِيَّهْ
تَعْشَقُ الْمَوْتَ سَبِيلاً لِقِتَالِ الْهَمَجِيَّهْ

وصمودها وإقدامها دفعاها إلى الاستشهاد، فلقنت العدو درساً قاسياً من ذلك[5]:

دَمَّرَتْهُمْ أَسْقَطَتْ خَمْسِينَ مَلْعُوناً خَسِيسَا
سَجَّلَتْ يَوْماً عَلَى أَجْنَادِ صَهْيُونَ عَبُوسَا

وكان دورها في تحقيق الانتصار فريداً، فكانت كلها إيماناً وصبراً وعقيدة[6]:

(4، 5، 6) د. محمد حامد الحضيري: قصيدة مخطوطة، تحت عنوان «البطلة الشهيدة سناء».

أَنْتِ لِلشَّعْبِ ثَأَرْتِ كُنْتِ فِي الدُّورِ فَرِيدَهْ
أَنْتِ لِلْوَطَنِ زَأَرْتِ لَمْ تُضَاهِيكِ عَنِيدَهْ
أَنْتِ لِلدِّينِ انْتَقَمْتِ أَنْتِ صَبْرٌ وَعَقِيدَهْ

وبعد أن عرضتُ لعديد من القصائد الشعرية التي كشفت عن دور المرأة المناضلة، ختمتُها بقصيدة تحت عنوان: «أنا فكرة»، كانت مثلاً صادقاً لتخليد دور المرأة العربية المناضلة ممثلة في جميلة العرب التي ظلت فكرة في قلوب الثائرين، وفي نفوس المناضلات، تحرض على الثورة من أجل الحرية وتحطيم القيود من ذل القهر والعبودية، وفي هَذِهِ الأبيات دليلنا على ما قصدنا إليه [7]:

اقتلوني..
أنا فكرة..
في العقول النيرهْ..
في النفوس الخيرهْ..
في دموع الكادحين..
في قلوب الطيبين..
عبر آلاف السنين..
مستقرهْ..
أنا فكرهْ..

* * *

اقتلوني..
أنا فكرهْ..
وتغنيها الشفاهْ..
بلحون خالدات..

(7) د. جواد البدري: مجموعة شعرية «كلمات طيبة» 1958 م. بغداد، من قصيدة «أنا فكرة» التي أهداها الشاعر إلى جميلة العرب، وإلى شهداء الحرية.

سوف تبقى لضياء الشمس..
تزهو بالحياةْ..
تحرق الظالم والظلم..
وأجداث الطغاةْ..
مثل جمرةْ..
أنا أنوار ونور..
أنا فكرةْ.....

ثانياً:

نضال المرأة الشاعرة
في الشعر العربي الحديث

ثم تناولت الفقرة الثانية تحت عنوان: «نضال المرأة الشاعرة في الشعر العربي الحديث» وقسمتها إلى عدة نقاط، اشتملت على الثورة على وضع المرأة والدعوة لتحريرها، وسلطت الأضواء على ما دار من خلاف في الآراء حول أداة النضال التحريرية في شعر المرأة المناضلة العربية، فهل هي السيف والبندقية أم أنها القلم والكتاب، وما يتبعهما من البكاء والتأسي والتنديد والعتاب؟ وألحقت ذلك كله بدور المرأة الشاعرة في الثورة على وضع المرأة العربية الفلسطينية وتحريرها من القيود المذلة في السجون الصهيونية، وعرّجت على تمجيد شاعراتنا المناضلات للشهداء باعتبارهم أبطال أمتنا، ومنارة هدينا، وأبرزت ما كان لنضال المرأة الشاعرة من دور فاعل في إرساء أساسيات عميقة الجذور لثورة أبطال الحجارة، ودعمت ما عرضتُه من مادة علمية حول المواضيع السابقة ببيان الأسباب التي كانت عائقاً في تحقيق نصر مؤزر على الأعداء، وحل المشكلات الراهنة التي أصيبت بالتدهور والردى، كشفت ذلك كله من خلال النقد الشعري البناء في قصائد العربيات المناضلات، مع بيان دور النفط في المعركة العربية الراهنة، وختمت بحثي بما أوحت به شاعراتنا العربيات في نضالهن الشعري من قيمة عبد الناصر، أولاً في ضمير المرأة الشاعرة ونضالها وثانياً باعتباره قدوة هذه الأمة في عصرها الراهن.

وأكدت في خاتمة بحثي على نتائج حقيقية وثابتة بدت في أهمية المرأة

ودورها النضالي في مواكبة زحفنا الثوري وتطلعات جماهيرنا المستقبلية في غرس قيم الحرية، وبناء أسس الوحدة العربية. وكشفت عما قدمته شاعراتنا العربيات من إبداعات رائدة، كانت منارة لمن أراد أن يسلك طريق الحرية في الثورة على أوضاع المرأة وتحريرها من القيد المذل والعبودية، وفتح السبيل أمامها لخوض غمار الحياة الاجتماعية والاقتصادية وخاصة السياسية منها. ثم وضحت ـ في حزن عميق ـ تخلفنا وعدم انتصارنا، وإن كان ما يقوم به أبطال ثورة الحجارة له فاعليته في قمع أعدائنا، ورد ثأرنا، إلا أن مواقف حكامنا العرب أمام طغيان العدو الآثم دون سبب، إنما هو وصمة عار في تاريخنا الحديث، يتحمل مسؤوليته القائمون على حكم هذا الوطن العربي من محيطه إلى خليجه.

(1)

ثورة على وضع المرأة
والدعوة لتحريرها

وضحت في هذه الفقرة من خلال مَا دَوَّنَتْهُ شاعراتنا في نضالهن من أجل تحرير المرأة، أنه على الرغم من ثورات التحرر التي سادت وطننا منذ ظهور الإسلام حتى عصرنا الحديث، فقد تبين أن المرأة ما تزال ترزح تحت قيود مثقلة بالعادات والتقاليد، والقمع والاستبداد، وكان دور المرأة الشاعرة إزاء ذلك هو تحطيم ذلك القيد بثورة شعرية عارمة، للرفع من شأن المرأة، وإبراز قيمتها كإنسانة له حقوق وعليها واجبات، تخوض غمار الحياة بجدارة، لا فرق بينها وبين الرجل في التكاليف الروحية، والمزايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، تدلنا على ما قصدنا إليه هذه الأبيات[8] من قصيدة لأم نزار، تحت عنوان: «بنت يعرب» تشيد بتحرير المرأة من ذل الخدر، وحياة المهانة والقهر، التي تعيشه بين الجدران المعتمة، والديار المظلمة، دون أن يكون لها دور في الحياة، كإنسانة لها حق في الحياة الحرة الكريمة:

انْهَضِـي يَـا ابْنَـةَ الْكِـرَامِ الصِّيـدِ ... أَسْـرِعِـيَ وَافْصُمِـي عُـرَى التَّقْلِيـدِ
هَيِّئِـي النَّفْـسَ لِلْحَيَـاةِ وَجِـدِّي ... يَـا أَعَـزَّ النِّسَـاءِ كَيْمَـا تَسُـودِي
حَطِّمِـي هَـذِهِ الْقُيُـودَ بِحَـزْمٍ ... أَوَمَـا قَـدْ سَئِمْـتِ ثِقْـلَ الْقُيُـودِ؟
قَـدْ أَطَلْـتِ الـرُّقَـادَ هَيَّـا اسْتَفِيقِـي ... لِتَنَـالِـي الْمُنَـى بِعَـزْمٍ عَتِيـدِ

وكشفتُ عن تلك الثورة الغاضبة على أوضاع المرأة، والدعوة لتحريرها

(8) د. بدوى طبانة: «أدب المرأة العراقية في القرن العشرين» ط 2، دار الثقافة، بيروت، ص (74).

من أولئك الذين ينقصون من قدرها ومكانتها، ويرفعون من قيمة الرجل دون مبرر، ووضّحتُ أن للمرأة أهميتها وشأنها إلى جانب ما للرجل من مكانة مرموقة وعظيمة في هذه الحياة المضطربة بالأحداث التي تحتاج إلى دور الرجل وإبداعاته الخلاقة، وإلى دور المرأة في تحقيق النهضة وما يلحق بها من شؤون الحياة في مسالكها الدقيقة، وأغوارها العميقة، وفي هذه الأبيات[9] جانب مما قصدنا إليه:

يَقُولُونَ..
إِنَّ الْكَلاَمَ امْتِيَازُ الرِّجَالِ..
فَلاَ تَنْطُقِي..
وَإِنَّ التَّغَزُّلَ فَنُّ الرِّجَالِ..
فَلاَ تَعْشَقِي..
وَإِنَّ الْكِتَابَةَ بَحْرٌ عَمِيقُ الْمِيَاهِ..
فَلاَ تَغْرَقِي..
وَهَا أَنَذَا قَدْ عَشِقْتُ كَثِيراً..
وَهَا أَنَذَا قَدْ سَبَحْتُ كَثِيراً..
وَقَاوَمْتُ كُلَّ الْبِحَارِ وَلَمْ أَغْرَقِ..

وعرّجت على جانب هام من ثورة أم نزار على وضع المرأة، وهو التحريض على تجنب ما يشين الفتاة العصرية من الوشي والزينة الذي وصل إلى حد الإسراف، ووضحت أن ما يزين المرأة المناضلة هو ما تتحلى به من أخلاق كريمة وأعمال نافعة عظيمة، وما تقدمه ـ على هذا الأساس ـ من خدمة لأمتها، والثورة على أوضاعها المتخلفة التي لا تزال ترزح تحت القيود. وهذه أبيات[10] أم نزار الدالة على ما قصدنا إليه:

---

(9) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ط 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، يناير 1989 م ص (17).

(10) د. بدوى طبانة: «أدب المرأة العراقية في القرن العشرين» ص (75).

كَيْفَ أَصْغَي وَبِنْتُ يَعْرُبَ أَضْحَتْ ... فِي ضَلَالٍ عَنِ الرَّشَادِ بَعِيدِ
لاَ تَرَى لِلْحَيَاةِ مَعْنًى سِوَى مَا ... تَقْتَنِي مِنْ حُلِيٍّ وَثَوْبٍ جَدِيدِ
أَرْغَمُوهَا عَلَى احْتِمَالِ إِسَارٍ ... بِوَعِيدٍ، وَتَارَةً بِوُعُودِ
جَعَلُوهَا تَخْتَالُ تِيهاً وَعُجْباً ... بِحُلِيٍّ تَزِينُهَا وَعُقُودِ
فَتَنَاسَتْ أَنَّ الْجَمَالَ بِعِلْمٍ ... لاَ بِتَجْمِيلِ أَعْيُنٍ وَخُدُودِ

يتفق معنى الأبيات السابقة في هذا مع الشعر المتعارف عليه بين صفوف شعبنا كمثل سائر:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا ... إِنَّ الْجَمَالَ جَمَالُ الْعِلْمِ وَالأَدَبِ

وتتبعت في إمعان ـ نضال المرأة الشاعرة في ثورتها على أوضاع فتاة العصر التي خنعت للبيع والشراء وبثمن بخس دراهم معدودة، وكانوا في مهرها من الزاهدين. إن ما تلوكه الألسن ـ في حاضرنا ـ من غلاء المهور، وبيع الفضليات، عزيزات المنال، بما يرضي أهلهن من عفن الدنيا كالذهب والحرير، والدولار الحقير، إنما هو ذل وقهر، ترفضه الفتاة الناهضة التي تأبى الخنوع، ولن ترضى إلى الخلف الرجوع، ووصلت ـ من ذلك ـ إلى أن مهر الفتاة الثائرة هو ترسيخ حريتها، والمواقف البطولية ذات الارتباط بتحرير وطنها، وبدون هذا وذاك، فلا حياة زوجية سعيدة، للفتاة العربية العصرية العتيدة، وما جاء في هذه الأبيات[11] من قصيدة لنعيمة جمال يكفي أن يكون مثلاً لما قصدنا إليه من تثمين المهر وقيمته من وجهة النظرة العصرية الثائرة:

فَلاَ عِزَّةً لِلْبِنْتِ إِنْ كَانَ مَهْرُهَا ... حَرِيراً وَدُولاَراً وَأَسْوِرَةً تُغْرِي
وَهَلْ تَقْبَلُ الْمَهْرَ الْمُهِينَ وَعَصْرُهَا ... جَمَاهِيرُهُ تَرْنُو إِلَى بَزْغَةِ الْفَجْرِ؟
فَمَهْرُ فَتَاةِ الْعَصْرِ تَحْرِيرُ شَعْبِهَا ... مِنَ الْعَسْفِ وَالإِذْلاَلِ وَالْقَمْعِ وَالْقَهْرِ
وَيُعْلِي ثَمِينَ الْمَهْرِ أَبْطَالُ يَعْرُبٍ ... يَذُودُونَ عَنْ حَوْضِ الْعُرُوبَةِ بِالْبُتْرِ

(11) نعيمة جمال: قصيدة شعرية مخطوطة بعنوان: «فتاة العصر الثائرة».

وَيَحْمُونَ ـ فِي صِدْقٍ ـ كَرَامَةَ أُمَّةٍ تَنَادَتْ لِتَخْلِيصِ الْبَنَاتِ مِنَ الْأَسْرِ
يُعِيدُونَ مَسْلُوباً، وَسَلْباً شَوَامِخاً أُسُوداً إِلَى الْهَيْجَاءِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
تُؤَازِرُهُمْ بِنْتُ الْعُرُوبَةِ فِي الْوَغَى فَكُلُّهُمُ عَزْمٌ عَلَى الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ
بَنَاتٌ يَقُمْنَ اللَّيْلَ يَحْرِسْنَ فَيْلَقاً وَجُنْدٌ تُزِيحُ الْعَتْمَ بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ

وختمت هذه الثورة على وضع الفتاة التي ظلت في حاضرنا تباع وتشترى كما يباع الرقيق، بهذه الأبيات الشعرية[12] لسعاد الصباح قولها:

مَزَاجِيَ أَنْ أَتَزَوَّجَ يَوْماً..
صَهِيلَ الْخُيُولِ الْجَمِيلَهْ..
فَكَيْفَ أُقِيمُ عَلَاقَةَ حُبٍّ؟..
إِذَا لَمْ تُعَمَّدْ بِمَاءِ الْبُطُولَهْ..
وَكَيْفَ تُحِبُّ النِّسَاءُ رِجَالاً..
بِغَيْرِ رُجُولَهْ..

* * *

وَمَاذَا تُرِيدُ النِّسَاءُ مِنَ الْحُبِّ إِلَّا..
قَصِيدَةَ شِعْرٍ..
وَوَقْفَةَ عِزٍّ..
وَسَيْفاً يُقَاتِلْ؟..
وَمَاذَا تُرِيدُ النِّسَاءُ مِنَ الْمَجْدِ..
أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَكُنَّ بَرِيقاً جَمِيلاً..
بِعَيْنَيْ مُنَاضِلْ..؟؟

(12) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ص (140، 144).

(2)

بين السيف والقلم، والبكاء والتأسي في نضال المرأة الشاعرة

وضحتُ في هذه الفقرة من البحث أهمية القلم ودور السيف في معارك القتال، وقرنتُ ذلك بأهمية التحريض الذي استند إلى البكاء والتأسي، وانتهيت إلى أن السيف هو الحد الفاصل في وضع الحقائق وضعها الطبيعي. فهذه الشاعرة سعاد الصباح التي تبكي على خريطة العرب بعد أن تغير شكلها، وسرقت أجزاء منها على مرأى من حكام العرب، كل ذلك كان في غيبة السلاح الذي جعل الشاعرة تذرف الدموع السخينة لتخفف من لوعتها المحرقة[13]:

كُلَّمَا مَرَّ بِبَالِي، عَرَبُ الْيَوْم، بَكَيتْ..
كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي حَالِ قُرَيْشٍ،
بَعْدَ أَنْ مَاتَ رَسُولُ اللَّه،
خَانَتْنِي دُمُوعِي، فَبَكَيْتُ،
كُلَّمَا أَبْصَرْتُ هَذَا الْوَطَنَ الْمُمْتَدَّ
بَيْنَ الْقَهْرِ وَالْقَهْرِ بَكَيْتْ..
كُلَّمَا حَدَّقْتُ فِي خَرِيطَةِ الْأَمْسِ
وَفِي خَارِطَةِ الْيَوْمِ..
بَكَيْتْ..

(13) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ص 135.

وارتبطت دموع سهير عليوة الشاعرة العربية بالتفاؤل بفجر جديد بعد طول ليل معتم مليء بالأحداث الجسام، آملة أن تجف تلك الدموع التي تتدفق على خديها بعد بزوغ الفجر الذي تحلم به في صيحتها الشعرية[14] الغاضبة.. من ذلك ما جاء بقولها:

لِمَاذَا الدُّمُوعُ؟..
وَلِلَّيْلِ فَجْرٌ.. وَمَهْمَا يَطُولُ لَهُ مُنْتَهَاه..
وَلِلشَّمْسِ دِفْءٌ.. عَلَى الْكَوْنِ يَرْنُو وَهَذَا مَدَاهْ..
وَلِلْبَدْرِ نُورٌ يُعِيدُ الظَّلاَمَ إِلَى مَا وَرَاهْ..

والشاعرة ملك عبد العزيز في نضالها من أجل الحرية، والأهداف العربية تعلي من أهمية القلم، بل تعتبره الخليل الوفي الذي يؤنسها في وحشتها ويزيل عنها كدر يومها وهم ليلها، ويدافع عن قضايا أمتها، وفي هذه الأبيات[15] ما يرشد إلى ذلك:

قَلَمِي يَا قَلَمِي لاَ تَنَأَ عَنِّي
لاَ تَدَعْنِي اصْطَلِي النِّيرَانَ وَحْدِي
أَدْنُ مِنِّي أَدْنُ مِنِّي أُغْرِقَكْ
فِي لَهِيبِ النَّارِ تَرْعَى ظَمَئِي

* * *

لَيْسَ غَيْرُ الْحَرْفِ يُرْوِي ظَمَئِي
لَيْسَ غَيْرُ الْحَرْفِ مِلْكِي وَانْتِصَارِي

وخلصنا ـ من كل ذلك ـ إلى أن شاعراتنا العربيات المناضلات قَدَّمْنَ السيف على ما عداه لخوض معركة النضال من أجل الحياة، وهذه أمثلة دالة

(14) سهير عليوة: «أرفض أن» «الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989 م، ص 43.
(15) ملك عبد العزيز: «بحر الصمت»، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988 م. ص (93).

على ما قصدنا إليه، منها ما جاء في هذه الأبيات[16] من قصيدة (فلسطين هيا ثورة عربية) التي دعت فيها الشاعرة إلى رد الثأر، لا بالشكوى، والتأسي، والبكاء، وإنما بالسيف البتار الذي يعلي الحق، ويمحق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً:

إِلَيْكِ عَنِ الشَّكْوَى فِلِسْطِينُ أَنَّنَا ... نُفُوسٌ سَتَحْيَا أَوْ تَكُونُ حُطَامَا
فِلِسْطِينُ هَيَّا ثَوْرَةً عَرَبِيَّةً ... تُصَيِّرُ أَبْرَاجَ الطُّغَاةِ رُكَامَا
فِلِسْطِينُ شُنِّيهَا ضَرُوساً لِنَارِهَا ... تَكُونُ جُسُومُ الظَّالِمِينَ ضِرَامَا
فِلِسْطِينُ شُنِّيهَا فَحَوْلَكِ أُمَّةٌ ... قَدِ اعْتَزَمَتْ أَلاَّ تَقُولَ سَلاَمَا
فَإِمَّا حَيَاةٌ تَحْتَ رَايَةِ وَحْدَةٍ ... وَإِمَّا تُرَوِينَا الطُّحُونُ زُؤَامَا

واهتمام لمعية العاطي بقضية فلسطين ارتبط بنظ الها الاجتماعي بما فيه من نقد بناء ساخر، وقد رأت في شفار السيف إعلاء كلمة الحق، ووقف مهازل الهزيمة النكراء، وردع المعتدين الآثمين، وقد شجبت ذلك البكاء المزري، حتى ولو كان من الأم الحنون التي فقدت وحيدها في معارك النضال، أو ندبت أسى ولوعة لفقدانه، حزينة مهمومة، وبالرغم من ذلك كله فإنها تحرض على الموت في سبيل الحياة باستخدام السيف في رقاب الأعداء[17]:

أَخِي أَرِنِي فِي كَفِّكَ السَّيْفَ مُصْلَتَا ... يَفُلُّ إِذَا جَرَّدْتَهُ الْحَجَرَ الصَّلْدَا
وَدَعْنِي أُرَوِّي الْعَيْنَ مِنْ بَهْجَةِ الدِّمَا ... فَإِنِّي سَئِمْتُ الْعَيْشَ أَغْبَرَ مُرْبَدَّا
أَتَعْجَبُ؟ هَلْ تَنْسَى دِمَاؤُكَ أَنَّهَا ... تَحَدَّرُ مِنْ عَدْنَانَ، أَكْرِمْ بِهِ جَدَّا
أَتَرْثِي لِيَأْسِي أَمْ تَلِينُ لِلَوْعَتِي ... وَفِي الْقُدْسِ آلاَفُ الْجَوَانِحِ لاَ تَهْدَا
فَهَا أَنَا أُخْتٌ بِالرِّدَاءِ تَشَبَّثَتْ ... فَلاَ تُلْقِ لِي بَالاً وَلاَ تَرْهَبْ الْبُعْدَا

(16) د. عاتكة الخزرجي: «المجموعة الشعرية الكاملة» «ستة دواوين ومسرحية» مطبعة حكومة الكويت، 1404 هـ ـ 1986 م. ص (110 ـ 111).
(17) د. بدوى طبانة: «أدب المرأة العراقية في القرن العشرين» ص (215).

وَأُمٌ بَكَتْ تَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الرَّدَى فَدَعْ دَمْعَهَا يَجْرِي، وَكُنْ رَجُلاً جَلْدَا
لَئِنْ كَرِهَتْ نَفْسِي هَلاَكَكَ فِي الْوَغَى لأَكْـرَهُ مِنْـهُ أَنْ أَرَاكَ هُنَـا عَبْـدا

وفي ثورة غاضبة تشجب فدوى طوقان البكاء على الديار، والتأسي والألم والحزن من أجل التحريض وحفز الهمم، إن ذلك لا يجدى فتيلاً، ولا يرد سلباً أو مسلوباً، وإنما هو السيف حكم في حل الخصام، وإلجام أفواه الطغام، ورد الحق المغتصب بشجاعة الأبطال العظام. وقالت[18] :

يَمِيناً بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ لَنْ أَبْكِي:
أَحِبَّائِي حِصَانُ الشِّعْبِ جَاوَزَ
كَبْوَةَ الْأَمْسِ

* * *

وَلَنْ نَرْتَاحَ، لَنْ نَرْتَاحَ
حَتَّى نَطْرُدَ الْأَشْبَاحَ
وَالْغِرْبَانَ وَالظُّلْمَهْ..

وقد اتفقت فدوى مع أخيها إبراهيم الذي كان رائد هذه الصيحة[19]، ونبه في وقت مبكر، بأن لا فائدة من التشاؤم والبكاء، وإنما هو الأمل في من يقدم الضحايا من أجل الوطن، جاء ذلك في قوله:

كَفْكِفْ دُمُوعَكَ لَيْسَ يَنْفَعُكَ الْبُكَاءُ وَلاَ الْعَوِيلُ
وَانْهَضْ وَلاَ تَشْكُ الزَّمَانَ فَمَا شَكَا إِلاَّ الْكَسُولُ

* * *

وَطَـنٌ يُبَـاعُ وَيُشْتَـرَى وَتَصِيـحُ فَلْيَحْيَـا الْـوَطَـنْ
لَـوْكُنْـتَ تَبْغِـي خَيْـرَهُ لَبَـذَلْـتَ مِـنْ دَمِـكَ الثَّمَـنْ

(18) فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان»، وحدي مع الأيام، ط 1، دار العودة بيروت، لبنان، 1/7/1978. ص (514 ـ 516).

(19) إبراهيم طوقان: «ديوان إبراهيم طوقان» من قصيدة بعنوان: «تفاؤل وأمل».

وَلَقُمْتَ تَضْمِدُ جُرْحَهُ لَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْفِطَنْ

ولن يتحقق ذلك إلا باستخدام السلاح، حتى لو كنا ظالمين وما ظلمنا، ولكننا ـ في موقف ـ المظلومون ـ ومع الشاعر زهير بن أبي سلمى المزني في هذا البيت[20] من معلقته الذي يدعم فيه نضال المرأة الشاعرة، ودعوتها لاستخدام الأداة الفاعلة في تحقيق الأهداف الجسام:

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ يُهَدَّمْ، وَمَنْ لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

ونختم هذه الأمثلة بما أثبتته نازك الملائكة أنه لا سلام ما دام عرب فلسطين يعيشون ظلام الخيام، ويعانون الذل والقهر والسقام، وأن السلام الذي تدعو له الشاعرة المناضلة هو استخدام السيف الذي لا ينثني أمام الطغيان، وهو الذي يحقق السلام، ويروض البغاة الطغام: من ذلك قولها[21]:

سَلاَمٌ خَادِعٌ غَدَّارْ..
يُلَطِّخُ جِيلَهُمْ بِالْعَارْ..
وَيَصْبغُ خَدَّهُمْ وَجَبِينَهُمْ بِالْقَارْ..

* * *

سَلاَمٌ سَوْفَ نَبْنِيهِ بِأَيْدِينَا..
وَلاَ يَمْنَحُنَا إِيَّاهُ فِي بَرْدِ لَيَالِينَا..
أَعَادِينَا، وَمَنْ وَالَى أَعَادِينَا..
غَداً شَعْبِيَ نَهْرٌ يَجْرِفُ الْأَوْحَالْ..
يُغَلْغِلُ فِي الرُّبَا الْمَقْطُوعَةِ الْأَوْصَالْ..
يُزِيحُ الظُّلْمَ وَالظَّالِمْ..

(20) الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني: «شرح المعلقات السبع» بشرح التبريزي، الطبعة الأخيرة، مطبعة عبد السلام بن سقرون، 1385 هـ ـ 1966 م. ص (104).
(21) نازك الملائكة: «الصلاة والثورة، شعر» دار العلم للملايين، بيروت، ص (181 ـ 182).

(3)

ثورة على وضع المرأة العربية الفلسطينية والدعوة لإنقاذها

وأبرزتُ عديداً من الأمثلة من شعر المناضلات العربيات من أجل تحرير المرأة العربية الفلسطينية، وتحقيق أحلامها في العودة لوطنها السليب، واكتفيت في هذا الصدد بما دونته فدوى طوقان في قولها[22]:

أَتُغْصَبُ أَرْضِي؟ أَيُسْلَبُ حَقِّيَ وأَبْقَى أَنَا
حَلِيفَ التَّشَرْدِ أَصْحَبُ ذِلَّةَ عَارِي هُنَا
أَأَبْقَى هُنَا لأَمُوتَ غَرِيباً بِأَرْضٍ غَرِيبَهْ
أَأَبْقَى؟ وَمَنْ قَالَهَا؟ سَأَعُودُ لأَرْضِي الْحَبِيبَهْ
بَلَى سَأَعُودُ، هُنَاكَ، سَيُطْوَى كِتابُ حَيَاتِي
سَيَحْنُو عَلَيَّ ثَرَاهَا الْكَرِيمُ، وَيُؤْوِي رُفَاتِي
سَأَرْجِعُ لاَ بُدّ مِنْ عَوْدَتِي
سَأَرْجِعُ مَهْمَا بَدَتْ مِحْنَتِي
وَقِصَّةُ عَارِي بِغَيْرِ نِهَايَهْ
سَأُنْهِي بِنَفْسِيَ هَذِي الرِّوايَهْ

(22) فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان» ص (154 ـ 155).

وعرضت لما أثبتته الشاعرة فدوى في قصيدتها «مع لاجئة في العيد»[23] ما جاشت به خوالجها من معاني الرقة والمواساة، لهذه اللاجئة العربية، فقد شدت أزرها، وباركت عيدها، وتألمت لسوء حالها، ونددت ـ من جانب آخر ـ بالفتاة المترفة اللاهية التي فقدت الضمير، وتناست أختها التي تقاسي الاضطهاد من صهيوني ذليل حقير:

أُخْتَاهُ هَذَا الْعِيدُ رَفَّ سَنَاهُ فِي رُوحِ الْوُجُودْ
وَأَشَاعَ فِي قَلْبِ الْحَيَاةِ بَشَاشَةَ الْفَجْرِ السَّعِيدْ
وَأَرَاكِ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ قَبَعْتِ تِمْثَالاً شَقِيًّا
مُتَهَالِكاً، يَطْوِي وَرَاءَ جُمُودِهِ أَلَماً عَتِيًّا
يَرْنُو إِلَى اللَّا شَيْء.. مُنْسَرِحاً مَعَ الْأُفْقِ الْبَعِيدْ
أُخْتَاهُ، هَذَا الْعِيدُ عِيدُ الْمُتْرَفِينَ الْهَانِئِينْ
عِيدُ الْأُلَى بِقُصُورِهِمْ وَبُرُوجِهِمْ مُتَمَتِّعِينْ
عِيدُ الْأُلَى لاَ الْعَارُ حَرَّكَهُمْ، وَلاَ ذُلُّ الْمَصِيرْ
فَكَأَنَّهُمْ جُثَثٌ هُنَاكَ بِلاَ حَيَاةٍ أَوْ شُعُورْ
أُخْتَاهُ، لاَ تَبْكِي، فَهَذَا الْعِيدُ عِيدُ الْمُتْرَفِينْ

وتتبعتُ ـ في إمعان ـ اهتمامات فدوى بالمرأة العربية الفلسطينية وكيف كانت بشعرها التحريضي، الحافز للهمم، مواسية ما آلت إليه من تشريد وتعذيب، ومتحسسة آلامها ومعاناتها في قصيدتها: «رقية من صور النكبة» التي أثارت النفوس الحية بذلك التصوير الرائع الذي يحفز الهمم ويثير المشاعر ويدفع الأحرار والثائرات إلى الثأر والانتقام وتحقيق الحرية، وهذه الأبيات من القصيدة نلحقها بالأمثلة السابقة[24]:

(رُقِيَّةُ) يَا قصةً مِنْ مَآسِي الْحِمَى سَطَّرَتْهَا أَكُفُّ الْغِيَرْ

(23) فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان» ص (140، 142 ـ 143).
(24) فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان» ص (146 ـ 149).

وَيَا صُورَةً مِنْ رُسُومِ التَّشَرُّدِ، وَالذُّلِّ، وَالصَّدعاتِ الْأُخَرْ
طَغَى الْقَرُّ فَانْطَرَحَتْ هَيْكَلاً شقِيَّ الظِّلَالِ شَقِيَّ الصُّوَرْ
مَتَى يُشْتَفى الثَّأْرُ؟ يَا لِلضَّحَايَا أَتُهْدَرُ تِلْكَ الدِّمَا الطَّاهِرَهْ
وَيَا لَلحِمَى! مَنْ يُجِيبُ النِّدَا نِدَاء جَرَاحَاتِهِ النَّافِرَهْ
وَقَدْ أُغْمِدَ السَّيْفُ، لاَ رَدَّ حَقًّا وَلاَ أَطْفَأَ الْغُلَّةَ السَّاعِرَهْ

ولن تتحقق الحرية المثلى للمرأة الفلسطينية التي تعاني الذل في سجون العدو إلا بثورة غاضبة تدعمها أصوات النيران اللاهبة، وإن ما جاء في نشيد فدوى طوقان يكفي أن يضاف لأدلتنا السابقة في هذا المضمار(25):

حُرِّيَّتِي، حُرِّيَّتِي، حُرِّيَتِي
صَوْتٌ أُرَدِّدُهُ بملءِ فَمِ الْغَضَبِ
تَحْتَ الرَّصَاصِ وَفِي اللَّهَبِ

* * *

سَأَظَلُ أَحْفُرُ اسْمَهَا وَأَنَا أُنَاضِلُ
فِي الْأَرْضِ، فِي الْجُدْرَانِ، فِي الْأَبْوَابِ، فِي شُرَفِ الْمَنَازِلْ

* * *

سَأَظَلُّ أَحْفُرُ اسْمَهَا حَتَّى أَرَاهُ
يَمْتَدُّ فِي وَطَنِي وَيَكْبَرْ
وَيَظَلُ يَكْبَرْ
حَتَّى يُغَطِّي كُلَّ شِبْرٍ فِي ثَرَاهْ
حَتَّى أَرَى الْحُرِّيَة الْحَمْرَاءَ تَفْتَحُ كُلَّ بَابْ
وَاللَّيْلُ يَهْرُبُ وَالضِّيَاءُ يَدُكُّ أَعْمِدَةَ الضَّبَابْ

(25) فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان» ص (554 ـ 556).

(4)

تخليد الشهداء، ومآثرهم البطولية في نضال المرأة الشاعرة

وَتَنَاوَلَتْ هذه الفقرة من البحث اهتمام شاعراتنا العربيات بتمجيد الشهداء، وتخليد مآثرهم، واتخاذهم قدوة للعمل الفدائي من أجل الحرية، وهذه أبيات لفدوى في إشادتها بمواقف الطالبة الشهيدة «منتهى حوراني» التي اغتالتها يد الغدر والعدوان[26]، جاء في خاتمة قصيدتها: «جريمة قتل في يوم من الأيام»:

وَمَا قَتَلُوا مُنْتَهى وَمَا صَلَبُوهَا
وَلَكِنَّمَا خَرَجَتْ مُنْتَهَى
تُعَلِّقُ أَقْمَارَ أَفْرَاحِهَا فِي السَّمَاءِ الْكَبِيرَهْ
وَتُعْلِنُ أَنَّ الْمَطَافَ الْقَدِيمَ انْتَهَى
وَتُعْلِنُ أَنَّ الْمَطَافَ الْجَدِيدَ ابْتَدَا

وأبرزتُ ما جاء عند ملك عبد العزيز[27] ـ إلى جانب تمجيد الشهداء ـ الإعلاء من قيمة الأم في هذا المضمار، لصبرها وجَلَدِها وتحملها المصائب. ففي قصيدتها «أم الشهيد» كشفتْ لنا أن الشهداء هم نبراس نضالنا، وهم وحدهم الذين يسجلون بدمائهم الزكية فخر أمتنا، ومجدها. تدلنا هذه الأبيات من القصيدة على ما قصدنا إليه:

(26) فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان» ص (563).
(27) ملك عبد العزيز: «بحر الصمت» ط 2، ص (111).

كَيْفَ يَغْفُو وَوُحُوشُ الْغَابِ تَلْهُو وَسطَ أَرْضِهْ
تَرِدُ الْمَاءَ خِفَاقاً وَيُنَحى دُونَ حَوْضِهْ
فَجَّرَتْ فِي قَلْبِهِ الثَّائِرِ بْرِكَاناً لِبُغْضِهْ
فَانْبَرَى يَدْفَعُ عَارَ الذُّلِّ عَنْ قُدْسِيِّ أَرْضِهْ
بِالدَّمِ الْغَالِي أَفْتَداهَا وَافْتَدَى غَالِيَ عِرْضِهْ

(5)

ثـــورة الحجـــارة
في نضال المرأة الشاعرة

وتناولتُ في فاتحة هذه الفقرة قصيدة لفدوى طوقان بعد النكبة تحت عنوان «رسالة إلى طفلين في الضفة الشرقية»: (إلى كرمة وعمر) وكأن فدوى سبقت الأحداث بهذه الرؤية البعيدة الثاقبة، بأن هؤلاء الأطفال سيكون لهم في يوم من الأيام شأن، وأي شأن أفضل من أن يكونوا رواداً وقواداً لثورة متأججة، كانت ناراً تلظى على الطغام الأعداء، تدلنا هذه الأبيات[28] إلى ما قصدنا إليه:

لاَ تَسْأَلُوا مَتَى وَكَيْفَ تَنْتَهِي
حِكَايَةُ الشَّتَاتِ وَالضَّيَاعْ
لَنْ تَفْهَمُوا الْيَوْمَ الْجَوَابْ
وَحِينَ تَكْبَرُونَ يَا أَحِبَّتِي
تُنْبِيكُمُو الْأَيَّامْ
وَيَوْمَهَا سَتَحْمِلُونَ الْعِبْءَ مِثْلَنَا
وَتَأْخُذُونَ الدَّوْرَ مِثْلَنَا
فِي قِصَّةِ الْكِفَاحْ
طَوِيلَةٌ قِصَّتُنَا طَوِيلَةٌ
حِكَايَةُ الْكِفَاحْ

(28) فدوى طوقان: ديوان فدوى طوقان»، ص (498).

وَيَوْمَهَا يَا كَنْزَنَا الْمَنْذُورَ
سَتَعْرِفُونْ
مَتَى وَأَيْن يَلْتَقِي الْمُشَتَّتُونْ
وَكَيْفَ تَنْتَهِي حِكَايَةُ الشَّتَاتِ
وَالضَّيَاعْ

وبدا اهتمام الشاعرة المناضلة بثورة الحجارة، وهذا العمل الأدبي المشرق يرفع رأس المرأة عالياً في هذا الجو المضطرب بالأحداث والمواقف العربية الهزيلة بجانب هذه الانتفاضة التاريخية العظيمة التي تعد درساً لمن رام أن يذود عن الشرف، ويحمي الذمار، ويرد الحق السليب إلى الديار. وهذه الأبيات من قصيدة الشاعرة سهير عليوة: «علمني لغة الأحجار» تكفي مثلاً صادقاً على ما نحن بصدد الحديث عنه[29]:

يَا طِفْلَ الْأَحْجَارِ تَقَدَّمْ..
عَلِّمْنِي لُغَةَ الْأَحْجَارْ..
كَيْفَ الْحَجَرُ بِكَفِّكَ يَدْوِي..
مِثْلَ أَبَابِيلِ الْأَطْيَارْ..
كَيْفَ وَأَنْتَ صَغِيرٌ تَصْعَقْ..
كَيْفَ تُهَدِّدُ كَالْإِعْصَارْ..

* * *

وكشفتْ الشاعرة سبيلاً لتحدي العدو، في مناجاتها لأطفال الحجارة الذين أثبتوا بموافقهم الشجاعة جدارتهم وقدرتهم على مواجهة الصعاب، كالأسد الغضاب، إن ذلك الطريق هو أن يكون شعر النضال[30] في هذه الفترة من كفاح شعبنا في الأرض المحتلة تحدياً وغضباً ضد المعتدي الغاصب، يلهب الحماس، ويحرض الثوار الأحرار على إشعالها ناراً تلظى:

(29، 30) سهير عليوة: «أرفض أن» ص (77 ـ 80).

عَلِّمْنِي يَا طِفْلَ الْحَجَرِ..
مِثْلَكَ أَتَحَدَّى الْأَخْطَارْ..
كَيْفَ الْأَشْعَارُ أُرَتِّلُهَا..
بِلَهِيبِ النَّارِ..
أَغْرِسُهَا..
بِذِراعِ الطِّفْلِ..
بِحُقُولِ الْقَمْحِ..
وَفَوْقَ الْأَسْطُحِ وَالْأَنْهَارْ..
وَأُغَيِّرُ عِنْوَانَ قَصِيدِي..
وَأُغَيِّرُ أَوْزَانَ الشِّعْرِ..
وَأُحَدِّدُ كُلَّ الْأَفْكَارْ..
فَالْمَاءُ دِمَاء..
وَحَرَامٌ هَذِي الْأَشْعَارْ..
وَرُؤُوسُ الشُّهَدَاءِ تُعَلَّقْ..
فَوْقَ الْأَشْجَارْ..

ووضحتُ في خاتمة هذه الفقرة أن تلك الحجارة التي يستخدمها الثوار الصغار، إنما هي سلاح متين لم ينثن أمام الظلم والطغيان، ولم يستطع العدو الآثم إخماد نارها المتأججة التي أفقدته أعصابه، وشلت قواه المادية والمعنوية.

وخاتمة القصيدة[31] دليل على ذلك:

خَبِّرْنِي يَا طِفْلَ الْأَحْجَارْ..
كَيْفَ الْحَجَرُ بِكَفِّكَ يَضْوِي..
مِثْلَ مَلَايِينِ الْأَقْمَارْ..

(31) سهير عليوة: «أرفض أن» ص (77 ـ 80).

كَيْفَ تُحِيلُ الْحَجَرَ سِلَاحاً . .
كَيْفَ يَكُونُ الْحَجَرُ وِشَاحاً . .
كَيْفَ تُهَدِّدُ كَالْإِعْصَارْ . .
كَيْفَ وَأَنْتَ صَغِيرٌ تَصْعَقْ . .
كَيْفَ؟ وَعُمْرُكَ كَالْأَزْهَارْ . .
كَيْفَ الْحَجَرُ بِكَفِّكَ يَدْوِي . .
مِثْلَ أَبَابِيلِ الْأَطْيَارْ . .

(6)

النقــد البنـــاء
في نضال المرأة الشاعرة

وألحقت الأمثلة السابقة من نضال المرأة الشاعرة بدورها في نقد أوضاعنا العربية، وكشف ما آل إليه حال الأمة، وما بلغت إليه قضية فلسطين الجريحة من تدن، وهزائم متكررة دون أن يكون لحكام العرب دور في تحقيق نصر يرد الاعتبار، ويمسح مكامن الداء والعار، حتى يدعموا ثورة أبطال الحجارة، ولكنَّهم لم يفعلوا، بل هربوا أن يواجهوا هذه الشرارة. تبدو هذه النقدات الجارحة فيما جاء عند فدوى طوقان(32):

مَا زِلْنَا فِي غُرَفِ التَّخْدِيرِ
عَلَى سُرُرِ التَّخْدِيرِ نَنَامْ
وَالْعَامُ يَمُرُّ وَرَاءَ الْعَامْ
وَرَاءَ الْعَامِ وَرَاءَ الْعَامْ
وَالْأَرْضُ تَمِيدُ بِنَا وَالسَّقْفُ
يَهِيلُ رُكَاماً فَوْقَ رُكَامْ
وَالْكَذِبُ يُغَطِّينَا مِنْ قِمَّةِ هَامَتِنَا
حَتَّى الْأَقْدَامْ
يَا إِخْوَتَنَا قُولُوا حَتَّامْ؟

(32) فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان» ص (624 ـ 625).

أَوَّاهُ وَآهِ يَا فِيْتنَامْ
آهِ لَوْ مِلْيُونُ مُحَارِبْ
مِنْ أَبْطَالِكْ
قَذَفَتْهُمْ رِيحٌ شَرْقِيَّهْ
فَوْقَ الصَّحْرَاءِ الْعَرَبِيَّهْ
لَفَرَشْتِ نَمَارِقْ
وَوَهَبْتُمُو مِلْيُونَ وَلُودٍ قَحْطَانِيَّهْ!

ومن خاتمة قصيدة فدوى تحت عنوان: «أمنية جارحة» كشفت عن ذلك التنديد الذي وجهته لمن يسمونهم أهل البيت، ذلك أنها ما رأت فيهم من رفع شأن العرب، أو حفظ لهم كياناً، أو دافع عن قضية، أو خاض معركة قتالية، ضد عدوان الصهيونية، وإنما السكينة، والتقوقع في دوائر مغلقة، وأبراج عاجية، إلى جانب التضليل، والوعود الزائفة، والاحتفاظ بمقاعد الحكم، والدفاع عنها بكل مرتخص وغالٍ، جاء ذلك في قولها[33]:

عَفْواً يَا أَهْلَ الْبَيْت..
جَارِحَةٌ هَذِي الْأُمْنِيَّهْ..
لَكِنَّا لَمْ يَبْقَ لَدَيْنَا..
مِنْكُمْ إِلَّا قَعْقَعَةَ الصَّوْت..
ضَيَّعْنَا الْأَشْيَاءَ الْأَصِيلَه..
وَلَقَدْ أَعْيَانَا يَا أَحْبَابِي..
رَشُّ السُّكَّرِ فَوْقَ الْمَوْتْ..

وكشفت من خلال نضال المرأة الشاعرة، عن وضعنا العربي الراهن الذي تردى في هذه السنوات الأخيرة، وذلك لما أصاب حكوماتنا العربية من تقهقر

(33) فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان» ص (624 ـ 625).

وجمود وركود أمام الغزاة الصهاينة الذين قتلوا الأبرياء، واستباحوا الحرمات، ودمروا واحتلوا أجزاء من لبناننا العربي على مرأى من حكام العرب، دون أن يحركوا ساكناً، أو يدفعوا غادراً معتدياً. وفي هذا النقد الساخر من نضال المرأة الشاعرة ما يكفينا دليلاً على ما نحن بصدد الكلام عنه(34):

أَمَا فِي دِيَارِ الْعُرُوبَةِ كَلْبٌ فَيَنْبَحْ؟
أَمَا مِنْ نِعَاجٍ فَتَنْطَحْ؟
وَهَلْ نَحْنُ أَعْمِدَةٌ مِنْ رُخَامْ؟
وَحَتَّى الرُّخَامْ
لَهُ عَصَبٌ وَيَمُجُّ الْمَذَلَّةَ، يَنْهَضُ لِلإِنْتِقَامْ
وَحَتَّى الْقُبُورُ الْمُهَانَةُ تَرْتَجُّ فِيهَا الْعِظَامْ
وَتَغْضَبُ، تَهْجُمُ، تَجْرَحْ
وَبَيْرُوتُ وَسْنَى بِأَوْدِيَةِ الْحُلْمِ تَسْبَحْ
وَيَسْرَحُ فِيهَا الْعَدُوُّ وَيَمْرَحْ
وَفِيهَا دَمٌ فَوْقَ أَرْصِفَةِ اللَّيْلِ يُسْفَحْ
وَعَبْرَ شَوَارِعِهَا شَوْكَةٌ مِنْ لَظَى تَتَفَتَّحْ
فَكَيْفَ تَنَامْ؟
فَكَيْفَ؟ بِحَقِّ الْكَرَامَةِ، كَيْفَ تَنَامْ؟

وأبرزت هذا النقد الشعري لسعاد الصباح الذي يتضمن تأنيباً لحكام البلاد وحثهم على الانضمام لجيش العرب الذي تحلم به، لعله يخلص لبنان المقاتل من أزمته الفادحة، ويعيد للأمة كرامتها. وفي هذه الأبيات ما يدل على ذلك(35):

. يَا بِلاَدِي:

(34) نازك الملائكة: «الصلاة والثورة، شعر» ص (132 ـ 134).
(35) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ص (131).

اخْرُجِي مِنْ نَشْرَةِ الْعُمْلاَتِ.. وَالأَسْهُمِ..
وَانْضَمِّي إِلَى جَيْشِ الْعَرَبْ..
إِنَّ فِي لُبْنَانَ أَطْفَالاً يَمُوتُونَ،
وَعِرْضاً يُغْتَصَبْ..
اغْضَبِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ..
فَإِنَّ الأَرضَ لا يُفْلِحُهَا إِلاَّ الْغَضَبْ..

وسلطت الأضواء في هذه الفقرة النقدية على هذه الأبيات الشعرية من نضال المرأة الشاعرة التي كانت تنديداً بما كان سائداً في مجتمعنا من مفاسد اجتماعية وأخلاقيات دخيلة أجنبية تتنافى وقيمنا، وأصالة شعبنا، وكانت سبباً بارزاً في عرقلة تقدم أمتنا نحو البناء والتقدم[36]:

فَأَنَّى لِمِثْلِي أَنْ تُسَالِمَ دَهْرَهَا ... وَلَيْسَ لَهُ إِلاَّ السَّفَاهَةَ مَقْصَدُ؟
وَأَنَّى لِمِثْلِي أَنْ تُسَرَّ بِأُمَّةٍ ... بِهَا الْفَرْدُ عَبْدُ الْمَالِ وَالْمَالُ سَيِّدُ؟
أُنَاسٌ تَلاَهَوْا بِالضَّلاَلِ عَنِ الْهُدَى ... فَلَيْسَ بِهِمْ إِلاَّ كَفُورٌ وَمُفْسِدُ!
فَهَذَا سَعَى فِي الأَرْضِ سَعْيَ مُضَلِّلٍ ... وَذَاكَ بِدِينِ الْحَقِّ يَهْزَا وَيُلْحِدُ
تَرَاهُ وَرَاءَ الْفِلْسِ يَسْعَى مُهَرْوِلاً ... وَلَكِنَّهُ عَنْ دِينِهِ الدَّهْرَ مُقْعَدُ
وَيَأْكُلُ أَمْوَالَ الْيَتَامَى وَإِنَّهُ ... لأَحْسَنُ مَنْ يَحْمِي الْيَتِيمَ وَيُرْشِدُ
وَيَخْتَارُ مِنْ هَامِ الْفَقِيرِ دِعَامَةً ... فَيَبْنِي عَلَيْهَا قَصْرَهُ وَيُشَيِّدُ

واهتديتُ في خاتمة هذه الفقرة من النقد الشعري الساخر عندشاعراتنا العربيات، إلى أن إنقاذ مجتمعنا من تلك المفاسد التي سادت فيه زمناً طويلاً لا يتم إلا بالعودة إلى الأسس الأصيلة في تراثنا، والارتباط بتقدميات عصرنا، وفي هذه الأبيات[37] ما يرشدنا إلى السبيل القويم الذي كان لنضال المرأة الشاعرة دور في كشف مسالكه، وترسيخ دعائمه:

(36، 37) د. عاتكة الخزرجي: «المجموعة الشعرية الكاملة» ص (317 ـ 318).

بِـلَادُكُـمُ يَـا قَـوْمُ أَمْسَـتْ عَلِيلَـةً ... تُـرَجِّـي دُنُـوَّ الْبُـرْءِ، وَالْبُـرءُ يَبْعُـدُ
وَأَنَّـى لَهَـا وَالـدَّاءُ يَنْخَـرُ قَلْبَهَـا؟ ... وَأَبْنَـاؤُهَـا فِـي قَتْلِهَـا الْيَـوْمَ تَجْهَـدُ؟
تَمَنَّيْـتُ أَنْ لَـوْ عَـادَ فِينَـا مُحَمَّـدٌ ... إِذَنْ لأَتَـى بَعْـدَ الضَّـلَالَـةِ مُـرْشِـدُ
فَيَـا قَـوْمُ إِنْ مَـاتَ النَّبِـيُّ فَحَيَّـةٌ ... شَـرَائِعُـهُ وَهْـيَ الْتُـرَاثُ الْمُخَلَّـدُ
فَعُـودُوا إِلَـى إِيمَـانِكُـمْ بَعْـدَ ضَلَّـةٍ ... فَعَـوْدُكُـمُ لِلْحَـقِ يَـا قَـوْمُ أَحْمَـدُ

نضال المرأة الشاعرة
ودور النفط في معركة الأمة العربية

وأشرتُ في خاتمة هذه الفقرة إلى نضال المرأة الشاعرة، ودورها في إبراز أهمية النفط في المعركة العربية الراهنة، التي كانت ذات حدين، أحدهما: وفرة المال الذي كان وباءً على الأمة لاستخدامه في مجالات بعيدة عن حاجاتها وقضاياها المأزومة، وثانيهما: هو قلة المال الذي كان سبباً في تخلف الشعب الذي يواجه الصعاب في الحياة من أجل توفير العيش الكريم.. فانهارت الأخلاق، وفقدت الأمة ما تصبو إليه من تقدم من أجل بناء الوطن، وإعادة المجد، ومواكبة العصر، واللحاق بالأمم المتقدمة على الرغم من غزارة النَّفط الذي يكفي أن يكون ثروة هائلة في دعم نضالنا، وتوفير الحياة السعيدة لشعبنا. وهذه الأبيات[38] من شعر سعاد الصباح ثورة غاضبة على دول البترول العربية التي لم يكن لها دور في وضع هذه الثروة الهائلة ضد قوى البغي الصهيونية، والمؤامرات الاستعمارية الامبريالية وغير الدينية، وتوزيعها توزيعاً عادلاً:

آهِ.. كَمْ كَانَ مَعِي الْبَحْرُ حَنُوناً وَكَرِيماً..
ثُمَّ جَاءَ النَّفْطُ شَيْطَاناً رَجِيماً..
فَانْبَطَحْنَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ رِجَالاً وَنِسَاءً..
وَعَبَدْنَاهُ صَبَاحاً وَمَسَاءً..

(38) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ص (124).

وَنَسِينَا خُلُقَ الصَّحْرَاءِ.. وَالنَّخْوَةَ.. وَالْقَهْوَةَ..
وَالْمِهْبَاجَ.. وَالشِّعْرَ الْقَدِيمَا..
وَغَرِقْنَا فِي التَّفَاهَاتِ..
هَدَمْنَا كُلَّ مَا كَانَ مُضِيئاً..
وَأَصِيلاً وَعَظِيمَا..

ثم كشفتُ عما ساد المجتمع من فساد في الأخلاق، وإسراف في ثروات البلاد النفطية التي كان حظ الدخيل الأجنبي منها وفيراً بما أدخله من أخلاقيات تتنافى وقيمنا. وجاء نقد المرأة المناضلة في هذه الأبيات الشعرية ثورة[39] غاضبة على كل ذلك التدني، وإهمال واقعنا المتردي الذي تدوسه أقدام البغاة، ويدنس ترابه الطاهر الأوغاد العتاة:

ثُمَّ حَلَّتْ لَعْنَةُ النَّفْطِ عَلَيْنَا..
فَاسْتَبَحْنَا كُلَّ مَا كَانَ يُبَاحْ..
فَالْبَسَاتِينُ فِرَاشٌ لِلْهَوَى..
وَالنِّسَاءُ الْأَجْنَبِيَّاتُ..
يُعَطِّرْنَ لَيَالِينَا الْمِلَاحْ..
وَالدَّنَانِيرُ عَلَى الْأَقْدَامِ تُرْمَى..
وَعَلَى الْأَجْسَادِ تُصْطَفُّ الْقِدَاحْ..
هَكَذَا يَا وَطَنِي...
تُرْفَعُ رَايَاتُ الْكِفَاحْ..
هَكَذَا يَبْكِي عَلَى الْحَائِطِ سَيْفٌ..
أَثَرِيٌّ لِأَبِي..
هَكَذَا، مِنْ يَأْسِهِ، يَبْكِي السِّلَاحْ..

(39) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ص (127 ـ 128).

وختمتُ هذه النقدات الغاضبة على ثرواتنا النفطية، وعدم إخلاص حكامنا في استخدامها في مظانها من معركة النضال العربي، محرضاً مع الشاعرة الثائرة على ثورة غاضبة لوضع هذه الثروات النفطيـة الهائلة في وضعها الطبيعي من قضايا أمتنا المصيرية، وأوضاع شعبنا الحياتية، وفي هذه الأبيات[40] ما يدلنا على الدعوة لهذه الثورة الغاضبة:

اغْضَبِي..
أَيَّتُهَا الْأَرْضُ الَّتِي نَامَتْ طَوِيلاً..
فِي فِرَاشٍ مِنْ ذَهَبْ..
اغْضَبِي..
أَيَّتُهَا الْأَرْضُ الَّتِي تَشْرَبُ بِتْرُولاً..
وَتَبْنِي عَرْشَهَا فَوْقَ الْحَطَبْ..
اغْضَبِي..
أَيَّتُهَا الْأَرْضُ الَّتِي أَسْكَرَهَا الْمَالُ..
وَأَعْمَاهَا الْبَطَرْ..
إِنِّي أَرْفُضُ أَنْ أَعْتَبِرَ النَّفْطَ قَدَرْ..

(40) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ص (130).

(٨)

عبد الناصر
في ضمير المرأة الشاعرة
والجماهير الثائرة

وعرضت في ثوب الأدب والنقد معاً ما أوحت به المرأة الشاعرة ـ في شعرها الناقد ـ من تشتيت للشعب وتمزيق للوطن، هادفة من ذلك إلى إيقاظ عبد الناصر من مثواه، عله يوقظ النوام من سباتهم، ليستلهموا القدوة من مواقفه الجريئة الوحدوية، والنضالية التحريرية. وفي هذا الثوب الشعري الساخر التحريضي[41] جاء مثلاً حياً لأهمية عبد الناصر، في ضمير المرأة المناضلة أولاً، ثم أهميته لقضايانا الراهنة المأزومة وحل مشكلاتنا المغمورة المدفونة:

يَا نَاصِرَ الْعَظِيمَ..
هَلْ تقرأ فِي مَنْفَاكَ أَخْبَار الْوَطَنْ؟
فَبَعْضُهُ مُغْتَصَبٌ..
وَبَعْضُهُ مُؤَجَّرٌ..
وَبَعْضُهُ مُقَطَّعٌ..
وَبَعْضُهُ مُرَقَّعٌ..
وَبَعْضُهُ مُطَبَّعٌ..
وَبَعْضُهُ مُنْغَلِقٌ..

(41) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ص (161).

وَبَعْضُهُ مُنْفَتِحٌ..
وَبَعْضُهُ مُسَالِمٌ..
وَبَعْضُهُ مُسْتَسْلِمٌ..
وَبَعْضُهُ لَيْسَ لَهُ سَقْفٌ.. وَلاَ أَبْوَابْ..

ومما ورد في هذه الأبيات من نقد لاذع وساخر، أبرزتُ ما وصل إليه وطننا العربي من فوضى واضطراب، وما يعانيه شعبنا من مضايقات وملاحقات وعذاب، وموقف حكامنا من ذلك كله هو المبارزة بالكلمات الجارحة الجوفاء، لا لمصلحة الوطن ومحو ما ساد فيه من محن، وإنما لتحقيق مآربهم الحمقاء، وتثبيت مقاعدهم الخاوية الخرقاء. وفي هذه الأبيات الساخرة[42] من نضال المرأة الشاعرة تؤكد لنا ما وصلت إليه البلاد من الفساد والخراب، قدمتها الشاعرة في صورة شكوى لعبد الناصر تصور له ما آل إليه وضع الأمة في غيابه شهيداً قتيلاً اغتالته أيدي الظلم والبغي إثماً وعدواناً، فويل لهم مما كسبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون:

يَا نَاصِرُ الْعَظِيمُ،
لاَ تَسْأَلْ عَنِ الْأَعْرَابْ،
فإنَّهُمْ قَدْ أَتْقَنُوا صِنَاعَةَ السِّبَابْ
وَوَاصَلُوا الْحِوَارَ بِالظُّفْرِ وَبِالْأَنْيَابْ
وَحَاصَرُوا شُعُوبَهُمُ بِالنَّارِ والْحِرابْ
يَا نَاصِرُ الْعَظِيمُ..
سَامِحْنِي.. فَمَا لَدَيَّ مَا أَقُولُهُ
فِي زَمَنِ الْخَرَابْ..

ونبهتُ في خاتمة هذه الفقرة من نضال المرأة الشاعرة إلى ما جادت به نازك الملائكة التي استلهمت أفكار قصيدتها «الساعة» ومضامينها من عبارة

(42) د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ص (162).

عبد الناصر: «لقد دقت ساعة العمل الثوري» وجعلت منها هدفاً نضالياً لأمتنا، ودفعاً ثورياً لجيل غضبنا.

لقد دقت ساعة العمل الثوري في إبانها وبلغت - في ذلك الوقت - أوج عظمتها وعزتها، لكن ما آلت إليه - في حاضرنا - إنما هو اعتداء صارخ على جهد عبد الناصر، الذي ناضل في شجاعة الأبطال، ودفع بالأمة العربية إلى مرحلة متقدمة من الوعي الوطني والقومي والإنساني الذي أعاد المجد، وهاجم القزمية والحقد، وحاول تحطيم القيود الثقيلة الغاشمة، والمعاهدات الاستعمارية الظالمة، تدلنا هذه الأبيات إلى ما قصدنا إليه[43]:

دَقَّتِ السَّاعَةُ فِي أَرْضِ بِلاَدِي الْعَرَبِيَّهْ
جَلْجَلَتْ، ضَجَّتْ، وَدَوَّتْ مِلْءَ وِدْيَانٍ قَصِيَّهْ
غَلْغَلَتْ عَبْرَ بَسَاتِينِ النَّخِيلِ الْعَنْبَرِيَّهْ
وَتَلَوَّتْ فِي صَحَارَى رَسَخَتْ كَالأَبَدِيَّهْ
دَقَّتِ السَّاعَةُ، واهْتَزَّتْ لَهَا سُمْرُ الصَّحَارِي
وَارْتَوَتْ بِيدٌ عِطَاشٌ لانْبِلاَجٍ، لانفِجَارِ
وَرِمَالٌ لَمْ تَزَلْ مُنْذُ عُصُورٍ فِي انْتِظَارِ
فَتَحَتْ أَذْرُعَهَا الْعَطْشَى، وَأَلْوَتْ بِالإِسَارِ
إِنَّهُ الْفَجْرُ فَهُبِّي يَا مَلاَيِينُ وَمُوجِي
احْمِلِي أُغْنِيَةَ الصَّحْوِ إِلَى خُضْرِ الْمُرُوجِ
وَوُعُوداً مُورِقَاتٍ، عَرَبِيَّاتِ الأَرِيجِ
نَبَضَتْ بَيْنَ الْمُحِيطِ الْمُتَرَامِي وَالْخَلِيجِ
اثْنَتَا عَشْرَةَ مِنْ دَقَّاتِهَا هَزَّتْ رُبَانَا
أَيْقَظَتْ تَارِيخَنَا الْقَوْمِيَّ فِي قَعْرِ دِمَانَا
غَلْغَلَتْ عَبْرَ صَحَارِينَا النَّشَاوَى وَقُرَانَا
وَسَمِعْنَاهَا تُنَادِي، وَأَفَقْنَا مِنْ كَرَانَا

(43) د. بدوى طبانة: «أدب المرأة العراقية في القرن العشرين» ص (124).

(9)

الخاتمـــة
والنتائـــج

وفي خاتمة البحث أبرزت أهمية جميع النقاط المشار إليها في المقدمة، بعد أن عالجتها وعرضتها عرضاً علمياً وأدبياً معاً، واستوفيت شروط البحث حقها، من حيث تطبيق المنهج التأريخي النقدي الذي كان متلائماً مع أهداف بحثنا، ووصلت إلى نتائج ذات حقائق ثابتة استناداً إلى المادة العلمية التي كانت تعبيراً صادقاً عن إبداعات بعض من شاعراتنا العربيات كنماذج لهذه الإبداعات، التي كان لها أثرها في بناء النهضة العربية، والدعوة إلى تحرير الفتاة من العسف والقهر والعبودية، وجاءت مواكبة لتطلعات أمتنا، وآمال جماهير شعبنا المستقبلية وتحرير أرضنا السبية، وكانت ـ إلى جانب ذلك ـ صيحة كبرى لدفع الفتاة الثائرة لخوض غمار الحياة الاقتصادية والاجتماعية وخاصة السياسية، ووضحت أنه أولى بفتاة العصر أن تؤدي واجباً فرضياً في المجال السياسي على المستويين العربي والعالمي، ذلك لما للمرأة من بالغ الأثر في هذا المضمار الذي لم يستغن عن جهدها الجبار. وخلصت ـ من ذلك كله ـ إلى أن مجتمعنا لا يزال يغط في نوم عميق، لأنه لم يجد إلى استرداد الحق من نهج الطريق، لكن ما رفع رأس الأمة عالياً هو ثورة أبطال الحجارة التي لا تزال نارها تتقد جحيماً على من طغى، وآثر الظلم والعداء، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ما دام للأمة أبطال في سبيل الحق يقاتلون، وفي ساحة النضال يستشهدون. ونوهت أنه لم يكن لي دخل في المادة العلمية التي هي من نتاج الشاعرة العربية، وإنما همي كان منصباً على عرضها ومتابعتها بالنقد والتحليل

والتفسير لنصل من ذلك إلى إبراز دور المرأة المناضلة من ناحية، وإبداع المرأة الشاعرة من ناحية أخرى، وخلصت ـ من ذلك ـ بنتيجة حاسمة وهي تعميم الفائدة لدور فتاة العصر المناضلة إذا ما توفر لها جو من الحرية المثلى التي لا تنطلق إلى ما لا نهاية، ولا تقف عن حد القيد والأسر، وإنما هي انطلاقة تحررية تقدمية.. تدفع المرأة المناضلة إلى خدمة أمتها، والمساهمة في نهضة وطنها، وبناء مستقبلها المتفائل على أسس من العلمية العصرية، والنضالية الثورية الجماهيرية، مقرونة بخدمة المرأة لا عربية فحسب، وإنما كإنسانة في هذا المجتمع الإنساني الكبير الذي يدعو أحراره إلى تخليص الإنسانية من قيد الأسر والذل والعبودية.

المصـادر والمراجـع

1 ـ إبراهيم طوقان: «ديوان إبراهيم طوقان» من قصيدة تحت عنوان: «تفاؤل وأمل».

2 ـ أبي الحسن علي بن محمد المعافري: «الحدائق الغناء في أخبار النساء»، تراجم شهيرات النساء في الإسلام، تحقيق وتقديم د. عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1398 هـ ـ 1978 م.

3 ـ د. بدوي طبانة: «أدب المرأة العراقية في القرن العشرين» ط 2، دار الثقافة، بيروت.

4 ـ الحسين بن أحمد بن الحسن الزوزني: «شرح المعلقات السبع» بشرح التبريزي، من معلقة زهير بن أبي سلمى المزني، الطبعة الأخيرة، مطبعة عبد السلام بن سقرون، 1385 هـ ـ 1966 م.

5 ـ الخنساء بنت عمر بن الحارث بن الشريد: «ديوان الخنساء» ط 9، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983 م.

6 ـ د. سعاد الصباح: «فتافيت امرأة» ط 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، يناير 1989 م.

7 ـ سهير عليوة: «أرفض أن»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989 م.

8 ـ د. عاتكة الخزرجي: «المجموعة الشعرية الكاملة» «ستة دواوين ومسرحية»: مطبعة حكومة الكويت، 1404 هـ ـ 1986 م.

9 ـ د. علي إبراهيم حسن: «نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب»، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981 م.

10 ـ فدوى طوقان: «ديوان فدوى طوقان» وحدي مع الأيام، ط 1، دار العودة بيروت، 1978/7/1 م.
11 ـ ملك عبد العزيز: «بحر الصمت» ط 2، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1988 م.
12 ـ د. محمد حامد الخضيري: قصيدة شعرية مخطوطة بعنوان: «أيقظي فينا النفوس».
13 ـ نازك الملائكة: «الصلاة والثورة، شعر» ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1978 م.
14 ـ وفاء وجدي: «الحرث في البحر» ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1985 م.
15 ـ وفاء وجدي: «ماذا تعني الغربة» ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986 م.

صفحات هامة في تاريخ ليبيا

سليمان الباروني: حلم تحقيق إمارة مستقلة في الجبل الغربي ومعركة الأصابعة 1913 م

بقلم فرانشيسكو كورو

الترجمة والتعليق: للدكتور ابراهيم أحمد المهدوي

كلية الآداب والتربية - جامعة قاريونس

صفحات هامة في تاريخ ليبيا [1]:

سليمان الباروني:

حلم تحقيق إمارة مستقلة في الجبل الغربي ومعركة الأصابعة 1913 م

لقد استطاعت القوات الإيطالية احتلال الإقليم الطرابلسي بالكامل [استناداً إلى رسم الحدود الذي أقرته الحكومة الفرنسية مع إيطاليا] هذا كما استطاعت إيطاليا تهدئة الإقليم، لهذا كان من الضروري جداً إعادة النظر في الستة والعشرين عاماً الماضية التي مرت على احتلال إيطاليا للإقليم الطرابلسي.. تلك السنون التي تبدو موغلة في الماضي البعيد.. إلاّ أنها كانت تحوي أحداثاً تاريخية هامة جديرة بالاهتمام والبحث. خاصة أن معظم تلك الأحداث كانت

---

(1) F. Coro. Una Interessante Pagine Di Storia Libica: Suleiman El-Baruni: Il Sogno Di un Princpato Berbero e La Battaglia Di ASAABA (1913).

نشرت مقالة فرانشيسكو كورد في حوليات إفريقيا الإيطالية.

Gli Annali Dell'africa Italiana Anno 1 - Vol. III - IV. DIC MCMXXXVIII, Anno XVIII [DIC 1938 - 17]. PP. 957 - 69.

يعتبر فرانشيسكو كورد كاتب هذه المقالة أحد الضباط الطليان الذين شاركوا منذ البداية في قمع حركات الجهاد المتتالية بالجبل الغربي، فقد كان مكلفاً بالإضافة إلى ذلك بالاتصالات والمباحثات السياسية مع المجاهدين، فهو يعتبر شاهد عيان، كما قام أيضاً باحتلال نالوت 6 يوليو 1922 م والقيام بدور هام في تدبير مكيدة أعدم بموجبها خليفة بن عسكر. (المترجم).

مليئة بالأعمال الجريئة والطموحة من أجل الوصول إلى مستقبل زاهر للمستعمرة، ففي شهر أكتوبر الماضي (1937). كان قد مضى ستة وعشرون عاماً على توقيع معاهدة أوشى للسلام بين إيطاليا وتركيا.. إن ذكرى توقيع تلك المعاهدة بين البلدين يحمل إلى الأذهان أحداث تلك الفترة الزمنية المليئة بحركات التمرد والثورة والعصيان وترويج الأفكار المغرضة التي كانت تحرّض السكان المحليين على مقاومة القوات الايطالية.. إن مصدر تلك الأفكار المناوئة للإيطاليين التي كانت تحرض المواطنيين أيضاً على حمل السلاح قد كان بدون شك يرجع إلى بعض الشخصيات المحلية ذات النفوذ القوي على بعض مناطق الإقليم الطرابلسي والتي كان من بينها منطقة جبل نفوسة الذي يسكنه أغلبية الأباضية الذين يستقرون في الجزء الغربي من الجبل المذكور بزعامة سليمان الباروني الذي كانت توجد بينه وبين الحكومة الإيطالية [حكومة طرابلس الغرب] مراسلات رسمية تبودلت خلال الحرب الإيطالية ـ التركية، أما بعد معاهدة أوشى إلى ما قبل معركة الأصابعة فقد جرت اتصالات مكثفة مع سليمان الباروني زعيم جبل نفوسة وحكومة المستعمرة وذلك لاعتقاد السنيور بيرتوليني BERTOLINI وزير المستعمرات الإيطالية بأهمية تلك الاتصالات الشخصية والمفاوضات الرسمية.. وليس كما يعتقد البعض من أن تلك المفاوضات والاتصالات كانت من أجل مناقشة المقترحات التي قدمها سليمان الباروني إلى الحكومة الإيطالية لغرض الحصول على الاستقلال الذاتي لمقاطعة الجبل الغربي التي كان يسكنها الأباضية...؛ ذلك لأن فكرة الباروني لم تبدُ منطقية يمكن تحقيقها في الواقع.. لهذا فإن الحكومة الإيطالية قد اعتبرتها مجازفة لا تمثل سوى طموح يسعى الزعيم سليمان الباروني إلى تحقيقه... إلاّ أن معركة الأصابعة استطاعت وضع حد حاسم له.. وحالت دون تحقيق طموحاته الشخصية بأن قامت الحكومة الإيطالية بطرابلس بفرض سيطرتها الكاملة على كل من الجبل الغربي والقبلة.

فمن أجل استعادة أحداث الستة والعشرين عاماً الماضية.. تلك الأحداث التاريخية الهامة التي كانت تمثل صفحات مجهولة في تاريخ احتلال الإقليم

الطرابلسي؛ قد قمت شخصياً بالقيام بدراسة جميع المستندات الرسمية المتعلقة بتلك الفترة الزمنية وفحصها بالإضافة إلى قيامي بتجميع كافة المعلومات اللاّزمة عن الأحداث التاريخية الماضية من الشخصيات البارزة التي كانت تعيش خلال تلك الفترة، وقد كان من بين أولئك الزعيم سليمان الباروني نفسه [كنت على اتصال دائم به خلال عامي 1920 ـ 1921 م وذلك باعتباري ضابطاً مكلفاً بالمهمات السياسية]، كذلك قمت بدراسة كافة الأحداث التي كانت تعتبر من أهم العوامل الرئيسية خلال تلك الفترة الزمنية وتمحيصها، هذا بالإضافة إلى مراسلاتي واتصالاتي الشخصية مع بعض المسؤولين القياديين الإيطاليين في كل من طرابلس وروما. إن جميع تلك الوثائق الرسمية والشخصية التي أشرت إليها ساعدتني في الواقع على جمع وترتيب لكافة الأحداث التاريخية التي وقعت خلال تلك المرحلة الحاسمة من الاحتلال السياسي للمستعمرة.

شخصية الباروني عبر الماضي:

تعتبر شخصية الباروني[2] من الشخصيات المعروفة لكل أولئك الذين عاشوا في مدينة طرابلس خلال فترة الحرب 1911 ـ 1913 م، فسواء كان ذلك أيضاً خلال الحرب العالمية أوْ خلال السنوات الممتدة من 1910 ـ 1921 م، حيث كان الباروني يعتبر شخصية بارزة لعبت دوراً نشطاً في جميع الثورات المتلاحقة التي حدثت في المستعمرة طيلة تلك الفترة الزمنية. وينحدر الباروني من قبيلة البارون التي هاجرت من عُمان إلى جبل نفوسة حيث ظلّت تتمتع بكل احترام وتقدير من جميع سكان الجبل. أما والده فهوالشيخ عبد الله بن يحيى بن أحمد الذي توفي في 1913/4/16 م عن عمر يناهز 92 عاماً أثناء رحلته من جادو إلى كاباو عندما قامت القوات الإيطالية بالزحف المسلح على جبل نفوسة

(2) يعتبر سليمان الباروني أحد الزعماء الأربعة الذين اجتمعوا بجامع المجابرة بالقصبات يوم السبت 13 صفر 1333 هـ الموافق 16 نوفمبر 1918 م حيث تم الاتفاق على ضرورة قيام الجمهورية الطرابلسية التي كان أول رئيس لها وقد توفي سليمان الباروني خارج الوطن أثناء قيامه بمهمة سياسية بالهند في مدينة بومبي يوم 1 مايو 1940 م وبقي مدفوناً هناك حتى تم إرجاع رفاته إلى ليبيا في يوم 1972/12/30 م. (المترجم).

لاحتلاله.. وقد ترك الشيخ عبد الله من الأبناء بالإضافة إلى سيلمان الذي يعتبر أكبر إخوته اثنين هما أحمد ويحيى وكلاهما قد رافق أخاه الأكبر سليمان في خوض جميع الأحداث السياسية المتلاحقة في الإقليم حتى عام 1913 م عندما قرروا العيش بسلام مع الحكومة الإيطالية حيث شغل أحدهم ويدعي أحمد منصب قاضي بنالوت.

أما الأب الشيخ عبد الله فإنه لم يشارك مطلقاً في حركات التمرد والبلبلة التي كان يقوم بها ابنه سليمان، بل كان على العكس من ذلك رجلاً متعلماً يعتبر من أشهر المثقفين بين أباضية الجبل. فقد كان بالإضافة إلى ذلك يتمتع بكل احترام وتقدير من أتباع مذهب الأباضية في كل من وداي مزاب (الجزائر) وجربة (تونس) بالإضافة إلى ما يتمتع به من شهرة واسعة بين مالكية سكان إقليم طرابلس الغربي، هذا وقد ولد سليمان الباروني في جادو عام 1872 م. وأكمل تعليمه بجامع الزيتونة في تونس ثم التحق فيما بعد بالجامع الأزهر في القاهرة. وفد قام سليمان الباروني بزيارة لمعظم بلدان الشمال الإفريقي.. وقد كان الباروني (سليمان) منذ صغره يحمل بين جوانحه ميولاً سياسية طموحة كما يذكر رفاقه من خلال المحاولات المتعددة التي قام بها من أجل السيطرة وحلمه في تحقيق إمارة مستقلة.. إن تلك المحاولات الجريئة كانت في الواقع تعكس كثيراً من النقاط الغامضة في شخصية سليمان الباروني الطموحة.

وقد علمت الجندرمة العثمانية بأفكاره ومشاريعه الطموحة في بداية شهر إبريل عام 1899 م فقامت بمداهمة منزل والده في جادو وتفتيش منزل صديقه الحميم موسى قرادة في يفرن، كما تم استدعاء سليمان الباروني وصديقه موسى إلى طرابلس للمثول أمام السلطة العثمانية حيث تم معهم تحقيق لم يسفر عن أي نتيجة تذكر، ولكن فيما بعد استطاعت الجندرمة العثمانية ضبط أحد الصناديق المملوءة بالكتب التي كان قد أرسلها سليمان الباروني إلى طرابلس قبيل عودته إلى البلاد، فقامت الجندرمة بتفتيش الصندوق المذكور وعثرت على عدة رسائل كشفت عن مغامراته الطموحة وكان من بينها رسائل مغرضة حول الحالة السياسية للولايات العثمانية بالإضافة إلى منشور يحمل نداءً موجهاً إلى سكان

الجبل بتوقيع «السلطان سليمان» يدعوهم فيه إلى الثورة، مما جعل الحكومة العثمانية تأمر بالقبض عليه ومعاقبته بالسجن لمدة خمس سنوات، إلاّ أن صديقه موسى سافر على رأس وفد من الأعيان المحليين إلى القسطنطينية لمقابلة السلطان، وبالفعل فقد حصل منه على أمر بالعفو عن صديقه سليمان الباروني، هذا وقد تم القبض على سليمان الباروني مرتين خلال الفترة الزمنية الواقعة بين 1905 ـ 1910 م بواسطة السلطات الحكومية العثمانية بطرابلس لأسباب سياسية ضد الحكومة منها القيام بتنظيم ثورة أهلية في الجبل التي كان الهدف من ورائها تأسيس إمارة مستقلة في جبل نفوسة.. ولقد كان سليمان الباروني دائماً يردّد أقوال كبار أئمة الأباضية وأمراء الرستمية بتاهرت في مراسلاته وكتاباته.. وفي عام 1905 م كانت السلطات الحكومية العثمانية تنوي القبض عليه مرة أخرى.. لكنه علم بذلك الأمر واستطاع الفرار إلى مصر حيث اتصل بكثير من السياسيين الذين يعيشون في المنفى وباللاّجئين من الشباب الأتراك كذلك الذين كانوا قد فروا من اضطهاد حكم السلطان عبد الحميد. وفي مصر قام الباروني بتأسيس صحيفة «الأسد الإسلامي» التي استمرت في الصدور لبضعة أسابيع قليلة ثم توقفت، وخلال إقامته في مصر استطاع سليمان الباروني الانتهاء من تأليف كتابه «الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية» الذي أوضح فيه أفكاره وطموحاته الداعية إلى تأسيس إمارة مستقلة في الجبل.

وخلال عام 1907 م عاد الباروني إلى طرابلس حيث عاش في هدوء وبدون إثارة قلاقل للحكومة العثمانية حتى عام 1911 م وبالتحديد إلى اليوم السابق للحرب الإيطالية التركية حيث قام بإرسال تلغراف من فساطو إلى الوالي العثماني بطرابلس يعلن فيه عزمه على تحمل مسؤولية الدفاع مع بقية محلات الجبل وعن مدن الإقليم الطرابلسي ضد الغزاة الإيطاليين.. ومنذ ذلك الحين تم تعيين سليمان الباروني زعيماً للاتحاد الوطني التقدمي الطرابلسي.. وما أن بدأ إنزال القوات الإيطالية على الساحل حتى هرع سليمان الباروني بمساعدة كل من موسى قرادة ومحمد فكيني اللذين كانا يعتبران من أصدقائه المخلصين بتنظيم المقاومة الشعبية المسلحة ضد القوات الإيطالية.. واستمر في ذلك العمل حتى

مجيء كل من فتحي بي ونشأت بي أو نشأت باشا اللذين توليا إدارة حكومة الولاية بطرابلس مما ساعدهما في تحقيق بعض النجاح في عملهما. ثم ظل الباروني يقوم بإدارة محلة الجبل حتى معاهدة لوزان إذْ ارتبط بعلاقة وطيدة مع المندوب فرحات رغم اختلافاتهما الحزبية السابقة. وقد قام سليمان الباروني أثناء توليه إدارة محلة الجبل بإرسال مجموعات من الرسائل قامت بنشرها بعض الصحف العربية منها صحيفة «الزهراء التونسية» وكل من صحيفتي «العالم» و «المؤيد» الصادرتين في القاهرة.. وكانت مراسلاته مع تلك الصحف عبارة عن تمجيد للانتصارات التي تم تحقيقها بواسطة المقاتلين الوطنيين في الحرب المقدسة ضد جحافل القوات الإيطالية.

وقد استمر سليمان الباروني في مواصلة كفاحه ضد القوات الإيطالية على الرغم من الرسالة الرسمية المؤرخة في يناير 1912 م التي كانت قد أرسلها له المكتب السياسي الإيطالي العسكري من طرابلس والتي تم بموجبها الإشارة إليه بعدم فعالية استمرارية المقاومة التي يخوضها المقاتلون المحليون ضد الإيطاليين بتحريض منه بل ولم تكتفِ بذلك بل طالبته بضرورة إيقاف الحرب من أجل مصلحة البلاد.. إلاّ أن سليمان الباروني لم يلتفت إلى الرسالة المذكورة وغيرها من التحذيرات بل أجاب بإيجاز في ورقة صغيرة بعزمه على مواصلة الحرب المقدسة مسترشداً في ذلك بآيات من القرآن الكريم داعياً المسلمين إلى مواصلة الجهاد المقدس تحت ظل العلم العثماني، وقد قام أحد الصحافيين المعارضين لغزو القوات الإيطالية لليبيا بنشر الرسالة الرسمية الموجهة إلى سليمان الباروني مع إجابته المختصرة في صحيفة «الزهراء التونسية» الصادرة بتاريخ 7 إبريل من نفس السنة المذكورة.

وبعد معاهدة لوزان للسلام خضع أغلبية زعماء جبل نفوسة لسلطات الحكومة الإيطالية بطرابلس ما عدا سليمان الباروني الذي استمر في تنظيم المقاومة وقيادتها في الجبل معلناً استقلالية أراضي تلك المنطقة عن النفوذ الإيطالي.. وفي شهر نوفمبر من نفس السنة بدأ سليمان الباروني في إجراء مفاوضات مع الحكومة الإيطالية وذلك من أجل الهدف الذي كان يصبو إلى

تحقيقه... ولكن في الواقع استطاعت معركة الأصابعة سحق جميع أحلامه الطموحة بل الحيلولة دون تحقيق ذلك، مما جعله يهرب إلى تونس حيث قضى فيها بضعة أشهر سافر بعدها في يوليو 1913 م إلى أوربا.. ولم يعد إلى تونس إلاّ في السنة التالية.

وفي أثناء ثورة 1914 ـ 1915 م قام سليمان الباروني بالاتصال بكل من السنوسي في برقة ثم تقابل مع بعض الزعماء الطرابلسيين ويبدو أنه لم يستطع تحقيق ما كان يصبو إليه مما جعله يرحل إلى القسطنطينية ولم يعد إلى طرابلس إلاّ في عام 1916 م عندما أرسل على ظهر غواصة ألمانية لأداء مهمة رسمية بتكليف من الحكومة العثمانية.. وخلال تلك الفترة الزمنية نودي به حاكماً عاماً لطرابلس وبقية المدن التابعة لها.

وعندما تم الاتفاق على عقد معاهدة سلام في يونيه عام 1919 م، عاد سليمان الباروني إلى طرابلس لمعاودة تعبئة الجهود ضد الإيطاليين. إلاّ أن زعماء الدواخل الجدد كانوا قد خلقوا أمامه موقفاً صعباً لا يطاق أدى إلى انفجار الصراع عام 1920 م بين تلك الزعامات، مما جعل حكومة المستعمرات الإيطالية تقوم بتكليف سليمان الباروني بالقيام بمهمة رسول سلام بين الأطراف المتنازعة [الجبل والقبلة] ولكن الانتصارات التي أحرزها صديقه خليفة بن عسكر ضد زعماء الزنتان والرجبان أعادت إليه من جديد فرصة تحقيق الطموح القديم الذي كان يصبو إلى تحقيقه، ولكن ذلك كان عبارة عن وهم خادع بعد أن استطاع خليفة بن عسكر تدمير حلم الباروني نهائياً في يفرن خلال شهر مايو 1921 م، مما اضطر سليمان الباروني إلى ترك الجبل والعودة إلى طرابلس ثم السفر إلى أوربا حيث شعر بأنه لم يبق له موقع قدم واحدة بالمستعمرة، ليستقر فيما بعد في سلطنة عُمان الصغيرة بعد أن فشلت كافة خططه الطموحة في تأسيس إمارة مستقلة في جبل نفوسة.. ولكن ربما كان يعتزم العودة من جديد لمواصلة جهوده كما كان يفعل في السابق!! إلاّ أن معركة الأصابعة استطاعت إلغاء مفاوضات 1912 ـ 1913 م مما أدى بالتالي إلى تقويض كافة الأحلام الخيالية التي كان يسعى إلى تحقيقها الباروني في الجبل.. حيث أصدرت

الحكومة المركزية الإيطالية قراراً رسمياً بموجبه أعلنت فيه صراحة معارضتها الشديدة لقيام إمارة مستقلة بالجبل، ويرجع صدور هذا القرار الرسمي إلى كل من المحافظ RAGNI والكولونيل LEQUIO.

حركة المقاومة في الجبل:

بعد مضي بضعة أيام على توقيع معاهدة لوزان للسلام اجتمع بالعزيزية زعماء الإقليم الطرابلسي وأعيانه وذلك من أجل تقرير ما يجب عمله لمواجهة القوات الإيطالية وكان القائمقام نشأت بي قد اقترح على كل من سليمان الباروني وفرحات أثناء مقابلته لهما قبل الاجتماع بضرورة مواصلة الجهاد ضد الغزاة الطليان.

وعندما تم طرد القوات التركية من ليبيا، حاول الأتراك وضع كافة المساعدات اللّازمة في أيدي المقاتلين الليبيين وكانت عبارة عن معدات وأسلحة بالإضافة إلى ترك مبلغ من المال بلغت قيمته حوالى 20,000 ليرة ذهبية تركية بالإضافة إلى 50,000 جوال مليئة بالسلع الغذائية المختلفة، كما قامت كثير من الروابط المؤيدة للمقاتلين الليبيين في كل من مصر وتونس بإرسال كثير من المساعدات... ولكن رغم ذلك فقد استسلم أغلبية الزعماء والأعيان المجتمعين في العزيزية إلى الحكومة الإيطالية ما عدا سليمان الباروني فقد أصر على مواصلة الكفاح ضد القوات الإيطالية بعد أن ضمن تأكيد وعود كفلت له حصوله على مساعدات من الحكومة التركية وبقية العالم الإسلامي مما جعله يضع في حسبانه أن المقاومة سوف تنتهي بدون تحقيق أيّة نتائج إيجابية. ويبدو أن سليمان الباروني كان متمسكاً بحوافز أخلاقية محافظة تقليدية غير قابلة للتبديل.. إلاّ أنه من ناحية أخرى مهتم بتحقيق كثير من المكاسب المادية مما أدى إلى انسحاب زعماء النوائل وورفلة والمحاميد من جانبه، بينما أعلن زعماء قبائل المقارحة وأولاد بوسيف بفزان حيادهم خاصة فيما يتعلق برغبة الحكومة الإيطالية في ضمان استقرارهم داخل أراضيهم، وفي أثناء ذلك قام فرحات بمحاولة الهدف منها إقناع كثير من زعماء القبائل الاشتراك في مقاومة القوات

الإيطالية.. ولكن محاولاته باءت بالفشل فقام بإرسال تلغراف إلى موسى قرادة متصرف يفرن لعله يستطيع القيام بإقناع أعيان الجبل للمشاركة في حضور المؤتمر لكنه أجابه بأن جميع الأعيان في الجبل قد فوضوا الباروني حرية التصرف.. لكن الواقع أن كثيراً من أولئك الزعماء كانوا يفضلون الخضوع والاستسلام بدلاً من مواصلة المقاومة المسلحة ضد الإيطاليين.

وفي الواقع فقد أدت عودة سليمان الباروني إلى يفرن إلى توحيد زعماء الجبل وليس فقط زعماء الأصابعة، ككلة والهود الذين اتفقوا جميعاً على ضرورة مواصلة الكفاح المسلح ضد القوات الإيطالية حتى النهاية.. على الرغم من أن البعض من أولئك الزعماء قد عارض في بداية الأمر فكرة الباروني الداعية إلى مواصلة الكفاح.. وذلك بسبب عدم توفر الوسائل اللازمة لمواصلة المقاومة المسلحة، مما جعل الباروني نفسه يؤكد لهم ضمان الحصول على المال اللازم بالإضافة إلى كافة المساعدات الأخرى التي سوف تصل إليهم من مختلف البلدان في العالم الإسلامي وتركيا.

وبعد مضي بضعة أيام على انعقاد مؤتمر يفرن بين زعماء مناطق الجبل وصل موظف رسمي من قبل الحكومة التركية قادماً من الزاوية إلى يفرن حيث قام بتسليم موسى قرادة مبلغاً مالياً بالإضافة إلى التموين الضروري.. إلاّ أن زعماء القبائل في الجبل كانوا لا يثقون كثيراً في المتصرف بسبب أن ماضيه يدل على جشعه وعدم أمانته، لهذا فقد طلبوا من الباروني عزله من تلك المهمة حيث أسندت إلى ساسي خزام اليفرني الذي يعتبر أيضاً من أصدقاء سليمان الباروني.

وفي الواقع أن جميع مشايخ القبائل لم يقبلوا ترتيب تلك الأحداث، حيث قاموا بإرسال مضبطة يعلنون فيها خضوعهم وولاءهم للحكومة الايطالية بطرابلس.

وقد تم التوقيع على تلك المضبطة من جميع سكان الجبل الأباضية والمالكية، وحوالى منتصف شهر ديسمبر 1912 م حضر إلى طرابلس عدد كبير من أعيان القبائل بلغ عددهم ستين شخصاً ليس للإعراب عن انضمامهم إلى أولئك الذين قاموا بتوقيع المضبطة التي كانت قد أرسلت لحكومة طرابلس

فقط... بل أيضاً لمقابلة حاكم المستعمرة بهذا الخصوص، وقد كان من بين أولئك شخصيات تتمتع بنفوذ واسع في الجبل منهم: علي القبلاوي من يفرن ومحمد فكيني من الرجبان بالإضافة إلى كل من علي بن عبد الرحيم، محمد مشينوقة، محمد المحمودي وآخرون وذلك من أجل تسليم السلاح وإعلان الخضوع للحكومة الإيطالية.

وعلى كل حالٍ فإنه يمكن الإشارة إلى بعض الأسباب الأخرى التي ساعدت على حث كثير من زعماء القبائل وبعض من السكان إلى الخضوع للحكومة الإيطالية بطرابلس.. والتي كان من بينها الإرهاق والخسائر الجسيمة التي لحقت بهم أثناء الحروب الماضية.. بالإضافة إلى نقص التجهيزات اللازمة لخوض الحرب من جديد وانتشار الفقر بين سكان الجبل وبقية القبائل المجاورة.. أما الفريق الثاني الذي كان بزعامة سليمان الباروني فقد أصروا على مواصلة الكفاح عكس الفريق الأول فقد كانوا يؤمنون بمبدأ محاربة الكفار الذي كان قد اتخذه سليمان الباروني منطلقاً لمواصلة المقاومة المسلحة ضد القوات الإيطالية... وبالطبع فقد ألحق المجتمعون في طرابلس مع السلطة الإيطالية الحكومية وتأييدهم المطلق لسيطرة حكومة طرابلس على الجبل ضربة حاسمة بجميع خطط الباروني وأهدافه التي كان يسعى إلى تحقيقها بعد أن تخلوا عنه والانضمام إلى السلطات الإيطالية ولكن برغم ذلك فقد انضم إليه كل من أولاد بوسيف والمشاشية [حوالى 500 مقاتل] وذلك من أجل ضمان احترام بقية القبائل لهم،وفي أثناء ذلك طالب سليمان الباروني من محلات نالوت والزنتان التي كانت تحت قيادة خليفة بن عسكر وأحمد الصيد القيام بنزع السلاح من أيدي زعماء القبائل الذين ذهبوا إلى طرابلس لمقابلة حاكم المستعمرة.. وبالفعل فقد تم اعتقالهم مباشرة بعد عودتهم من طرابلس عدا محمد فكيني من الرجبان الذي كان يعتبر من أكثر أولئك الزعماء نفوداً حيث تمكّن من الهروب.. ولجأ إلى مسكنه في يفرن.. مما أدى بالتالي إلى إرسال بضعة رجال مسلحين للقبض عليه هناك بدون جدوى.. ونتيجة لتلك الإجراءات الشديدة فقد ازدادت حدة الصراع بين الفريقين خاصة بعد تدخل محمد بن عبد الله زعيم

أولاد بوسيف الذي كان قد جرح خلال ذلك الصراع.. أما محمد فكيني فقد ظل حراً طليقاً حيث عاد إلى مقر إقامته السابق وذلك بفضل صديقه محمد بن عبد الله الذي أفسد ذلك التصرّف منه علاقاته مع سليمان الباروني مما أدى إلى إبعاده نهائياً عن الجبل تاركاً وراءه زعامة أولاد بوسيف لكل من أبو بكر قرزة ومحمد بن عمر، أما بقية الزعماء الذين تم القبض عليهم فلم يفرج عنهم بل ظلوا في سجن يفرن إلى اليوم الذي دخلت فيه القوات الإيطالية يفرن بقيادة الجنرال ليكوي LEQUIO. ولإزالة الشك عن بعض الأحداث الخاصة بالفترة الزمنية الأولى من دخول القوات الإيطالية للبلاد... يمكن القول إن أغلبية السكان كانوا يفضلون استقرار السلام.. ولكن هذا لا يخفي من ناحية أخرى قيام سليمان الباروني بدور نشط أدى إلى تحريض كثير من زعماء القبائل على مواصلة الكفاح ضد القوات الإيطالية من أجل تحقيق حلم تأسيس إمارة مستقلة، مما دفع كثيراً من زعماء القبائل الانضمام إليه لتحقيق ذلك الأمل المنشود الذي كان يراودهم في ذلك الوقت.. وكان من بين أولئك الزعماء هذه الأسماء:

1 ـ يفرن:

موسى قرادة، ساسي خزام اليفرني، أحمد الكور، سليمان بن ساسي، سالم البرشوشي، سالم البارودي، عيسى كوسه، محمد قرادة، عثمان بن كافون وعيسى بن يحيى.

2 ـ فساطو:

يوسف خريبيشة [3]، محمد خليل ويوسف عبازة.

---

(3) أصبح يوسف خريبيشة مثل مواطنه خليفة الزاوي من أشهر المتعاونين الذين انضموا إلى القوات الايطالية فيما بعد. ومن الذين هرعوا لاستقبال الدوتشي موسوليني أثناء زيارته للبلاد، حيث قام شخصياً بتقديم هدية إليه هي عبارة عن «سيف الإسلام» وذلك كما يبدو في صورة التقطت له مع خليفة الزاوي بتلك المناسبة نشرت في مجلة ليبيا:

LIBIA. ANNO 1 - N. 2. TRIPOLI, MAGGIO. 1937 - XV. P. 1.

(المترجم).

3 ـ الزنتان:

أحمد الصيد وعلي الشنطة.

4 ـ كلكلة:

الفقي خليفة الأميري وخليفة بن حسين.

5 ـ نالوت:

خليفة بن عسكر، العزابي إبراهيم بوالاحباس، عبد الله نعامة وعبد القادر العيساوي.

6 ـ الرحيبات:

محمد الشين.

7 ـ بئر غنيم:

عون المحمودي.

ويمكن إضافة إلى أولئك الزعماء ذكر الولي الصالح عبد الله بن فاضل من العجيلات الذي كان يتمتع بنفوذ اجتماعي واسع على الزنتان كذلك كل من بوبكر قرزة ومحمد بن عبد الله من أولاد بوسيف. أما فيما يتعلق بتحريض السكان فقد استطاع سليمان الباروني استمالة حوالى ثلثي سكان يفرن والأصابعة وحوالى نصف سكان فساطو والهود وكلكلة والرحيبات، مع أغلبية النالوتيين والزنتان والمشاشية وأولاد بوسيف بالإضافة إلى أقلية من سكان الرجبان.

لقد حاول الباروني مع بقية الزعماء الذين انضموا إليه في مواصلة الكفاح، تأسيس حكومة مستقلة لم تحمل أيّة تغييرات فيما يتعلق بالتدابير التي كان قد اتخذها نشأت بي أثناء فترة النزاع الإيطالي ـ التركي، حيث كان قد قام القائد العثماني نتيجة لظروف الحرب الملحة بإنشاء مديريات جديدة أخرى منها مديرية الرياينة في قائمقامية يفرن وكذلك كل من مديريات الرحيبات والرجبان بقائمقامية فساطو ثم مديريات كاباو والحرابة في نالوت، حيث لم يتم تغيير

الموظفين الرسميين بل بقوا جميعاً ما عدا يفرن حيث تم تعيين ساسي خزام في منصب متصرف بدلاً من موسى قرادة الذي كان قد استقال من ذلك المنصب كما ذكرت سابقاً.

أما في فساطو فلم يرغب أحد تولي منصب عمر عراب الذي كان يشغل منصب قائمقام لفساطو أثناء الحكم التركي، لذلك فقد تم تشكيل مجلس شورى يتكوّن من الوجهاء والأعيان لإدارة شؤون فساطو، هذا وقد تم حشد المحلات المختلفة في ثلاثة معسكرات مختلفة هي:

1 ـ الرابطة: يشمل هذا المعسكر حوالى ألف مقاتل من كل من فساطو، يفرن، ككلة، ورفلة، الرياينة، الرجبان، الحرابة، الزنتان وبئر غنيم.

2 ـ الأصابعة: كان يشمل حوالى ألفي مقاتل من قبائل نالوت، الزنتان، الأصابعة، أولاد بوسيف، المشاشة، غريان، ورفلة، الرجبان، الرحيبات المقارحة (فزان) والشيامبة (تونس).

3 ـ بئر غنيم: ويشمل خمسمئة مقاتل من الزاوية، بئر غنيم والريانية.

هذا وقد بلغ مجموع المقاتلين بالمعسكرات الثلاثة حوالى ثلاثة آلاف وخمسمئة مقاتل مسلح تم تزويدهم بكافة أنواع البنادق بما فيها عدد غير محدود من بنادق بوصوانة، ومع ارتفاع تعداد المتطوعين للقتال في المحلات المختلفة أصبح من الضروري على أولئك المتطوعين الاستعداد لحمل أسلحة أولئك الذين يستشهدون أثناء العمليات الحربية.

وكان أولئك المقاتلون يتلقون مرتبات عينية تشمل تزويدهم بكميات من الدقيق والتين المجفف وكذلك التمور المجففة بصفة غير منتظمة، ولم يتلق أولئك الجنود المسلمون مرتبات نقدية شهرية ما عدا مرتب شهر نوفمبر من نفس السنة وقدره ثلاثون ليرة دفعت لكل مقاتل، أما الموظفون فلم يحصلوا على أيّة مرتبات. أما التموينات اللازمة من ذخيرة وأسلحة ودقيق بالإضافة إلى المال فقد كانت تأتي من تونس بواسطة أحمد بن جبارة الذي كان يقوم بتسليم كميات كبيرة من الأمتعة إلى الهيئة الخاصة التي تأسست في بن قردان تحت إشراف

يوسف خريبيشة الذي كان يقوم باتخاذ كافة الوسائل اللازمة من أجل توصيلها إلى معسكرات المقاتلين. أما في يفرن فقد كان هناك شخص تونسي يقوم بتشغيل مصنع صغير خاص بتعبئة المخروطات النحاسية الفارغة المستخدمة في البنادق بالمواد المتفجرة، حيث كان نفس الشخص يقوم بتلك المهمة أيضاً من قبل أثناء الحكم العثماني للبلاد.

وكما رأينا فقد اهتم كثير من الصحف والمجلات خاصة الصادرة في تونس والقاهرة بأخبار تلك الدويلة بالجبل كذلك بعض الصحف الأوربية، بل اعتبرت الصحافة العربية أن المفاوضات التي كانت جارية بين الحكومة الإيطالية وتلك الدويلة عبارة عن انتزاع لكينونة سليمان الباروني المفضلة.

المفاوضات:

تم عقد اجتماع في يفرن مساء اليوم الثامن من نوفمبر بين كل من موسى قرادة، سليمان الباروني، يوسف خريبيشة وسالم بالحاج بالإضافة إلى دستة من أعيان الجبل الآخرين، هذا وقد حضر الاجتماع كل من الكونت م. سفورزا Cont. M. SFORZA والفارس سان فيليب Cav. SAN FILIPPO أعضاء البعثة العلمية الإيطالية الذين كانوا مساجين بفزان أثناء الحرب الإيطالية ـ التركية، وقد أرسلوا إلى يفرن بعد أن تم الإفراج عنهم بموجب اتفاقية السلام التي أبرمت بين الطرفين المتنازعين.

وأثناء ذلك الاجتماع قام سليمان الباروني بتلاوة كافة المقترحات المقدمة من المقاتلين بالجبل ما عدا أولئك الذين يوجدون في غريان، العجيلات وغدامس فلم يتعرض لذكرهم، ثم طلب بعد ذلك من أعضاء البعثة العلمية الإيطالية أن يكونوا سفراء سلام لدى الحكومة الإيطالية مع إبلاغها برغبة سكان مناطق الجبل في الحصول على الاستقلال غير المشروط، فإذا لم توافق الحكومة على ذلك الشكل من الاستقلال فليكن إذن على شكل محمية مثل ما تمارسه بريطانيا على مصر، وفي نهاية الاجتماع وعد أعضاء البعثة العلمية الإيطالية المؤتمرين بتوصيل جميع مطالبهم إلى الحكومة الإيطالية.. ولكن تمت

في الواقع إعادة أعضاء البعثة العلمية إلى السجن بمجرد عودتهم إلى طرابلس في 12 نوفمبر 1912 م.

وفي يوم 13 نوفمبر 1912 م أرسل الجنرال شيانشيو CIANCIO الذي كان قد تولى منصب الحاكم راني RAGNI بالوكالة رسالة إلى سليمان الباروني [لم يرها الباروني إلا فيما بعد ـ (أكتوبر 1921 م)] حيث أعلمه فيها بأهمية كافة الأمور التي تمت مناقشتها في ذلك المؤتمر.. وأن نتائج تلك المناقشات قد أرسلت إلى روما، وقد أجاب سليمان الباروني عن تلك الرسالة في 17 ديسمبر 1912 م موضحاً عزمه على الاستمرار والتمسك بوجهة نظره حول الاستقلال وفقاً للفرمان الذي أصدره السلطان والذي يقضي بمنح الاستقلال لسكان إقليم طرابلس ورغبته في الدفاع عن تحقيق الاستقلال بقوة السلاح، كما أنه أرسل إلى شمس الدين [الذي كان قد تم تعيينه بواسطة السلطان العثماني في اتفاقية أوشي والذي كان في ذلك الوقت موجوداً في بنغازي من أجل مشاركة السكان في الاحتفال بمناسبة انسحاب تركيا من ليبيا] وكذلك إلى القناصل الأجانب بطرابلس نسخاً من مضبطة سكان ورفلة الذين أعلنوا فيها استعدادهم للدفاع عن الحرية التي منحت لهم بواسطة السلطان العثماني.. كما قام سليمان الباروني بإرسال رسالة أخرى إلى علي كعبار قائمقام غريان يشكو له فيها عدم اهتمام الحكومة الإيطالية بمطالبه حيث أنه لم يتلق إجابة عن مراسلاته معها.. مبدياً رغبته في التوسط له من جانبه للحصول على مقابلة كل من الجنرال راني RAGNI والجنرال شيانشيو CIANCIO في الرابطة. وعلى كل حال فإن جميع تلك المراسلات لسليمان الباروني لم تحقق أيّة نتائج إيجابية له.. ومن ثم فقد خابت آمال سليمان الباروني في تحقيق رغبته حتى إنه طالب بالدخول مع حكومة المستعمرات الإيطالية في مفاوضات لتسفير وفد مفاوضين بحراً من طرابلس إلى روما لمناقشة كافة الأمور المتعلقة بتأسيس إمارة مستقلة بالجبل مع الوزير بيرتوليني BERTOLINI [وزير المستعمرات]. وحتى بعدما حصل الباروني على صلاحية إرسال مبعوثيه للتفاوض مع الحكومة الإيطالية بشرط أن يكونوا مصحوبين بأحد المسؤولين الطليان، لم يتم سفر المفاوضين في آخر

لحظة.. مما جعل الباروني يقترح على آمر طرابلس في 26 يناير 1913 م إمكانية سفر الوفد إلى تونس ثم إلى باريس بدلاً من روما للتفاوض مع السفير الإيطالي وشخصية أخرى هامة يتم تعيينها بواسطة الحكومة الإيطالية المركزية.. وذلك كحل للنزاع والخلاف الذي ساد بين سكان الجبل حول سفر الوفد إلى روما، كما كان سليمان الباروني أيضاً يرى إمكانية اختيار الكونت سفورزا .Cont SFORZA الذي يعتبر ملماً بكافة الأمور حول تلك القضية بالإضافة إلى أنه كان يتمتع بثقة كافة زعماء قبائل الجبل واحترامهم وذلك من أجل الوصول إلى اتفاق بين الطرفين. ولكن حكومة طرابلس كانت تعرف الموقف في الجبل جيداً، فقد كانت مقتنعة بأن المشكل الحقيقي لهذا التغيّر الذي يجب أن يتم البحث فيه.. هو موقف الباروني المتصدع [إذْ أنه قد حدث أنْ تنكر له صراحة بعض زعماء القبائل أثناء المؤتمر الذي عقد في 26 يناير بيفرن] ويرجع ذلك إلى ما يعانيه من نقص المواد الغذائية بالإضافة إلى الظروف السيئة القاسية التي كان يعيشها السكان مما جعلهم يتخلون عنه تدريجياً، وقد تبع ذلك أن قام الوفد باتخاذ طريق خفية إلى تونس بدلاً من الذهاب إلى طرابلس، وقد كان ذلك الوفد من المفاوضين يجب أن يضم إليه يوسف خريبيشة بالإضافة إلى موسى قرادة وعلى الشنطة إلاّ أنه لم يستطع السفر معهم لانشغاله المستمر في بن قردان حيث كان يقوم بالإشراف على إرسال كافة التموينات اللازمة إلى معسكرات المقاتلين.

وقد أشارت الصحف التونسية الصادرة في 9 فبراير 1913 م إلى نبأ وصول موسى قرادة ورفيقه إلى تونس مما جعل المهندس ديسي DESSI الذي كان يعتبر صديقاً شخصياً لموسى قرادة يبحث عنه بمجرد تلقيه خبر وصول الطرابلسيين، كما بعث بتلغراف إلى الكونت سفورزا SFORZA الذي كان قد وصل إلى مرسيليا يعلمه فيها بذلك الخبر... وخلال بضعة أيام قام الأخير بعقد اجتماع مع كل من موسى قرادة وعلى الشنطة، وكانت من بين المستندات الرسمية التي بقيت في حيازة سليمان الباروني حتى عام 1921 م، حيث استطعت الاطلاع عليها، ما يشير إلى مهمة الوفد الذي ذهب لمقابلة السفير الإيطالي في باريس وذلك من أجل إبلاغه بما يلي:

1 ـ المطالبة بالاستقلال الذاتي للجبل والساحل الغربي مع اعتبار مرسي زواغة عاصمة لتلك الإمارة المستقلة.

2 ـ في حالة عدم الموافقة على ذلك المطلب لأي سبب من الأسباب فيمكن مناقشة شكل آخر من أشكال الحماية يكون مشابهاً لتلك التي تبسطها بريطانيا على مصر.

3 ـ إذا ما تم رفض المطلب الثاني أيضاً.. فيجب المطالبة بالحصول على اعتراف بموجبه يتم الحصول على منح بعض التسهيلات الخاصة منها منح الاستقلال لكافة المناطق المذكورة أعلاه كما هو معمول به في بقية الدوائر القضائية بالإقليم الطرابلسي.

وعندما وصل كل من موسى قرادة وعلى الشنطة يرافقهما المهندس ديسي DESSI إلى مرسيليا، نصحهما الكونت سفورزا SFORZA بضرورة الذهاب إلى روما بدلاً من باريس، وهكذا فقد واصل الوفد سفره إلى روما يرافقهما المهندس ديسيDESSI الذي قدمهما إلى السنيور بيرتوللیني وزير المستعمرات الايطالية في روما بصفته مترجماً للمفاوضين أرسله الباروني معهم.

وبعد أن تم استقبال كل من موسى قرادة وعلي الشنطة للوزير قام الأخير بإجراء اتصال مع الحاكم الجنرال RAGNI «راني» بطرابلس حيث أخبره بأن المحادثات الرسمية قد أجريت مع كل من المبعوثين [الذين كانوا قد تقدموا بمقترحات تبدو معقولة لوزير المستعمرات] لهذا فقد طلب الوزير من الجنرال RAGNI حاكم طرابلس بضرورة إيقاف جميع العمليات الحربية التي كان قد تم التخطيط لها من قبل وذلك لمدة أسبوعين.. كما طالبه بالسماح لكل من مبعوثي سليمان الباروني بالرجوع إلى روما خلال 15 يوماً من رجوعهم إلى المستعمرة مصحوبين بزعماء آخرين، وذلك من أجل الوصول إلى اتفاق نهائي.

وفي الواقع أنه لم يحدث ما يعكرّ تلك الهدنة القصيرة، فلم تحدث مطلقاً غارات نهب وسلب ولا أيّة تصرفات عدائية ضد السكان الخاضعين للسلطة الايطالية أوْ ضد القوات العسكرية الايطالية التي كانت تحت مراقبة كل من قوات

الباروني والشيخ «سوف» المنتشرة في كل من السهل والجبل.. ولكن في الواقع أن تلك الهدنة لم تستمر طويلاً حتى استعادت حكومة طرابلس حريتها المطلقة في القيام بتنفيذ العمليات الحربية التي كان قد تم تأجيلها من قبل.

وفي يوم 12 مارس 1913 م رجع كل من الكونت سفورزا والمهندس ديسي DESSI إلى تونس وذلك بعد الوصول إلى اتفاق مبدئي بين المفاوضين الطرابلسيين والوزير بيرتوللیني، وقد سافرا معاً بسرعة إلى جنوب تونس من أجل القيام بالمهمة التي كان الوزير قد كلفهما بها والتي كانت تشمل حثاً ومراقبة لكافة المهام التي سيقوم بها كل من موسى قرادة وعلي الشنطة اللذين كانا قد وصلا إلى تونس معهما.. وقام على الفور بالاتصال مع جميع زعماء القبائل المنشقين وذلك من أجل إبلاغهم بكافة الأمور التي تم الاتفاق عليها مع وزير المستعمرات بروما، بالإضافة إلى دعوتهم للمشاركة في الاجتماعات القادمة، لكن عندما وصل علي الشنطة إلى بن قردان في يوم 22 مارس وذلك من أجل الاتصال بسليمان الباروني لكي يخبره عن نتائج المفاوضات.. كانت جميع الأمور قد تأزمت في الجبل الغربي.

العمليات العسكرية ومعركة الأصابعة:

على الرغم من فشل مهمة كل من علي الشنطة وموسى قرادة في القيام بإجراء مزيد من المفاوضات مع السلطات الإيطالية.. إلاّ أن ذلك لم يجعل سليمان الباروني يتوقف عن مواصلة الكتابة، بل استمر في الاتصال بكافة المسؤولين بالحكومة الإيطالية، وقد أتيحت لي الفرصة للإطلاع على كثير من نسخ الرسائل التي كان قد قام بإرسالها إلى كل من الجنرال RAGNI، رئيس الوزراء الإيطالي، رئيس مجلس السناتو [الشيوخ]، رئيس مجلس النواب وإلى بقية المسؤولين في السلطة الايطالية... بالإضافة إلى مراسلاته إلى كثير من أعيان القبائل وزعمائها الخاضعين للحكومة الإيطالية بطرابلس وكان من بينهم كل من الهادي كعبار في غريان وعلي بن شعبان من زوارة وعلي بن تنتوش وغيرهم.

إن ازدياد الموقف سوءاً بين القوات الإيطالية وبقية المحلات المنشقة ضد السلطة الإيطالية... أدى إلى ازدياد غارات النهب والسلب بالإضافة إلى الاعتداءات المسلحة البسيطة ضد المواقع الأمامية للقوات الإيطالية.. مما جعل من المتعذر جداً تحديد هوية الجماعة التي قامت بتلك الهجمات، وكان من أسوأ تلك الغارات، تلك التي حدثت على إقليم غريان (الأراضي الغريانية) بتاريخ 15 فبراير 1913 م، حيث قامت أعداد كبيرة من المقاتلين التابعين لمعسكر الرابطة بالهجوم على أحد نجوع الأهالي الخاضعين للسلطة الايطالية فلم يستطيعوا مقاومة تلك القوات مما جعلهم يلوذون بالفرار أمام هجمات المغيرين تاركين وراءهم غنائم هائلة استولى عليها المهاجمون بسهولة. أما الهجوم الآخر الذي لا يقل عنفاً وشراسة عن الهجوم الأول فهو ذلك الهجوم الذي كان قد وقع بعد مضي بضعة أيام على الهجوم الأول على أراضي الكليبة والقاطش. هذا وقد أصبح الموقف أكثر سوءاً بسبب أن مفاوضات الصلح التي كانت قد بدأت بواسطة المكتب السياسي بطرابلس قد أجهضت تماماً.. على الرغم من أن الوزير بيرتوللييني كان قد أصدر أوامره بتأجيل القيام بالعمليات العسكرية بتاريخ 3 مارس بسبب زيارة وفد المفاوضات الذي أرسله سليمان الباروني إلى روما.. إلاّ أن فترة الهدنة تلك والتي أعلنت لمدة 15 يوماً بين الطرفين لم يتم التقيّد بها بواسطة المقاتلين التابعين لسليمان الباروني مما جعلها بدون فائدة.

في الواقع أن ازياد الهجمات العدائية ضد القبائل الخاضعة للسلطة الحكومية الايطالية.. جعل زعماء تلك القبائل يطالبون الحكومة الايطالية بضرورة القيام بعمل حاسم للحد من تلك الهجمات العنيفة ضدهم. ونتيجة للهجوم العنيف الذي قام به أولاد بوسيف والمشاشية ضد مواقع القوات الايطالية في تيبدوت أثناء ليالي 18، 19 مارس أصدر وزير المستعمرات أوامره لحكومة طرابلس باتخاذ كافة الاجراءات المناسبة.. وبالفعل فقد تم اتخاذ كافة الاستعدادات اللازمة مساء يوم 21 مارس حيث بدأت القوات الايطالية العمليات العسكرية ضد زعماء القبائل المتمردين على السلطة الحكومية في صباح 23 مارس، حيث كان الهدف المقصود من وراء القيام بالعمليات العسكرية ضد

المتمردين في الجبل، هي السيطرة الكاملة على خط المرتفعات الواقع بين وادي جندوبة والأربعة وسرت لكي يتم التوجه منه إلى الأصابعة لمطاردة المتمردين «المجاهدين».. الذين كانوا قد انقسموا في كل من المنطقة الأخيرة ومعسكر الرابطة إلى فريقين بلغ تعدادهما حوالى ثلاثة آلاف مقاتل [3000 مقاتل] تحت قيادة كل من: سليمان الباروني، خليفة بن عسكر، بوبكر قرزة وأحمد الصيد؛ أما القوات الإيطالية فقد كانت بقيادة الجنرال ليكوي LEQUIO حيث تم تقسيمها إلى ثلاث فرق عسكرية.. الفرقة الرئيسية الأولى كانت بقيادة الجنرال ليكوي LEQUIO نفسه، أما الفرقتان الثانية والثالثة فهما عبارة عن فرق مساعدة للأولى التي غادرت مقرها في تيبدوت عند الساعة السادسة صباح يوم 23 مارس وهي على أتم الاستعداد للقيام بعمليات المناورة والهجوم. وبمساعدة قصف سلاح المدفعية لمواقع المقاتلين في الجبل استطاع جنود المشاة الموجودين في المقدمة التحرّك بكل سهولة مما أدى إلى سقوط الهنشير بالإضافة إلى بعض المواقع الأخرى التي كان يحتلها المقاتلون الجبليون في أيدي جنود القناصة وفرقة جنود الجبال، مما شجع القوات الايطالية على عدم التوقف بل الاستمرار في طرد رجال المقاومة الذين اتخذوا بعد انسحابهم من المناطق الوعرة نقاطاً دفاعية، لكن جنود القناصة وفرقة الجبال استطاعوا التقدم إلى الإمام حيث وصلوا في تمام الساعة التاسعة صباحاً من نفس اليوم إلى ظهرات، أقيرة ثم هضبة قصمات. وقد حاول المقاتلون المحليون الالتفاف على يسار القوات الايطالية أثناء تقدم تلك القوات إلى الإمام إلّا أن محاولتهم فشلت حيث استطاعت فصائل القوات الإيطالية الأمامية التصدي لذلك الهجوم حيث قامت بالتركيز على الأهداف الرئيسية التي كانت تشمل الاستيلاء على المرتفعات الجبلية التي تسيطر على حوض الأصابعة، وعلى الرغم من إطلاق النيران المكثف من جانب المقاتلين المحليين إلّا أن الجنود الطليان استمروا في زحفهم حتى وصلوا تلك القمة الجبلية المحيطة بالأصابعة بمساعدة قذائف سلاح المدفعية، مما جعل تلك القوات تتمكن من إبادة جميع محاولات المقاومة التي قام بها المقاتلون المحليون حيث أجبروا على الفرار تلاحقهم قوات من المجندين الليبيين تساعدها قوات من الفرسان.

وبينما وصلت الفرقة الأولى بقيادة الجنرال ليكوي LEQUIO إلى تحقيق الهدف، كانت الفرقة الثانية بقيادة الكولونيل بونتريمولي PONTREMOLI تتخذ مواقع دفاعية لها في كل من قارة توتا وقصر المنقوش وذلك من أجل البدء في ضرب مواقع المقاتلين المحليين الذين كانوا يتمركزون في المرتفعات الجبلية البيضاء كما يسميها الطليان تمييزاً لها عن المرتفعات الجبلية السوداء MONTRUSC NERO بالإضافة إلى الرابطة. . وبالرغم من وعورة أراضي تلك المنطقة إلاّ أن القوات الايطالية استمرت في التقدم ببطء بدون توقف حتى وصلت إلى قصر المنقوش حيث وجد قائد الفرقة أن ثمة قوات قليلة للمقاتلين المحليين لا زالت حاضرة متفرقة بتلك المنطقة، مما جعله يصدر أوامره للقوات الايطالية بالزحف إلى الأمام للاستيلاء على المرتفعات الجبلية البيضاء، وقبل وصول الفرقة الإيطالية إلى منحدرات تلك المرتفعات قام الجنود الموجودون في المقدمة بإطلاق نيران كثيفة على المقاتلين المحليين الذين كانوا متربصين في ثنايا منحدرات المرتفعات، مما أدى أيضاً إلى تدخل سلاح المدفعية الذي قام بقذف تلك الخلايا المتمركزة من المقاتلين بوابل من القذائف النارية أجبرتهم على الفرار وترك مواقعهم. هذا وقد استطاعت الفرقة الثانية بقيادة الكولونيل بونتريمولي PONTREMOLI من حيث إنجاز المهمة المكلفة بها تحقيق السبق على الفرقة الثالثة. التي كانت بقيادة فابري FABBRI الذي كان عليه الوصول إلى السهل أولاً. . ثم التوجه منه بعد ذلك إلى تحقيق المهمة المكلف بها التي تشمل الاستيلاء على الرابطة والمرتفعات الجبلية السوداء، ولكن عندما علم الكولونيل بونتريمولي PONTREMOLI من دورية الاستطلاع، أن الفرقة العسكرية الثالثة بقيادة فابري FABBRI لا تزال بعيدة من حيث المسافة عن الوصول إلى هدفها، أمر فرقته بالتقهقر لتحقيق تلك المهمة بدلاً من الفرقة الثالثة. وترجع الأسباب في الواقع التي جعلت الفرقة الثالثة تتأخر، إلى أنه قد حدث في صباح 23 من نفس الشهر أن تم إرسال حوالى نصف فيلق فرسان الخيالة من أجل مساعدة دوريات الاستطلاع التي كان قد تم إرسالها إلى شرق المرتفعات الجبلية السوداء لرصد قوات المقاتلين المحليين، ولكن أثناء قيامها بتلك المهمة اشتبكت معها في معركة حامية، وعندما شعر قائد الفرقة بمهاجمة

قوات المقاتلين المحليين بدأ في التقدم إلى الأمام حيث تم وضع كل من فرقة الباقوني أو الطاووس وفرقة الساحل في المقدمة تليها بطارية الجمالة (المهاريستا) ثم فرقة المجندين الأريتريين بالإضافة إلى فرقة الاحتياطي التي تكوّن في الغالب الفرقة العسكرية الثالثة. وبسرعة خاطفة قام المقاتلون المحليون بمهاجمة القوات الايطالية وبعد مضي خمس وأربعين دقيقة من القتال الضاري بين الطرفين، استسلمت قوات الاحتياطي حيث انسحبت تاركة وراءها الفرقة العسكرية مكشوفة بدون حماية مما جعل وحدة الجنود الأريتريين تقوم بحمايتها ضد الهجمات الشرسة التي كانت تشنها قوات المقاتلين المحليين، وبالفعل فقد أظهرت وحدة الجنود الأريتريين شجاعة نادرة في قيامها بمطاردة قوات المقاتلين المحليين حيث اضطر الجنود الأريتريون إلى إطلاق النيران على أولئك المقاتلين المندفعين بحماس من بعد لم يتجاوز مائة متر وأحياناً أقل من ذلك، وقد كانت اللحظة الحاسمة والصعبة معاً هي تلك التي واجهت فيها الفرقة العسكرية الثالثة قوات هائلة من سكان محلات الجبل التي أخذت تهاجمهم بشراسة من جميع الجهات، مما جعل قائد الفرقة يضطر لإصدار أوامره بالانسحاب الذي تم بكل دقة ونظام من قبل جميع الوحدات العسكرية، وقد سرى مفعول ذلك الأمر أيضاً على وحدة المجندين الأريتريين ولكن عندما ازدادت خطورة الموقف صعوبة واصل المجندون الأريتريون زحفهم لتحقيق الهدف، حيث قاموا بشن هجوم أصبح مشهوراً في حوليات الحملة العسكرية الايطالية على ليبيا، حيث استطاعوا أن يربكوا قوات المقاتلين المحليين التي انهارت قواها أمام تلك الهجمات الشرسة للأريتريين مما دفعهم للفرار بينما استغل المجندون الأريتريون تلك الفرصة لملاحقتهم وهم يصوبون إليهم حراب البنادق، مما بعث الحماس في نفوس بقية جنود الفرقة العسكرية الثالثة الذين أخذوا يلاحقون المقاتلين المحليين الذين كانوا قد لاذوا بالفرار بدون حماية، مما جعل فابري FABBRI قائد الفرقة يصدر أوامره بسرعة إلى رتل الجنود لاستئناف المسيرة إلى الرابطة لكي يتم الاتصال بالفرقة العسكرية الثانية بقيادة الكولونيل PONTREMOLI مما أتاح للفرقة التخلص من القيام بالمهمة التي كانت قد تم تكليف الفرقة الثالثة بإنجازها، لهذا فقد عادت الفرقة العسكرية

الثالثة لتعسكر حول بيركوكا حيث تعرضت لمضايقات نيران بنادق المقاتلين المحليين. وعلى الرغم من انعدام الاتصال بين الفرقتين العسكريتين الثانية والثالثة بسبب المسافة الطويلة التي كان قد قطعها قائد الفرقة الثالثة بالإضافة إلى المعركة التي كان قد خاضها، إلاّ أنه استطاع بعسكرته حول بيركوكا واشتباكه مع المقاتلين المحليين خاصة تلك المناوشات التي دارت بينه وبين قوات معسكر الرابطة، أن يجعل الفرقة الثانية بقيادة فابري FABBRI تمهد الطريق أمام قوات الكولونيل PONTREMOLI للوصول بسهولة إلى السيطرة على كل من قارة توتا والمرتفعات الجبلية البيضاء مما أدى إلى تحقيق النصر في معركة الأصابعة.

وعندما أصدر الأمر LEQUIO قائد الفرقة العسكرية الأولى أوامره السريعة التي كانت تقضي بتنظيم الخطوط الخلفية للجبهة وحمايتها من أجل أن يتم الاتصال بين جميع الطوابير العسكرية ببقية الفرقة العسكرية، فقد تم في اليوم التالي لصدور تلك الأوامر وبالضبط يوم 24 مارس احتلال قصر الأصابعة بعد مقاومة عنيفة، وذلك بعد أن خسر المقاتلون المحليون في اليوم السابق 23 مارس حوالى ثلاثمئة وخمسين قتيلاً بالإضافة إلى أعداد كثيرة من الجرحى، كما تم جمع مئات البنادق من أرض المعركة، أما خسائر القوات الايطالية فقد كانت عبارة عن مقتل ضابطين وأربعة وثلاثين جندياً، أما عدد الجرحى فقد كان حوالى مئتين وخمسة جنود منهم تسعة ضباط. وفي يوم 25 من نفس الشهر تم الاستيلاء على كلكلة، هذا وقد تم الوصول إلى سوادنة يوم 26 مارس بينما تم رفع العلم الإيطالي يوم 27 مارس وذلك على قلعة يفرن المقر القديم للمتصرف التركي. وبذلك يمكن القول أن القوات الايطالية قد استطاعت أن تنجز مهمة احتلال الجبل، مما جعل زعماء المقاومة يلوذون بالفرار حيث اتجه كل من سليمان الباروني، ساسي خزام وخليفة بن عسكر يرافقهم بعض الزعماء الآخرون غرباً، أما أولاد بوسيف والمشاشة فقد اتجهوا جنوباً، وبذلك تم للقوات الايطالية السيطرة على الجبل بعد أن ذابت المقاومة المسلحة في جميع المحلات بالجبل ضد القوات الايطالية الغازية.

وفي كلكلة استلم الجنرال «ليكوي» LEQUIO رسالة من سليمان الباروني

يطلب منه فيها «ضرورة إيقاف كافة الأعمال العدوانية في الجبل لكي يتم عقد مؤتمر للزعماء بالجبل لمناقشة إمكانية التوصل إلى اتفاق» هذا وقد أدعى الباروني في رسالته إلى الجنرال المذكور عدم مسؤوليته عن الهجوم الذي قام به لمقاتلون المحليون ضد القوات الايطالية في تبدوت والذي أدى في الواقع إلى إلغاء الهدنة بين الطرفين، كما أنه يوضح في رسالته أيضاً عدم ممانعته حول منح الاستقلال الذاتي للجبل الذي كانت الحكومة قد اعترفت به، كما يبدو في الترجمة الحرفية للفقرة الواردة في الرسالة المذكورة كما يلي:

بسم الله...

قبل كتابة هذه الرسالة، وصل علي أفندي الشنطة أحد المفاوضين الذين ذهبوا إلى روما... وقد أخبرني عن كل ما دار هناك من مناقشات مع الوزير الذي أبدى قبوله لمطالبنا... وعلى كل حالٍ فنحن نأسف جداً لما حدث... حيث لم نستلم أي تلغراف من تلك التلغرافات التي أرسلت لنا حول ذلك الموضوع، ولكن يبدو أن تلك التلغرافات قد تم حجزها لربما في مدينة تونس أوْ في الذهيبات وعلى كل حالٍ فقد حدث ذلك بمشيئة الله وقدرته.. فإنني أقسم على أن السبب الرئيسي وراء نشوب تلك المعركة يرجع إلى قلة من رجال أولاد بوسيف بمساعدة بعض المقاتلين الآخرين... فإنا شخصياً لم أرتكب أي عمل عدواني ضدكم سوى اتخاذ موقف المنازع حيث أني كنت أنتظر نتيجة المفاوضات التي قام بإجرائها الوفد الطرابلسي في روما مع وزير المستعمرات، ولكن القدر كان حاسماً.. وعلى كل حالٍ فإنا ليس لديّ مانع في قبول الاستقلال الذاتي للجبل الذي كانت قد تعهدت الحكومة بتحقيقه، لهذا فليس لدى حاجة إلى مزيد من التفكير في ذلك ولا إلى دعوة بقية الزعماء إلى عقد اجتماع بخصوص ذلك، فأنا أريد من معالي سعادتكم أن تكون وسيط بيننا وبين الحكومة الايطالية الموقرة في تقديم اعتذارنا، كما أرجو منك أن تعلمني عن حقيقة ذلك الموقف..».

وقد رد الكولونيل LEQUIO في بلاغ مقتضب على رسالة سليمان الباروني بينما كانت قواته تواصل مسيرتها نحو يفرن بدون مقاومة، مما فرض

على الزعماء الذين كانوا يرغبون في العيش بسلام ضرورة رفع الأعلام البيضاء أمام القوات الايطالية الزاحفة.. أما الباروني وساسي خزّام مع بقية الزعماء الآخرين فقد تم إقصاؤهم عن البلاد، وعلى الرغم من أن الأمور كانت تسير لصالح القوات الايطالية في الجبل، إلاّ أن وزير المستعمرات ناقش مسألة الجبل مع حكومة طرابلس حيث أبدى موافقته مبدئياً على جزء من المشروع الذي يطالب به المفاوضون الطرابلسيون على الأقل. ففي يوم 23 مارس نفس اليوم الذي نشبت فيه معركة الأصابعة أرسل السنيور بيرتوللييني وزير المستعمرات الايطالية تلغرافاً إلى الجنرال RAGNI يعلمه فيه موافقته الشخصية على تأسيس مقاطعة في الجبل تكون ذات نظام خاص بحيث يتم تعيين الزعماء فيها بواسطة الانتخاب.. ولكن إجابة قائد القوات الايطالية بطرابلس كانت عبارة عن الرفض التام لمقترحات الوزير، مما جعل ذلك التصرف من قبل قائد القوات الايطالية من الأخبار السيئة التي لم تفرح سليمان الباروني وغيره من الزعماء المهتمين بذلك الأمر، ومن جهة أخرى نجد أن سكان الجبل قد انقسموا حول تأسيس تلك المقاطعة، فالبعض يؤيدها.. أما البعض الآخر فيرفضها خاصة أنهم يعتقدون أن تأسيس مثل تلك المقاطعة المستقلة ذاتياً لا يمكن أن يتم بدون اعتراف بل وإشراف تام بواسطة الحكومة الايطالية المركزية على الرغم من زعامة سليمان الباروني للمقاطعة. لهذا وغيره من الأسباب الأخرى فإن تأسيس مقاطعة مستقلة بالجبل لا يعتبر ذا أهمية حقيقية بالنسبة لهم. وعلى كل حالٍ فلربما كان الغرض من تصريحات وزير المستعمرات الايطالية المتعلقة بالجبل سياسياً تهدئة سكان الجبل خاصة أن نتائجها ستكون سيئة على بقية مناطق الإقليم الطرابلسي حسب وجهة نظر الحكومة الايطالية نفسها ذلك أن تحقيق مثل تلك الوعود يجبر الحكومة الايطالية فيما بعد إلى منح الاستقلال الذاتي لكافة مقاطعات الإقليم الطرابلسي.. بالإضافة إلى أن عملية انتخاب الزعماء المحليين بتلك المناطق يعتبر من العوامل التي سوف تقلل من سيطرة الحكومة، فلربما قد يؤدي ذلك إلى تعيين شخصيات بارزة تكون شديدة الولاء والتمسك بسليمان الباروني ومضادة للحكومة الايطالية مما سوف يؤدي إلى نتائج سلبية لن تكون لصالح تهدئة سكان المستعمرة إطلاقاً.

وعلى الرغم من امتناع حكومة طرابلس عن تأسيس مقاطعة للجبل مستقلة ذاتياً، إلاّ أن وزير المستعمرات بيرتوللينى ظل مقتنعاً بأن القاعدة الأساسية للمفاوضات لم تمانع في اختيار لائحة قرارات لتدارك الخوف مما يترتب عن ذلك من عواقب.

وبعد اجتماع سليمان الباروني بزعماء قبائل العلالقة، العجيلات، الصيعان والنوائل الذين ناقشوا معه كافة الأمور خاصة فيما يتعلق بخضوع تلك القبائل جميعاً واستسلامها للسلطات الحكومية الايطالية بطرابلس، أعلن سليمان الباروني رغبته في الذهاب إلى القسطنطينية فترك البلاد متوجهاً إلى تونس، وعندما وصل الذهيبات طلب مقابلة الجنرال بستور PISTOR الذي كان يشغل منصب قائد الاقليم الجنوبي التونسي، وعندما لم يحصل على مقابلة الجنرال الفرنسي واصل سفره براً بواسطة سيارة إلى صفاقس ليأخذ القطار من هناك إلى تونس العاصمة التي وصل إليها يوم 9 إبريل 1913 م، حيث قدمه المهندس ديسي DESSI إلى الكوماندانتور بوتسيني BOTTESINI قنصل ايطاليا، حيث طلب سليمان الباروني منه إمكانية إعادة المفاوضات مع روما، إلاّ أن القنصل أجابه بضرورة الخضوع وتسليم السلاح للحكومة الايطالية.. وفي تونس عقد سليمان الباروني مؤتمراً صحفياً مع بعض الصحف الفرنسية أعلن فيه تمسكه بالمطالبة بجبل نفوسة، مما جعل الصحف الصادرة في تلك الفترة تشير في عناوينها إلى أن المفاوضات من أجل استقلال الجبل قد باءت بالفشل مع حكومة ايطاليا، مما أدى إلى استئناف الكفاح المسلح.

وفي تلك الأثناء طلب الباروني مقابلة وزير المستعمرات الايطالية إلاّ أنّ طلبه رفضَ، حيث أبلغه المهندس ديسي DESSI بأن سفره إلى روما سيكون مستبعداً على الإطلاق.

وأخيراً حاول سليمان الباروني الحصول على العفو العام من الجنرال RAGNI حاكم الاقليم الطرابلسي، وذلك بالسماح له بالعودة مع رفاقه إلى اقليم طرابلس، لكن الجنرال رفض ذلك، كما أنه لم يوافق على منح سليمان الباروني أي معاملة خاصة، لأنه كان يعتبر سليمان الباروني أحد المحرضين ضد

الحكومة الايطالية، لذلك فإن عودته إلى المستعمرة سوف تؤدي إلى إثارة كثير من المشاكل. ولكن رغم ذلك فقد عاد سليمان الباروني متحدياً في ذلك قرارات حكومة روما، وعندما وصل إلى بن قردان ادعى باعتزاز وفخر أنه سيكون عنصراً محرضاً للسكان للقيام بثورة ضد الحكومة الايطالية بطرابلس. إن مثل تلك التصريحات في الواقع جعلت وزير الخارجية الايطالية خلال منتصف شهر مايو في نفس السنة يتصل بالحكومة الفرنسية طالباً منها إبعاد سليمان الباروني عن الحدود الليبية ـ التونسية.. بل القيام باعتقاله في تونس.. إلاّ أنه في الواقع لم يبق سوى بضعة أيام بتونس حيث غادرها للقيام برحلة إلى بعض العواصم الأوربية زار فيها كلاً من برلين، ڤينا، بوخارست ثم القسطنطينية، ولم يعد إلى تونس إلاّ في شهر مارس 1914 م، حيث قام باستدعاء أخيه أحمد الذي كان يعيش في جادو لرؤيته، حيث أخبره بامتنانه من الحكومة العثمانية التي منحته عضوية مجلس الشيوخ العثماني ذلك اللقب الذي كان يعتبر من اسمى الألقاب التي كان يطمح إلى الوصول إليها الباروني [يبدو أن الحكومة العثمانية قد وعدت الباروني بمنح ذلك اللقب له بشرط استعداده لمواصلة المقاومة في الجبل من جديد]. وعلى كل حالٍ فيبدو أن الهدف من وراء عودة سليمان الباروني إلى تونس ليس لرؤية أخيه فقط بل كان من أجل تحقيق مشاريعه القديمة.

أما عن أهم مؤلفات الباروني خلال الحرب الايطالية ـ التركية، فقد صدر له في القسطنطينية مع نهاية عام 1913 م كتيب صغير باللغتين العربية والتركية تحت عنوان «مذكرات المجاهد الكبير سليمان الباروني أثناء الحرب المقدسة». وقد نال سليمان الباروني على تلك البطولات التي نسبها إلى نفسه دبلوم المدالية الذهبية من «الجمعية الأكاديمية للتاريخ العالمي» Société Academique D'histoire international في باريس يوم 6 مايو 1914 م، وفي الواقع فقد كان الهدف من وراء نشر ذلك الكتيب الذي صدر بواسطة سليمان الباروني في القسطنطينية المناداة بتأسيس حكومة مستقلة في الجبل، بالإضافة إلى تبرئة سليمان الباروني من جميع التهم التي كانت قد وجهت إليه من البعض.. وقد

كانت تلك التهم تدور حول اعتزاله الحرب ضد الايطاليين مقابل حصوله على مبلغ من المال، وكذلك تهمة استيلائه على الأموال المخصصة لرجال المقاومة في الجبل.

ولكن الواقع هو أن سليمان الباروني كان رجلاً طموحاً ولم يوصم أبداً طيلة حياته.. بأنه كان شخصاً طماعاً يغريه المال كما تبرهن جميع المراسلات التي تمت بينه وبين كثير من الشخصيات البارزة المعاصرة له.. والتي كان أغلبيتها يتولى مناصب قيادية هامة في حكومة طرابلس... هذه المراسلات جميعاً تشير إلى نزاهة سليمان الباروني وأمانته كما تؤكد بصفة خاصة مراسلاته مع الكونت سفورزا مدى الاحترام الذي يكنه لسليمان الباروني نظراً لما كان يتمتع به من أمانة ونزاهة.

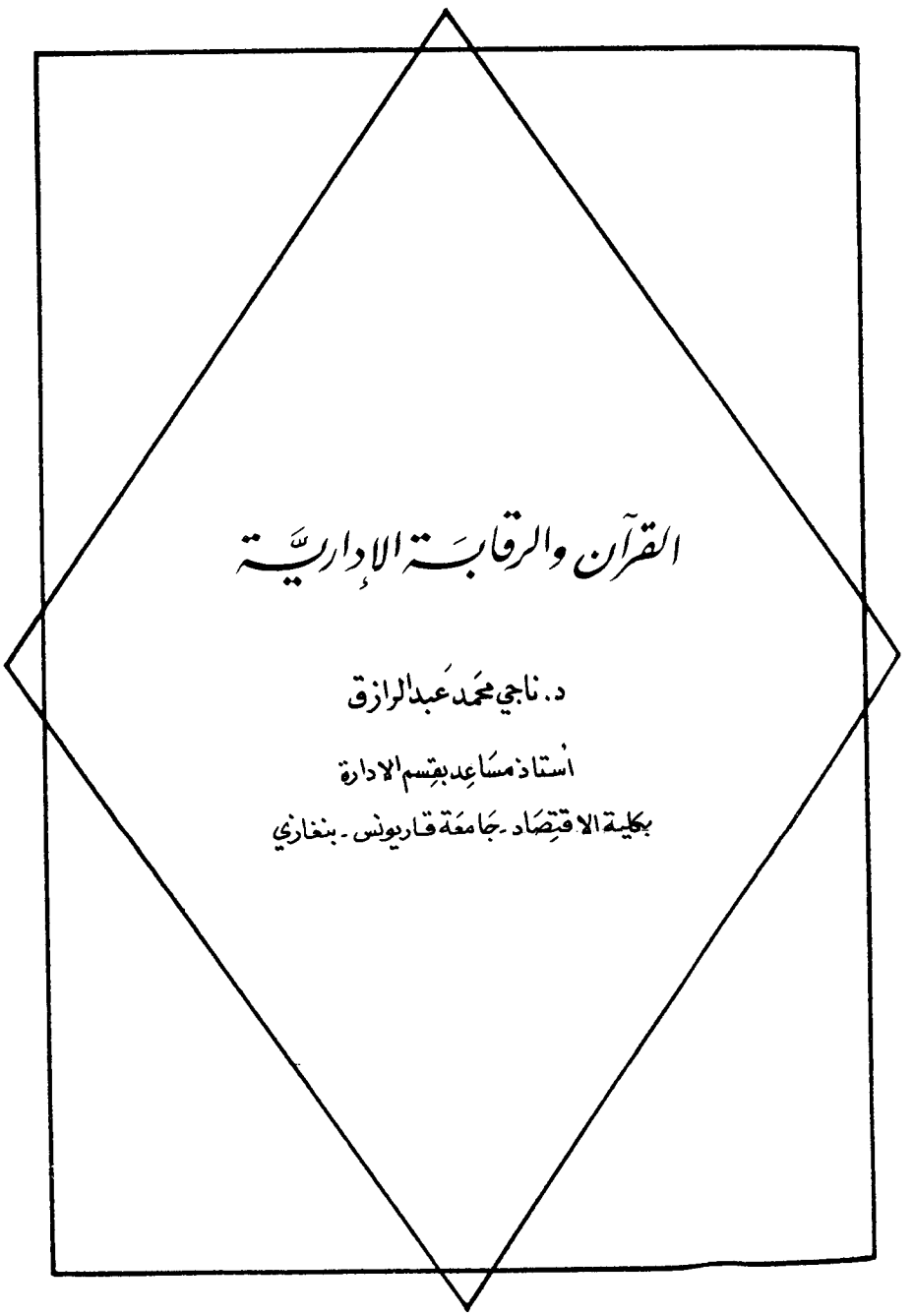

القرآن والرقابة الإدارية

د. ناجي محمد عبدالرازق

أستاذ مساعد بقسم الادارة

بكلية الاقتصاد ـ جامعة قاريونس ـ بنغازي

القرآن والرقابة الإدارية (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

صدق الله العظيم. سورة النساء

مقدمة:

تعتبر الرقابة من أهم الوظائف التي تباشرها الإدارة في المشروعات. والحديث عن الرقابة قديم قدم الزمن. ولكنه تبلور في شكل فكر علمي منظم وذي ملامح محددة واضحة ابتداءً من حركة الإدارة العلمية (لتايلور) في أواخر القرن الثامن عشر وبعد (ثورة البخار) وفي عصر النهضة في أوربا.

ولقد تعددت مفاهيم الرقابة منذ ذلك الحين، واختلفت النظرة إليها من جانب المديرين والعاملين التنفيذيين على حد سواء. فمن رقابة سلبية شرطية؛ تبحث عن الأخطاء، وتقوم على أساس الشك والريبة في العاملين، وتحاسبهم بكل حزم ودون رحمة على ما يرتكبون من أخطاء أو إنحرافات عن الخطط الموضوعة، إلى رقابة علاجية هدفها اكتشاف الأخطاء لعلاجها فور وقوعها إن أمكن. وهي بذلك أخذت شكل متابعة مستمرة للأداء أثناء التنفيذ وبعد التنفيذ الفعلي للأعمال، إلى رقابة وقائية تحاول تجنب الوقوع في الأخطاء لأنها تبدأ مع التخطيط، فيتم التنبؤ بالأهداف المراد تحقيقها، وكذلك التنبؤ بما قد يتزامن مع تنفيذ الأعمال من أخطاء وما قد يقع من مشكلات، فيجدون لها العلاج

(*) د. ناجي محمد عبد الرزاق، أستاذ مساعد، بقسم الإدارة، كلية الاقتصاد، جامعة قاريونس، بنغازى، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.

المبكر قبل أن تقع، أو يحاولون تفادي تلك الأخطاء والمشاكل حتى لا تقع أثناء التنفيذ.

أي أن الرقابة بدأت برقابة سلبية، وانتهت إلى رقابة إيجابية. وفي جميع أحوالها قد ارتبطت بعملية التخطيط. وبذلك اكتسبت أهميتها البالغة من أهمية التخطيط نفسه ودوره الخطير في حياة المشروعات.

فقد قامت على أساس التحقق المستمر من بلوغ الأهداف المخططة، وما هي حدود الانحراف عن تلك الأهداف. وكذلك التعرف على أسباب ذلك الانحراف لعلاجه ولتفاديه في الخطط التالية.

الرقابة إذن تنطلق من فلسفات معينة، ولها مفاهيم، ولها قواعد وإجراءات، ولها أسس ومبادىء تقوم عليها، ولها أساليب، ولها أهداف تسعى إلى تحقيقها على مسرح المشروعات.

ولكن هل صحيح أن حركة الإدارة العلمية (لتايلور وزملائه) في عصر النهضة هي الأصل لنشأة الرقابة لوظيفة إدارية بالغة الأهمية؟ أم أن للرقابة أصلاً أقدم وأرحب وأشمل بكثير من فكر (تايلور وزملائه)؟.

إن طبيعة الأشياء تقول أن الفكر الإنساني هو سلسلة متصلة الحلقات منذ خلق الله الأرض إلى يوم القيامة، فلم ينطلق (تايلور) في فكره عن الرقابة من فراغ، بل لا بدّ أن هناك فكراً سبقه في هذا المجال.

والقارىء المدقق المتعمق يجد أن مرجعاً عظيماً لكل العلوم والفنون قد ملكناه بين أيدينا، وقد خصنا الله به ألا وهو القرآن الكريم. لذلك نسأل أنفسنا: هل للرقابة بمعناها الشامل والتفصيلي نصيب من آيات كتاب الله العظيم؟.

لقد أكدنا في أبحاثنا المنشورة من قبل[1]، وجود أصل للتخطيط، وللتنظيم وللتوجيه في القرآن الكريم. لذلك سنحاول هنا أن نبحث بصورة أساسية عن أصل للرقابة في القرآن وذلك بالدليل المادي المقروء نصاً وروحاً.

(1) مجلة الثقافة العربية عام 85، ومجلة قاريونس عام 89.

وإن هدفنا في هذا البحث هو إثبات أن المرجع الأصلي الذي يجب أن يعود الكل إليه عند الحديث عن الرقابة هو أولاً القرآن الكريم، ثم يأتي من بعد ذلك (تايلور) وغيره من علماء الإدارة. ولا يجب أن يكون غير ذلك بأي حال من الأحوال.

ولتحقيق هذا الهدف سنتناول الموضوع بالبحث من خلال الخطوات التالية:

أولاً ـ نستعرض أهم ما يتعلق بالرقابة الإدارية من وجهة نظر علماء الإدارة والمهتمين بها وذلك تحت عنوان: (الرقابة في الفكر الإنساني).

ثانياً ـ نستعرض أصل الرقابة ومفاهيمها وما يتعلق بها في القرآن الكريم تحت عنوان: (الرقابة في القرآن الكريم).

وأخيراً نختتم البحث بأهم ما نتوصل إليه من استنتاجات.

نفعنا الله وإياكم بالقرآن وبالعلم والإيمان، لنحقق ما يسعى إليه وطننا العربي من رقي ورفعة ـ إنه نعم المجيب.

I ـ الرقابة في الفكر الإنساني:

تناول الكثير من علماء الإدارة وكتابها هذا الموضوع بالبحث والدراسة من خلال استعراض كافة الجوانب المتعلقة بالرقابة؛ مثل فلسفاتها، ومفاهيمها ومبادئها، وأهميتها، وشموليتها ومجالاتها، وأشكالها، ومراحلها، وأخيراً وسائلها.

ونتناول نحن هذه الموضوعات بالتفصيل الموجز المناسب للمساحة المسموحة لهذا البحث على صفحات المجلة، حيث نستعرض محتواها ووجهة نظرنا فيها في الصفحات التالية:

1 ـ فلسفة الرقابة:

تختلف فلسفة الرقابة من مدير إلى آخر تبعاً لما يعشقه ويؤمن به هذا المدير أو ذاك من أفكار واتجاهات، تؤثر دون شك في تكوين شخصيته وبالتالي

تؤثر في سلوكياته الإدارية، وعلى وجه الخصوص في هذه المسألة الحساسة.

فالرقابة لها جانبان مهمان هما: المراقب من جهة، والفرد الذي تتم مراقبته من جهة أخرى. وتأتي حساسية الرقابة هنا من حيث ماهية فلسفة المراقب، وما إذا كانت مقبولة من جانب من تتم مراقبتهم وما ردود أفعالهم تجاهها وبالتالي ما فلسفاتهم؟.

وتنجح عملية الرقابة إذا حدث تفاعل إيجابي وتفاهم مشترك بين المراقِبْ ومن يُراقَبْ.

ويمكن أن يحدث هذا التفاعل الإيجابي إذا كانت فلسفة الإدارة تقوم على أساس النظرة الإنسانية المبنية على الثقة والصدق والصراحة في العلاقات المتبادلة بين المراقبين والعاملين.

أما إذا كانت هذه النظرة غير إنسانية تقوم على أساس الشك والريبة في هذه العلاقات، فإن الرقابة ستفشل في بلوغ أهدافها لأنها ستقابل دائماً بردود فعل سلبية من جانب العاملين.

إذن فلسفة الإدارة تلعب دوراً جوهرياً في تحديد الهدف النهائي من فلسفة الرقابة، وفي تحديد المضمون الذي تعمل من خلاله هذه الرقابة على تحقيق أهدافها بنجاح.

2 ـ مفهوم الرقابة:

يرى [تيري][2] «أن الرقابة هي عنصر حيوي من عناصر الإدارة. فهي تساهم في كفاية الإنجاز السليم للعمل عن طريق جهود أفراد آخرين، وتتحقق من أن العمل الواجب أداؤه قد تم على وجه مرض».

ويوضح (تيري)[3] العلاقة الوثيقة بين التخطيط والرقابة حيث يقول «إن السبب الرئيسي في وجود الرقابة هو التأكد من أن النتائج المحققة إنما تطابق

(2) د. زكي محمود د. هاشم، الإدارة العلمية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979، ص 242.
(3) المرجع السابق، ص 243.

تلك الخطط المعدة من قبل. وأن أي انحرافات عن هذه النتائج المخططة تكتشف بسرعة وتصحح بواسطة الرقابة الفعالة في الوقت المناسب بما يمكن معه إعادة الأنشطة إلى المسار المخطط لها».

فالصلة بين التخطيط والرقابة هي صلة وثيقة كما نرى. فالتخطيط لا يكون له معنى بدون الرقابة. ولا داعي لوجود رقابة طالما ليس هناك تخطيط.

ويؤكد (جويتز)[4] من جانبه هذه الحقيقة بقوله: «إن التخطيط الإداري يبحث في وضع برامج مناسبة ومتكاملة، بينما تبحث الرقابة في إتمام الأحداث على أن تجري وفقاً للخطط الموضوعة».

تسعى الرقابة إذن نحو تحقيق عدة أهداف من أهمها ما يلي:

أ ـ ضمان السير السليم للأعمال وفق الخطط الموضوعة وذلك عن طريق التدخل المباشر السريع فور وقوع انحرافات عن هذه الخطط وذلك في محاولة منها لتصحيح المسار.

ب ـ التأكد بعد إتمام الأعمال أنها قد أُنجزت وفق الخطط، والبحث عن أسباب أي انحرافات وقعت بالمخالفة مع هذه الخطط وذلك للعمل على تلافي وقوعها عند إعداد الخطط للسنوات التالية.

والرقابة الإيجابية في هذا المجال هي التي تبدأ مع التخطيط بهدف الوقاية من الوقوع في الأخطاء والانحرافات، وهي أجدى من الرقابة السلبية التقليدية؛ لأن الرقابة من النوع الأول تحاول التنبؤ بالأخطاء لعلاجها بسرعة حتى لا يحدث تراكم فيها يؤدي إلى نتائج خطيرة فيما بعد. أما الرقابة من النوع الثاني فتحاول كشف الأخطاء للمحاسبة عليها ومعاقبة مرتكبيها. أي أنها تنتظر حتى يتم الإنجاز ثم تتصيد الأخطاء للعاملين لتحاسبهم وتعاقبهم، مما يرسب باستمرار آثاراً سيئة في نفوس هؤلاء العاملين وتسوء علاقاتهم مع المراقبين.

إن دور الرقابة لا يقف عند حد الارتباط بالتخطيط فقط ولكن يتعدى ذلك إلى الوظائف الإدارية الأخرى. فهي تحاول الكشف عن مواطن الضعف

(4) د. حمدي مصطفى المعاز، وظائف الإدارة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1984، ص 365.

والقصور في التنظيم وفي برامج التوجيه المختلفة، وتحاول علاجها حتى تؤدي هذه الوظائف جميعاً دورها بنجاح في تحقيق أهداف المشروع.

فهي تضمن الأداء السليم على كافة المستويات. وتضمن نجاح المشروع في بلوغ أهدافه في مناخ صحي سليم من العلاقات الإنسانية بين المديرين والعاملين.

3 ـ النظام الرقابي الجيد:

يقوم النظام الرقابي الجيد على أسس ومبادىء علمية تحقق له الإيجابية المرجوة في عملية الرقابة.

إن هذا النظام الرقابي الجيد هو الذي يستطيع أن يتلاءم مع أي تغيرات متوقعة في الأعمال، ويستطيع كشف الانحرافات بسرعة كبيرة وعلاجها.

«ولكي نضع مبادىء يرتكز عليها نظام رقابي جيد، فلا بدّ أن يراعى فيها أن تحقق لهذا النظام الفاعلية في الأداء. وهذا الأمر يتوقف على كفاءة مصمم النظام ومهارته البالغة»[5].

ويمكننا أن نذكر فيما يلي أهم المبادىء التي يمكن أن يرتكز عليها نظام رقابي جيد:

أ ـ أن يعكس النظام طبيعة المشروع ويتناسب مع طبيعة التنظيم وأهدافه.

ب ـ أن يكون النظام اقتصادياً بمعنى أن يكون عائده أكبر من تكاليفه.

جـ ـ أن تتوفر فيه المرونة بحيث يسمح بمواجهة التغيرات المتوقعة دون حاجة إلى تغيير جوهري في النظام نفسه.

د ـ أن يتميز بالسرعة في اكتشاف الأخطاء والانحرافات حتى لا يستفحل أمرها، وبالتالي يكون هناك سرعة في تحليلها والتعرف على أسبابها واتخاذ ما هو مناسب من إجراءات لتصحيح المسار.

(5) د. محمد سعيد عبد الفتاح، إدارة الأعمال، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1971، ص 313.

هـ ـ أن يتوفر فيه العدد الكافي من الأفراد الأكفاء لتشغيله وتطويره. وليس شرطاً أن يكونوا متوفرين بصورة دائمة، ولكن أن يكونوا متاحين عند طلبهم إذا لزم الأمر.

و ـ أن يرتبط النظام بالمستقبل بحيث يكون هدفه دائماً التصحيح والعلاج وليس المحاسبة والعقاب.

ز ـ أن يتميز بالبساطة والوضوح حتى يفهمه المطبقون له ومن سيتولون مهمة اتخاذ الإجراءات التصحيحية الملائمة إذا لزم الأمر.

إن توفر هذه المبادىء يجعل النظام الرقابي نظاماً جيداً يضمن له النجاح في أداء وظيفته الرقابية على أكمل وجه ودون أي تعقيدات أو حساسيات.

4 ـ أهمية الرقابة:

لماذا نحتاج إلى الرقابة في المشروعات؟ في الواقع توجد أمور كثيرة تستدعي الاهتمام بوجود الرقابة في المشروعات.

فضعف نظم الإشراف في غياب الرقابة الفعالة، قد يؤدي إلى انحراف الأفراد في أدائهم عن الخطط الموضوعة وعن الإجراءات ويتجاهلون التعليمات. إن ذلك يؤدي إلى انخفاض معدلات الأداء والإنتاج.

إن ضعف الرقابة على العاملين يؤدي مثلاً إلى تأخرهم في الحضور إلى العمل، الأمر الذي يسبب إرباكاً في العمل وضعفاً في مستوى الأداء. ولكن بوسائل رقابية معينة يمكن تلافي حدوث مثل هذا التأخير في الحضور.

إن غياب الرقابة الفعالة في هذه الحالة سيجعل من الصعب على الإدارة أن تفرق بين العامل المنتظم الملتزم في عمله وغير المنتظم أو الملتزم به، وسيكون من الصعب عليها أيضاً أن تفرق بين العامل المجد والعامل الكسول.

ومن جهة أخرى فإن الإدارة تجد نفسها مضطرة لأن تثور في بعض الأفراد فتعهد إليهم ببعض الأعمال الحساسة والهامة مثل أعمال الخزينة، وأعمال المخازن، ومن لديه معلومات عن أنشطة المشروع المختلفة في قسم المحفوظات.

كل هؤلاء المسؤولين يمكنهم أن يقعوا فريسة للإغراء والانحراف في غياب الرقابة الفعالة القوية عليهم بالرغم من افتراض توفر الأمانة فيهم. لكن على الإدارة الجيدة الواعية أن تحتاط وتحذر من أجل وقاية العاملين من الوقوع في دائرة الانحراف.

وهذه في حد ذاتها نظرة إنسانية إيجابية للرقابة، في صالح العاملين ومن أجل المحافظة عليهم.

«إن الرقابة الفعالة تتطلب أن تفهم الإدارة عاملين مهمين هما:

أ ـ أهمية العنصر الإنساني في الرقابة.

ب ـ ضرورة وجود طرق وأنظمة وإجراءات للرقابة.

وإن ذلك يحقق هدفين هما:

أ ـ أن تطبع في أذهان العاملين نوع السلوك المطلوب فهمه طبقاً لما تقتضيه الرقابة.

ب ـ اتباع بعض الأنظمة واتخاذ بعض الإجراءات التي تساعد على الإبقاء على ظروف معينة»[6].

إذن الرقابة مهمة من أجل المحافظة على توازن المشروع، وعلى التوازن في سلوك العاملين بما يحقق الأهداف في أحسن الظروف.

5 ـ شمولية الرقابة ومجالاتها:

إن الرقابة وظيفة إدارية يمارسها كل من بيده سلطة على كافة المستويات الإدارية في المشروع وذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ومع أن الدور الرقابي في العملية الإدارية يختلف في طبيعته عن بقية الأدوار. فإن أهدافه وأبعاده ووقته وأساليبه تختلف باختلاف المستويات الإدارية.

ونظراً لتعاظم مسؤولية الإدارة العليا في المشروعات الضخمة، فإن دورها

(6) د. زكي محمود هاشم، المرجع رقم 1، ص 244.

في الرقابة المباشرة يكون محدوداً. لذلك فهي تستعين بأجهزة رقابية لتعاونها على القيام بهذه المسؤولية.

أما الإدارة المتوسطة فيتسع دورها في مجال الرقابة. حيث تستطيع أن تقوم بمهام الرقابة الحديثة التي تستلزم جمع بيانات وتحليلها واستقراء نتائج، واستخلاص مؤشرات سليمة ـ كمية ونوعية ـ منها. إن ذلك سيفيد الإدارة العليا والوسطى على حد سواء في رسم السياسات، وإعداد الخطط ووضع الأهداف المختلفة.

وعموماً تقوم الأجهزة الرقابية بمساعدة الإدارة على كافة المستويات في أداء هذه الوظيفة الهامة وذلك بإمدادها بكافة البيانات والمعلومات التي تحتاج إليها عند اتخاذ مختلف القرارات. لأن هذه الأجهزة تستخدم أساليب متطورة في أداء وظيفتها مثل أدوات التحليل المالي وتحليل التكاليف، وإعداد الميزانيات التقديرية باستخدام العقل الآلي وإمكانياته الهائلة.

أما عن مجالات الرقابة فهي متعددة. فالرقابة كما رأينا تمارس وظيفتها على كافة المستويات الإدارية، وفي مختلف مجالات النشاط وذلك من خلال المجالات التالية:

أ ـ الرقابة على تحقيق الأهداف العامة للمشروع وأهداف الأقسام والوحدات التنظيمية.

ب ـ الرقابة على السياسات المقررة وعلى إجراءات العمل المحددة.

جـ ـ الرقابة على فاعلية التنظيم الإداري في المشروع.

د ـ الرقابة على المركز المالي للمشروع.

هـ ـ الرقابة على فاعلية المديرين وكفايتهم.

و ـ الرقابة على المبيعات وعلى الأسعار.

ز ـ الرقابة على الإنتاج.

. . . . الخ»[7].

---

(7) المرجع السابق، ص 248.

تشمل الرقابة إذن المشروع كله بعناصره المادية والبشرية. وتشمل أيضاً كل مجالات النشاط فيه.

6 ـ أشكال الرقابة:

لن تجد الإدارة عناءً في اختيار الشكل المناسب من أشكال الرقابة على أداء العاملين. فأشكال الرقابة كثيرة ومتنوعة وتخدم في مختلف الأغراض. نذكر منها الأشكال التالية: القدوة الحسنة، والسجلات، والحدود، والقواعد والأوامر، وإجراءات النظام، والنقد واللوم.

ونلاحظ هنا أن عدداً من هذه الأشكال يمثل الرقابة الإيجابية التي لا تقصد الإنسان أو تتعرض له بأذى، والبعض الآخر مثل النقد واللوم وإجراءات النظام فهو من أنواع الرقابة السلبية.

ويمكننا أن نستعرض هذه الأشكال المتنوعة فيما يلي:

أ ـ القدوة الحسنة:

إن القاعدة العامة في مجال إدارة الأعمال هي نظرة المرؤوسين إلى رئيسهم على اعتبار أنه قدوة لهم يعْتدون به في أداء أعمالهم وفي تصرفاتهم وفي سلوكهم. وهو إن كان قادراً على أداء شيء فهو بالضرورة يستطيع أن يدربهم على أدائه. وأن أي رئيس يحاول أن يلتزم غالباً بالمبدأ التالي: «ألا يطلب من المرؤوسين أداء عمل لا يرغب هو شخصياً في أدائه، أو لا يقدر هو شخصياً على القيام به وإنجازه».

على أنه يجب أن نلاحظ أن الرؤساء قد يكسبون في أحيان كثيرة بعض السلوكيات الطيبة التي يجدونها في المرؤوسين ويعكسونها في المدى الطويل على المرؤوسين الآخرين.

وهذا يعني أن القدوة الحسنة هي تفاعل مشترك متبادل بين الرؤساء والمرؤوسين يستفيد منه الطرفان على المدى الطويل.

ب ـ السجلات:

إنها تلعب دوراً رئيسياً في عملية الرقابة عن طريق احتوائها على الكثير من المعلومات اللازمة للتخطيط والتوجيه وللتنظيم. فيستفيد منها المديرون باعتبارها مرجعاً رئيسياً لهم في عملية الرقابة على هذه الوظائف.

إلا أنه لا يجب المبالغة والإكثار من هذه السجلات، حتى لا تصبح عبئاً على الإدارة في تكلفتها، وفي عرقلتها لعملية الرقابة ذاتها عند تكرار البيانات والمعلومات بها. ويجب استبدالها إذا لزم الأمر بوسيلة أخرى متطورة وغير مكلفة لاستخدامها الاستخدام الأمثل في عملية الرقابة.

جـ ـ الحدود:

المقصود بها وضع حدود دنيا وأخرى عليا للقياس عليها والالتزام بها في أداء الأعمال. أو هي تعتبر كمعايير للإنجاز يجب على العاملين الالتزام بها وعدم تجاوزها دون الحصول على إذن من الرؤساء المسؤولين عن ذلك.

د ـ القواعد والأوامر والإجراءات:

هي وسيلة يستخدمها المديرون في مراقبة السلوك الرتيب للعاملين. كما أنه يمكن عن طريقها تنمية طرق أدائهم وضبط تصرفاتهم في مختلف الظروف والمواقف.

فالقواعد تحدد سلوك العاملين الذي من شأنه المحافظة عليهم أثناء الإنجاز السليم للأعمال. أما الأوامر فوظيفتها إخبارهم بما يجب عمله وكيف؛ أما إجراءات النظام فهي تعليمات يقصد بها إلزام العاملين بسلوك تنظيمي معين عند القيام ببعض التصرفات، مثل تقديم العامل مبررات معقولة عندما يتغيب يوماً عن العمل دون إذن سابق، وإلا سيقع تحت طائلة العقاب.

لذلك يجب أن يتم التخطيط السليم والإعداد المناسب للسياسات التي تتضمن هذه القواعد والأوامر والإجراءات في كل مجالات النشاط في المشروع، حتى لا يساء فهمها أو يساء استخدامها.

هـ ـ النقد واللوم:

إن استخدامهما يمس دون شك شخصيات العاملين. وقد تضطر الإدارة إلى استخدامهما في بعض الأحيان؛ وخاصة إذا تكرر الخطأ أو الانحراف، من العامل. إو إذا تعمد أن يسيء بتصرفاته إلى العمل أو إلى زملائه ورؤسائه. مما يسبب استياء الرؤساء فيقومون بتوجيه النقد واللوم شفاهة أو كتابة. وعموماً يجب أن يكون ذلك في أضيق الحدود، لأن تكرار استخدامه له آثار خطيرة على جو العلاقات السائد في المشروع.

إذن فأشكال الرقابة كثيرة، ولكن على الإدارة أن تختار منها ما هو أفضل دائماً للمحافظة على كيان المشروع وضمان تحقيق الأهداف في ظروف حسنة.

7 ـ مراحل الرقابة:

تشمل عملية الرقابة عدة مراحل هي تحديد المعايير الرقابية، ومقارنة النتائج بالمعايير ثم أخيراً اتخاذ الإجراءات التصحيحية.

أ ـ المعايير الرقابية:

هي مقاييس كمية وأهداف تفصيلية تعرف بمؤشرات الخطة. وهي تستخدم لتقويم الأداء الفعلي على ضوئها. لذلك فإن إعداد هذه المعايير يرتبط بوظيفة التخطيط ارتباطاً وثيقاً لأن الخطة ما هي إلا مجموعة من المعايير. وهذه المعايير تستخدم كمؤشرات ينبغي الوصول إليها في ذاتها حتى يمكن القول بأن الأهداف التخطيطية قد تم تحقيقها.

إن هذه المؤشرات تضمن فاعلية الوظيفة التخطيطية من حيث أنها دليل على مدى قدرة القائمين بهذه الوظيفة على اختيار المعايير الدقيقة المحكمة التي يمكن تحقيقها من جانب المسؤولين عن التنفيذ الفعلي للأعمال.

وتتعدد المعايير الرقابية وتختلف من نشاط لآخر. وغالباً ما تأخذ الصور التالية:

ـ معايير نوعية تتعلق بنوعية الأداء مثل درجة الألوان، وقوة التحمل.

ـ معايير كمية تتعلق بالعناصر المادية في المشروع مثل كميات البضائع، ساعات العمل..

ـ معايير تكلفة وهي مقاييس مالية خاصة بالخامات، والعمل، والإنتاج..

ـ معايير عائدة تمثل العائد على الاستثمار، والعائد على المبيعات...

ـ معايير زمنية مثل الوقت المحدد للإنجاز، ومراحل الإنتاج..

ـ معايير معنوية ترتبط بالنواحي غير الملموسة في العمل مثل الشهرة، والروح المعنوية، ودرجة الرضا لدى العاملين...

وتستخدم هذه المعايير عادة مجتمعة وذلك لشمولية المشروع لكل هذه العوامل التي يمكن قياسها بهذه المعايير.

ب ـ مقارنة المعايير بالنتائج:

وهذه هي مرحلة الحكم على التخطيط من حيث النجاح والفشل، وما درجات الإنجاز الفعلي. إن الهدف من المقارنة هو بالطبع تقويم الأداء بقصد التعرف على نقاط الضعف ونقاط القوة في التخطيط، وكذلك تحديد الإجراءات لعلاج القصور وتحديد المسؤولية عن الانحرافات حتى يمكن القيام بالتوجيه المناسب بعدم التكرار.

ولكن يثور هنا سؤال هام: فأي نوع من الأخطاء والانحرافات يجب الوقوف عنده والتحرك السريع لعلاجه بعد التعرف على أسبابه الحقيقية؟.

من المسلم به أن التخطيط هو استقراء علمي للمستقبل. ومهما بلغ هذا التخطيط من دقة وإحكام؛ ومهما استخدمت فيه من وسائل معقدة ومتطورة؛ فإنه لا يعلم الغيب بأدق تفاصيله إلا الله. لذلك فإن من الأمور المعتادة أن نكتشف انحرافات متنوعة بعد مقارنة ما تم تنفيذه من أعمال بالخطط المعدة سلفاً لها.

لكن لو تفحصنا الأمر فسنجد أن كثيراً من هذه الانحرافات عادية ولا يجب الالتفات إليها؛ بل غالباً ما يكون المخططون قد عملوا لها حساباً وهناك توقع لديهم بحدوثها.

إلا أنه تحقيقاً لمبدأ الإدارة بالاستثناء فلا بدّ من الوقوف عند الانحرافات الخطيرة أو غير العادية الملفتة للانتباه. إن هذا النوع من الانحرافات فقط هو الذي يحتاج إلى بحث وتحليل وتفسير لمعرفة أسبابه، وعلاجه وتفادي حدوثه في المستقبل.

وتستكمل عملية المقارنة برفع تقارير تفصيلية عن الانحرافات الجوهرية إلى الإدارة العليا حتى تكون على دراية بالصورة الكاملة حتى يتسنى لها أن تعيد تقويم الأمور، وإصدار القرارات اللازمة بالعلاج والإصلاح، وإعادة النظر في قراراتها وخططها وسياساتها السابقة إذا لزم الأمر.

جـ ـ اتخاذ الإجراءات التصحيحية:

هذه هي المرحلة الأخيرة في عملية المقارنة بين النتائج والمعايير وهي في الواقع مرحلة هامة وأساسية وتعكس بحق مدى فاعلية الرقابة.

إن تصحيح الأخطاء وعلاج الانحرافات قد يتطلب اتخاذ كل الإجراءات التصحيحية التالية أو بعضها أو أحدها:

- تعديل الطرق والوسائل والقواعد المعمول بها حالياً.
- تعديل السياسات والخطط.
- تغيير المعايير المستخدمة وتطويرها.
- تغيير الأفراد القائمين على التنفيذ، أو على الأقل تدريبهم لرفع مستوى أدائهم وزيادة فاعليتهم في العمل.
- إعادة النظر في الأهداف ذاتها حتى لو كانت بعيدة المدى.

هكذا تصبح الرقابة عملية ناجحة في أداء دورها بأقصى فاعلية. ولكن لضمان ذلك يجب تحديد المسؤولية الفردية أو التنظيمية عن هذه الرقابة. فمن المسؤول عنها؟ وهل هو فرد أم جهاز داخلي كإدارة المتابعة أو جهاز خارجي حكومي أو شعبي؟ وهل عملية الرقابة تتم بصورة دورية أم بصورة مستمرة؟.

إن الرقابة الفعالة لا تحتمل تأخيراً أو إبطاءً، بل تحتاج إلى سرعة في

التدخل لإصلاح الأخطاء والانحرافات وتعديل المسار وذلك في الوقت المناسب.

8 ـ الأساليب الرقابية:

تتعدد الأساليب التي تستخدم في الرقابة ومن أمثلة هذه الأساليب، التقارير الرقابية، والملاحظة، والميزانية التقديرية، وتحليل التعادل، والمراجعة، وتحليل عائد الاستثمار، وأساليب التحليل المالي والنسب المالية، والمدخل الكمي الذي يستخدم أحدث الأساليب التقنية كالعقل الآلي وبرامجه المناسبة في هذه المجالات الإدارية.

نلاحظ أن بعض هذه الأساليب يهتم بالنواحي الكمية في الأداء مثل تحليل التعادل، والمراجعة، والميزانيات التقديرية. وبعض هذه الأساليب يهتم بالنواحي الكيفية في الأداء مثل الملاحظة. كما أن بعض هذه الأساليب يجمع في اهتمامه بين الناحيتين الكمية والكيفية في الأداء مثل التقارير المختلفة.

إن الهدف من كل هذه الأساليب هو المتابعة المستمرة للأعمال والتقويم المستمر للإنجاز، والإعداد المحكم لمعايير مستقبلية دقيقة. إنها تحاول التعرف أولاً فأولاً على الكفاءة الإنتاجية الكلية للمشروع، والتعرف على درجة تحسن المستوى العام للأداء والإمكانية العامة لتحقيق الأهداف المخططة.

لكن العرض المفصل المحتوي كل هذه الأساليب يطول شرحه، ولا تتسع له صفحات الجزء المخصص لهذاالبحث في المجلة. على أنه يمكن الرجوع إلى كافة التفاصيل في مختلف كتب ومؤلفات إدارة الأعمال لمؤلف هذا البحث ولغيره من المهتمين بمجال علم إدارة الأعمال وفنونها. فلقد أفاضوا جميعاً في هذا الموضوع.

وبعد، فقد استعرضنا حتى الآن ما يتعلق بالرقابة في الفكر الإنساني. وقد اتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنها على أي صورة لها ـ إيجابية كانت أم سلبية ـ ليست إلا رقابة من الإنسان على الإنسان. مهما اختلفت الفلسفة الخاصة بها، ومهما كان هدفها، وبأي وسيلة من الوسائل، وفي أي مجال من

المجالات، فالإنسان يراقب الإنسان لاكتشاف الأخطاء وتصحيحها والمحاسبة عليها في أغلب الأحيان.

فعلى أي صورة إذن وردت الرقابة في القرآن الكريم؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه في الصفحات التالية إن شاء الله.

II ـ الرقابة في القرآن الكريم:

تهتم الرقابة في القرآن بالسلوك الإنساني للأفراد والجماعات. فتضع له ضوابط ومعايير تفرق بين الخير والشر، وبين النافع والضار، حتى يتجه الإنسان بسلوكه دائماً نحو التصرفات الخيرة، ويبتعد بهذا السلوك عن التصرفات الشريرة الضارة.

إن هذه الرقابة فيها قواعد للثواب والعقاب. وحتى لو أن الإنسان قد جنح وسلك مسلكاً ضاراً فوقع في الأخطاء، فهي تدعوه أولاً إلى إصلاح نفسه وتوجهه بالنصيحة حتى يعود إلى الصواب. وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح، فإنه غفور رحيم﴾ (54) (الأنعام).

أما إذا تكرر منه الجنوح فإنه في هذه الحالة يستحق العقاب. وهذا العقاب يكون دائماً نوعين: يتحقق الأول منهما في الدنيا أي «العقاب الدنيوي». أما الثاني فهو عقاب مؤجل تنفيذه إلى يوم القيامة أي أنه «عقاب أخروي».

وإذا أحسن الإنسان في عمله فإن له نوعين من المكافأة أيضاً؛ الأولى منهما في الدنيا والثانية في الآخرة. وهكذا يكون العدل.

فهي إذن رقابة عادلة تعطي الفرصة للتوبة قبل توقيع العقاب، وتكافىء المحسن على حسن أدائه. وقد قال تعالى في ذلك: ﴿... ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾[31] النجم.

ترتبط هذه الرقابة أيضاً ارتباطاً وثيقاً بمبدأ التوجيه حتى لا يكون أمام

المسيء المخطىء حجة تبرر سلوكه الجانح. ويؤكد هذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾ (95) سورة النمل. أي أنه لا بدّ من التوجيه إلى درجة التأكد من المعرفة والإحاطة ثم بعد ذلك يأتي دور الرقابة.

إنها بحق أسس سامية تسعى نحو مداومة السلوك الخير للإنسان في كل مجالات الحياة.

ولتفصيل ما جاء عن الرقابة في القرآن سنتناول الموضوعات التالية؛ فلسفة الرقابة، وأهدافها، والأسس التي تقوم عليها، وأنواعها ثم أخيراً وسائلها.

على أننا سوف نذكر بعضاً من الآيات القرآنية الكثيرة التي تؤكد ما نصبو إليه في هذا البحث. ومن هذه الآيات ما هو مباشر، ومنها ما يفيدنا عن طريق القياس على ما ورد بالنصوص تطبيقاً على موضوع الرقابة.

1 ـ فلسفة الرقابة القرآنية:

إنها فلسفة واحدة لا تختلف حول مفهومها وجهات نظر الناس ولا تخضع لأهوائهم. لأن هدفها في جميع الأحوال ثابت لا يتغير وهو الحفاظ على الإنسان وحمايته وتوجيهه إلى الإحسان في كل ما يقوم به من أعمال. يقول تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون﴾ (10 ـ 12) الإنفطار.

ويتحقق ذلك عن طريق وقاية الإنسان من الوقوع في الزلل، وحمايته من شرور نفسه وسيئات أعماله، ودفعه دائماً نحو عمل الخير لنفسه ولغيره من الناس. ويستخدم في ذلك كل أنواع الحوافز الدنيوية والأخروية. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿من عمل منكم صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (97) النمل.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها، ومن عمل

صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ (40) غافر. ويقول تعالى أيضاً: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (60) الرحمن.

2 ـ أهداف الرقابة القرآنية:

تهدف الرقابة في القرآن إلى توثيق دعائم مفهوم الأمانة وعدم خيانة العهود والوفاء بالوعود. يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (27) الأنفال. ونحن نعلم أن العمل هو أمانة يجب صيانتها وذلك عن طريق الإنجاز وفق ما هو مطلوب ومنصوص عليه في التخطيط. ويقول تعالى أيضاً: ﴿الذين ينقضون عهد الله بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ (27) البقرة.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم واعون﴾ (8) المؤمنون.

وتهدف الرقابة في القرآن أيضاً إلى أن يحب الإنسان دائماً عمل الخير وأن يحسن في أداء العمل ويسعى نحو ذلك من تلقاء نفسه. يقول تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (38) النجم.

إن الرقابة بهذه الأهداف تحاول الإرتقاء بأخلاق الإنسان ورفع مستوى قيمة الحياة الإنسانية، وتحاول رفع كفاءة الأداء في العمل، وهي جميعاً أهداف سامية نبيلة وخالدة.

3 ـ أسس الرقابة القرآنية:

ترتكز الرقابة في القرآن على عدة أسس هامة وهي:

أ ـ الربط بين الإيمان والتقوى والسلوك الإنساني في كل مجالات العمل والإنتاج في هذه الحياة. يقول تعالى: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو

مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (97) النمل.

وقال تعالى أيضاً: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ (101) آل عمران.

وقال تعالى أيضاً: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً﴾ (1) النساء.

ب ـ ثقة الإنسان بربه وبنفسه وبالناس. فالثقة بالله تجعل الإنسان مطمئناً في حياته وفي عمله وعلى يومه وعلى غده. وطالما كان الإنسان مطمئناً هكذا فإنه سيثق في نفسه وفيمن حوله في بيته وفي عمله. فلن يخطىء في عمله أو ينحرف فيه. فالثقة في الله هي أساس الثقة ومصدرها في النفس وفي الناس. هذه الثقة تبعث في النفس الاطمئنان الذي يقي الإنسان شر الانحراف وشر الوقوع في الأخطاء. الأمر الذي يسهل من أمورية الرقابة وتصبح رقابة ذاتية لا تكلف المشروعات تكاليف من أي نوع. يقول تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾ (2 ـ 3) الطلاق.

جـ ـ صفاء القلب والإخلاص في النية والقصد ظاهراً أو باطناً. وهذا يعني أن تكون النية معقودة على الإحسان في العمل وفي المعاملات. والإخلاص في ذلك يعني الاستمرار في الإحسان بحيث يصبح أسلوب حياة وليس مقصوداً به حل أزمة أو حل مشكلة طارئة.

أما صفاء القلب ـ الذي يعني عدم وجود حدود بين الإنسان وربه ـ فهو القاعدة التي تنطلق منها نية الإحسان في العمل وفي المعاملات. قال تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (7) الإسراء.

4 ـ أنواع الرقابة القرآنية:

إن للرقابة في القرآن أنواعاً ثلاثة هي؛ رقابة الإنسان لله عزّ وجلّ، ورقابة الإنسان لنفسه، ورقابة الإنسان للإنسان.

أ ـ رقابة الإنسان لله عزّ وجلّ:

قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون﴾ (106) التوبة.

وقال تعالى أيضاً: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (17 ـ 18) قّ.

وقال تعالى أيضاً: ﴿إن ربك هو أعلم من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (117) الأنعام.

إن فلسفة هذه الآيات عظيمة. فلا بدّ أن يضع الإنسان نصب عينيه، وفي قرارة نفسه ـ دائماً ـ أن الله رقيب عليه قبل رقابة الرسول والمؤمنين كما تنص الآية الأولى. وأن رقابة الله على الإنسان هي رقابة شاملة محيطة بكل شيء كما هو واضح في الآية الثانية. وأن الله يعلم المنحرف والمهتدي كما في الآية الثالثة.

إن هذه هي الرقابة المستمرة التي تفرض على الإنسان أن يتقي الله ويخشاه في كل عمل يقوم به في حياته حتى ينال رضاء الله ويتجنب عقابه. وأن يتقي الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

إن هذه الرقابة من الله على الإنسان تأتي أيضاً من خلال بعض الأوامر وبعض النواهي التي يجب أن يلتزم الإنسان بها حتى تصلح حياته. يقول تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (90) النحل.

والانحراف والوقوع في الأخطاء في العمل يدخل تحت طائلة البغي. فعلى الإنسان إن كان يريد حياة طيبة ويريد أن ينال رضاء الله فعليه أن يلتزم بتلك الأوامر وينتهي عن تلك النواهي.

وهكذا يكون الإنسان قد راقب الله إيماناً به وخشيه له ورهبة منه.

وبذلك فقط تؤتى رقابة الإنسان الله بثمارها الطيبة.

يقول تعالى في ذلك: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (12) الملك. ويقول تعالى أيضاً: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ (41) النازعات.

إذن على كل عامل مؤمن أن يطيع الله في كل ما أمر به، وينتهي عن كل ما نهى عنه. وأن يحلل لنفسه من الأعمال ومن التصرفات ما أحل الله، وأن يحرم على نفسه تحريماً باتاً وطواعية كل ما حرم الله.

ب ـ رقابة الإنسان نفسه:

وهي الرقابة التي تنبع من ضمير الإنسان. والضمير الحي الذي يقوم بهذا الدور هو ظل الله في الأرض. يقول تعالى في هذا: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ (111) النساء. فالإنسان هنا يعدل عن السيئات بإرادته مراقباً نفسه أولا فأولاً. وهذا ما يسمى في القانون «بالعدول الجنائي الاختياري». ويقابلها «التوبة» في التشريع الإسلامي.

فمعنى رقابة الإنسان نفسه إذن هي أن يحاسب الإنسان نفسه أولاً بأولاً. وألا يترك نفسه فريسة للضياع تتخبطه الرياح من كل جانب فتسير حياته على غير هدى. يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعاً فينبؤكم بما كنتم تعملون﴾ (105) المائدة.

ويقول تعالى أيضاً ما يلي من آيات:

﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه...﴾ (13) الإسراء ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره﴾ (14 ـ 15) القيامة. ﴿ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها...﴾ (7 ـ 9) الشمس.

وعلى الإنسان أن يراقب نفسه دائماً ليحميها ويحفظها متوازنة راضية مرضية. يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة...﴾ (6) التحريم.

فعلى الإنسان أن يراجع نفسه في نهاية كل يوم مثلاً؛ ماذا فعل، وما الذي ارتكبه من أخطاء في حق العمل وفي حق الناس؟ إن ذلك يجعله يتصرف في اليوم التالي متفادياً كل أخطاء الأمس ومحاولاً ألا يكرر أي أخطاء في الغد.

إن مثل هذه الرقابة الذاتية هي رقابة علاجية وقائية في نفس الوقت، يقوم بها الإنسان من تلقاء نفسه بوازع من ضميره الحي اليقظ.

جـ - رقابة الإنسان الإنسان:

وهذه في الواقع هي أصعب أنواع الرقابة لأن طرفي عملية الرقابة فيها هما الإنسان. وبطبيعة الحال فإن في حياتنا وفي مشروعاتنا يختلف الهدف من هذه الرقابة تبعاً لظروف يخلقها الموقف الرقابي ذاته. وهي قد تكون سلبية وقد تكون إيجابية. ولكن هل هي كذلك في القرآن الكريم؟.

في الواقع لا يمكن أن تكون رقابة سلبية بأي حال من الأحوال، لأن الغاية في القرآن دائماً غاية نبيلة والهدف دائماً هو الخير ودفع الإنسان إلى عمل الخير والإحسان في العمل والتحسين في الأداء. والإرتقاء بأخلاقيات الإنسان وبنتائج عمله. أن ذلك لصالحه ولصالح المجتمع الذي يعيش فيه. يقول تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (199) الأعراف. وقال تعالى أيضاً على لسان نبيه هود: ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ (68) الأعراف. أي أنه يبلغ الرسالة بما عمل من توجيهات ثم يقوم بعد ذلك بدور المراقب الذي يتابع قومه أثناء تنفيذ ما أبلغهم به.

وقال تعالى أيضاً: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (104) آل عمران.

وقال تعالى أيضاً: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم﴾ (71) التوبة.

فبطبيعة الحال يجب أن يكون المسؤولون عن الرقابة في مختلف

المشروعات من هؤلاء المؤمنين الذين يدعون إلى الخير وينهون عن الشر وعن الانحراف. إنهم بذلك يرحمون من يراقبونهم ويمنعونهم من الوقوع تحت طائلة العقاب. ولذلك سيرحمهم الله ويكونون من المفلحين. لأنهم في هذه الحالة سيكونون أصحاب رسالة سامية يوجهون الإنسان إلى الخير والإحسان.

٤ ـ وسائل الرقابة القرآنية:

تختلف الأدوات والوسائل المساعدة للرقابة القرآنية عن تلك الوسائل التي تستخدمها الرقابة الإنسانية في عدة أمور، وتتفق معها في أمور أخرى.

أ ـ الوسائل التي تنفرد بها الرقابة القرآنية:

ـ من الوسائل التي تنفرد بها الرقابة القرآنية، الإيمان بالله كشرط لتحقيق الرقابة الحقيقية لله عزّ وجلّ. من ليس مؤمناً فلن يراقب الله لأن مثل هذه الرقابة بالنسبة له ستكون غير ذات موضوع. يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوأنفسكم وأهليكم ناراً. . .﴾ (6) التحريم. ويقول تعالى أيضاً: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته. . .﴾ (101) آل عمران.

ـ ومن هذه الوسائل أيضاً الثقة في النفس حتى يستطيع الإنسان أن يراقب ذاته ويحاسب نفسه. إن الإنسان الواثق من نفسه هو الوحيد القادر على مواجهة نفسه ومحاسبتها أولاً فأولاً على ما قد ترتكب من أخطاء وما قد تقع فيه من انحرافات. إن هذه الرقابة المستمرة تجعله يتجنب كل ما يسيء إلى هذه النفس التي يعتز بها ويحاول دائماً المحافظة عليها. يقول الله تعالى: ﴿. . . ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾ (2) القيامة.

إن هذه النفس أمانة عند الإنسان ويجب على المؤمن أن يحافظ على الأمانة ويصونها لأنه سيأتي يوم ويسترد صاحب هذه الأمانة أمانته. يقول الله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ (30) الفجر.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ (38) المدثر.

وكيف تكون النفس مطمئنة إلا إذا كان صاحبها إنساناً واثقاً من نفسه يراقبها من أجل المحافظة عليها سواء كان ذلك في بيته أو في عمله.

ـ ومن هذه الوسائل القرآنية في الرقابة أيضاً معاملة الضمير ومراقبته لأن الضمير الحي هو ظل الله في الأرض. هذه الوسيلة الرقابية ترتبط مثل سابقتها بعملية الإيمان بالله. فالمؤمن هو ذلك الإنسان الذي يتوخى نفسه لأنه يثق بالله، وهو أيضاً ذلك الإنسان الذي يعامل ضميره ويراعي الإخلاص في عمله بوازع من هذا الضمير؛ فلا يحتاج إلى مراقب يراقبه أو حتى موجه يوجهه؛ لأن بصيرته تكفيه. فلن يكلف المشروع تكاليف تنفق على رقابته. لأنه يملك الضمير الذي سيمنعه من التفكير المنحرف أو التصرف الخاطىء بل سيدفعه إلى الإحسان في عمله لإرضاء الله وإرضاء نفسه. وفي هذا يكمن صالح المجتمع الذي ينتمي إليه ويعيش فيه.

قال تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ (14) القيامة.

ـ ومن وسائل الرقابة القرآنية أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن الأمر بالمعروف المقصود به أن يتم توجيه الناس إلى أفضل السبل في حياتهم وفي أعمالهم. والأمر بالمعروف صفة لأفضل الأمم. كما أن النهي عن المنكر هو أيضاً توجيه للناس بعدم الفساد في حياتهم وفي أعمالهم وهي أيضاً صفة لأفضل الأمم.

يقول تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. . .﴾ (110) آل عمران.

إن هذا هو عمل المراقب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بالحسنى وبأسلوب التوجيه الهادىء.

وقد حدد الله تعالى دور المراقبين في القرآن فقال عزّ من قائل: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (104) آل عمران.

وهذا يعني أن المراقبين هم من أفضل الناس وأفلحهم إن كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ويجب ألا ينظر إليهم نظرة ريبة وخوف من جانب من يكونون مكلفين بمراقبتهم كما هو سائد في مشروعاتنا اليوم.

ب ـ الوسائل التي تتفق فيها الرقابة الإنسانية مع الرقابة القرآنية:

تعددت الوسائل التي تتفق فيها الرقابتان الإنسانية والقرآنية. من هذه الوسائل: التسجيل والكتابة؛ واستخدام المعايير، والإصلاح والتصحيح، والمحاسبة على النتائج ونستعرضها فيما يلي: .

ـ التسجيل والكتابة:

إن الله كرَّم الإنسان بأن وهبه نعمة العقل الذي يفكر به. ويخاطبنا الله دائماً بقوله: ﴿يا أولي الألباب﴾، أي يا أصحاب العقول، وهو ما يعني من جهة أخرى «يا من وجب عليكم التفكير والتأمل قبل إصدار الأحكام على الأمور أو إصدار القرارات فيما يتعلق بشؤون حياتكم، ويدخل في هذه الشؤون بالطبع إدارة الأعمال.

والعقل الذي يتأمل ويتعمق في التفكير عند تقرير شيء أو إصدار حكم على شيء إنما يبني أحكامه وقراراته على معلومات يحصل عليها من كل المصادر الممكنة المتاحة له عن الماضي والحاضر والمستقبل.

هذه المعلومات في جزء كبير منها مسجلة في سجلات ومستندات يحتفظ بها الإنسان، وهو يستخدم في حفظها أي وسيلة توفر له الحفاظ عليها في سرية ودون تحريف أو تزييف. ومن هذه الوسائل الملفات والدفاتر. ومن أحدث هذه الوسائل وأعلاها في مستوى الأمن وأطولها عمراً وأكثرها صيانة للمعلومات من التدخل غير المشروع هو جهاز العقل الآلي في خدمة الإدارة.

ولقد جاء في القرآن الكريم من الآيات ما يعلمنا أن نستخدم كل أساليب التسجيل للمعلومات حتى يمكن الاستفادة بها عند الحاجة إليها في أي وقت من

الأوقات. يقول تعالى: ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ (53) القمر. ويقول تعالى أيضاً: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وأنا له كاتبون﴾ (94) الأنبياء.

إن الله سبحانه وتعالى يسجل كل صغيرة وكبيرة، وحتى سعي الإنسان في العمل الصالح فهو يكتبه له ولا ينكره عليه لأنه سيكافئه عليه. وهذا بالضبط ما يجب أن يفعله المراقب على أعمال الإنسان في مختلف مجالات الأعمال.. أن يسجل ما له وما عليه.

يقول تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ (10 ـ 12) الإنفطار. ويقول تعالى أيضاً: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ (12) يَس.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ (29) النبأ.

من الآيات السابقة تظهر أهمية الكتابة والحفظ للمعلومات في المكان السري الأمين لحين الحاجة إليها. والحاجة إليها في هذه الآيات ستكون يوم القيامة.

وفي الآية التالية تظهر أهمية التسجيل الدقيق المفصل لكل ما يقوم به الإنسان من أعمال حتى تتم محاسبته العادلة يوم القيامة. يقول تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحداً﴾ (49) الكهف.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ (13 ـ 14) الإسراء.

إذن دور المراقب مهم وخطير وينبغي أن يكون عادلاً محايداً في تسجيل المعلومات أثناء الرقابة حتى تكون المحاسبة عادلة بعد انتهاء الأعمال.

ـ استخدام المعايير الرقابية:

إن المعايير هي المقاييس والموازين التي يتم قياس الأمور على ضوئها حتى يمكن الحكم على الأشياء وعلى الإنسان. هل يسير كل شيء على ما يرام وحسب الخطط الموضوعة أم أن هناك أخطاء وانحرافات؟! هي إذن العامل الحاسم للموازنة بين ما هو مستهدف ومخطط وما هو محقق فعلاً.

ولقد وردت في هذا المعنى آيات كثيرة يبين الله فيها للناس أن كل شيء له مقدار وحساب دقيق في هذه الحياة. إن هذه المقادير هي اليد اليمنى ـ إن صح التعبير ـ التي تعتمد عليها الرقابة في أداء دورها ونجاحه إلى حد بعيد.

يقول تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (49) القمر.

و ﴿خلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ (2) الفرقان.

و ﴿قد جعل الله لكل شيءٍ قدراً﴾ (3) الطلاق.

و ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون﴾ (39 ـ 40) يّس.

و ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها﴾ (17) الرعد.

و ﴿نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً...﴾ (47) الأنبياء.

إذن المعايير متنوعة حسبما ورد في القرآن الكريم ولها في النهاية هدفان وهما: ضمان سير الحياة متوازنة دون خلل أو انحراف؛ كما أنها تستخدم لكشف الانحرافات وتحديد المسؤولية عنها والمحاسبة العادلة عليها.

يقول تعالى: ﴿والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ (7) الأعراف.

ـ الإصلاح وتصحيح الأخطاء:

تعتبر من أهم العمليات التي تستخدمها الرقابة لكي ينجح دورها في خدمة

الإنسان. والمقصود بالإصلاح هو إصلاح المسار وتصحيح الأخطاء قبل أن يستفحل أمرها وتصبح الإدارة غير قادرة على تكاليفها.

إن أخطر ما في حياة الإنسان والمشروعات والمجتمع هو أن تتراكم الأخطاء والانحرافات فلا يتم كشفها وعلاجها في الوقت المناسب.

وأن للقرآن لوقفة سامية في هذا المجال. يقول تعالى: ﴿... أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾ (54) الأنعام.

من الواضح هنا الارتباط بين العمل المسيء الذي يقوم به الإنسان عن جهل وسوء تقدير، وبين التوبة عن الوقوع في الخطأ مرة أخرى، بل لا بدّ من الإصلاح. وفي هذه الحالة فقط يبين لنا الله مدى كرمه ﴿فهو غفور رحيم﴾.

إن هذا يؤكد أن رب العمل أو مدير المشروع، عندما يعطي الفرصة لمن يعملون معه لأن يصلحوا أخطاءهم عند اكتشافها، بحيث لا يعاقبهم على ما يرتكبون من أخطاء طالما اعترفوا بها وعقدوا النية وأعلنوا عدم العودة إلى تلك الأخطاء مرة أخرى؛ بل يقومون بالإصلاح؛ فعليه فوراً أن يبادر بالصفح عنهم.

إنه بهذا التصرف يترك في أنفسهم آثاراً حسنة تساعدهم على عدم تكرار الانحرافات في المستقبل وترفع من روحهم المعنوية ويتعدل سلوكهم إلى الأفضل باستمرار.

ـ المحاسبة النهائية على نتائج الأعمال:

تعتبر أهم آخر خطوة من أجل إتمام العملية الرقابية على وجه كامل. لأنها تأتي بعد عمليات كثيرة هامة قمنا باستعراضها سابقاً.

ولكي تكون المحاسبة على النتائج محاسبة موضوعية لا تخضع للهوى، فلا بدّ أن تكون عادلة. ولكي تكون كذلك فلا بدّ من مكافأة المحسنين في أعمالهم، وهم الذين يحققون الأهداف المخططة بطريقة مثالية.

وفي نفس الوقت لا بدّ من معاقبة المسيئين في أعمالهم وذلك بعد أن نعطيهم الفرصة لإصلاح أخطائهم والكف عن انحرافاتهم. فإن لم يتوبوا ويصلحوا من أنفسهم، فلا مفر من العقاب الرادع لهم حتى تستقيم الأمور في أعمال الناس، في مشروعاتهم وفي حياتهم الاجتماعية وفي أنفسهم.

فما الذي يراه الله تعالى في القرآن الكريم في مسألة المحاسبة على نتائج الأعمال؟.

في الواقع إن مسألة الجزاء هذه ورد الحديث عنها في كل سور القرآن تقريباً. فلا تخلو سورة من الحديث عن جزاء المحسنين مقروناً بالحديث عن جزاء المسيئين وإن اختلفت أسباب التنزيل. وكل الآيات التي ورد فيها ذلك تتفق معاً في أن الله تعالى، وبالتالي خلقه من بني الإنسان في أي مكان لا يتركون المحسن دون مكافأته ولا يتركون المسيء دون معاقبته العقاب المناسب في الدنيا. أما الثواب الأخروي والعقاب الأخروي فينفرد بهما الله وحده لأنه هوالمالك المتصرف في يوم القيامة.

يقول تعالى في هذه المسألة ما يلي من آيات:

﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ (69) ﴿ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ (70) الزمر.

جمعت هاتان الآيتان عدداً من الأمور الهامة في الرقابة لتظهرها بشكل متكامل وهي:

1 ـ وضع الكتاب؛ ومعناه كشف ما تم تسجيله في الكتب على البشر.

2 ـ وجود النبيين والشهداء؛ وهو يعني حضور المسؤولين والذين يشهدون على أعمال الناس، وهم المراقبون بالنسبة للمشروعات.

3 ـ القضاء بالحق وبدون ظلم؛ وهو يعني المحاسبة وتوقيع الجزاء العادل ممن له الحق ويتحمل مسؤولية ذلك. وهذا يعني أن من يحاسب على نتائج

الأعمال ونتائج الرقابة ليس المراقب، ولكنه إنسان آخر حيادي ليحكم على الوقائع بالعدل.

4 ـ الوفاء بالأحكام الناتجة عن المحاسبة؛ وهو ما يعني أنه لا بدّ من الإسراع في تنفيذ هذه الأحكام. فيحصل المحسن على مكافأته فوراً، ويعاقب المسيء على ما ارتكب من أخطاء وانحرافات فوراً أيضاً.

في الواقع إن ما ورد في هذه الآيات يعتبر خطوطاً عريضة وتفصيلية في نفس الوقت لبناء رقابة إنسانية موضوعية وعادلة تسعى إلى المصلحة العامة للفرد وللمشروع وللمجتمع ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (46) فصلت.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ (7) ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه﴾ (8) البينة.

تلك إذن هي المقومات الإلهية القرآنية الأساسية التي ينبغي مراعاتها عند وضع نظم لرقابة حسنة ومتابعة جيدة للأعمال وتطبيقها، في المشروعات وفي حياة الناس عموماً. وهي ذاتها نفس المقومات التي ينبغي أن يسعى الفكر الإداري في كل العصور إلى تحقيقها.

استنتاج وخاتمة:

بعد استعراضنا الرقابة الإنسانية والرقابة القرآنية يتضح لنا أن علماء الإدارة قد أخذوا ببعض ما جاء في الرقابة القرآنية واتفقوا معها في بعض الأمور، ولكنهم تجاهلوا بعض الجوانب.

فلقد أقر القرآن الكريم أهمية الرقابة ودورها الخطير في حياة الأفراد والمجتمعات. وفي نفس الوقت فإن علماء الإدارة يعتبرونها إحدى الوظائف الهامة التي بدونها لا يمكن الاطمئنان على السير الحسن ولا على النتائج الطيبة للتخطيط في مختلف مجالات الأعمال.

وقد رأينا أن علماء الإدارة يبحثون عن المثالية في الرقابة فيقولون «الرقابة الإيجابية، أو الرقابة الوقائية، أو الرقابة العلاجية.

والمثالية هنا تأتي من كونهم يحاولون ألا يكون الإنسان هو المستهدف من الرقابة، ولكن يكون الهدف هو كشف الانحرافات وعلاجها في الوقت المناسب، ومحاولة تلافي حدوث الأخطاء مرة أخرى، ولكنهم يقفون عند هذا الحد. أما الإنسان فينبغي توجيهه لأفضل السبل الكفيلة بحمايته من الوقوع في الأخطاء أو الانزلاق في الانحرافات. ولكن النفس أمارة بالسوء! وقد تجاهلوا هذه الحقيقة، أنه تحت ضغط بعض الظروف والإجراءات، فإن الإنسان الضعيف يمكن أن ينحرف، بالرغم من كل إجراءات الرقابة ووسائلها وبالرغم من كل أنواع التوجيه.

إن الرقابة الإنسانية تحاول رفع مستوى أداء الإنسان في عمله ولا تحاول معاقبته أو الإساءة إليه. ويرى علماء الإدارة أن في ذلك مصلحة المشروع بكل ما فيه وبكل من فيه أو يتصل به أو يستفيد منه من إدارة وعاملين ومتعاملين ومستهلكين.

ومع ذلك فإن هذه الرقابة تبقى من نوع واحد فقط وهو رقابة الإنسان لغيره من بني الإنسان بمختلف الوسائل المتطورة.

أي أنه لا بدّ من وجود مراقبين يراقبون العاملين وما يترتب على تلك الرقابة من نتائج سبق استعراضها. بينما نجد أن الرقابة الأكثر إيجابية والأكثر مثالية لمصلحة الفرد ولمصلحة المشروع بل ولمصلحة المجتمع كله، وقد جاء بها القرآن ـ ولم يعرها علماء الإدارة اهتماماً كبيراً ـ هي الرقابة الذاتية. وهي التي تتطلب من الإنسان أن يرعى الله ويراقبه ـ وتجعل الإنسان يراقب نفسه ويحاسبها أولاً فأولاً ودون أي تدخل من أحد غير ضميره الحي وإيمانه بالله وبالقيم السامية في الحياة. وقد امتدت هذه الرقابة لتشمل إمكانية مراقبة الإنسان بدافع الخير لأخيه الإنسان.

ولقد توسع القرآن الكريم في مجال الرقابة بحيث شملت رقابة الإنسان

نفسه في نفسه وفي بيئته وفي عمله وفي مجتمعه الذي يعيش فيه. بينما اقتصرت الرقابة الإنسانية لعلماء الإدارة على أداء الإنسان عمله داخل هذا العمل في المشروعات.

وهكذا نجد أن القرآن الكريم جعل من الرقابة شيئاً أساسياً في حياة الإنسان. جعلها أسلوب حياة لا يمكن الاستغناء عنها أبداً. لكن علماء الإدارة جعلوا منها أسلوب حياة وشيئاً أساسياً في حياة المشروعات فقط.

وقد ركزت الرقابة الإنسانية على معاقبة من يثبت انحرافه أو وقوعه في الأخطاء بعد منحه فرصة لكي يصلح نفسه. وتجاهلت مكافأة من يثبت بعد مراقبته أنه متفوق ومحسن في عمله.

وهذا ما شملته عملية المحاسبة على نتائج الرقابة القرآنية. فهي تكافىء المحسن وتعاقب المسيء إن لم يتب بسرعة ويعود إلى رشده ويعدل عن غيه وانحرافه.

وقد أضافت الرقابة القرآنية في المحاسبة عن نتائج الأعمال جزاء آخر مؤجلاً إلى يوم القيامة إما ثواباً أو عقاباً. وبالطبع هذا أمر لا يستطيع أن يملكه المسؤولون عن المحاسبة على نتائج الأعمال في المشروعات ـ لأنهم بَشر لا يملكون إلا ما هو متاح لهم في دنياهم فقط ولا يملك اليوم الآخر سوى الله سبحانه وتعالى، يحاسب فيه ويعفو ويجازي وفق مشيئته وإرادته، تبعاً لما تم تسجيله من وقائع على بني البشر في حياتهم الدنيوية.

فلقد أكد القرآن أن الإنسان لن يحيا حياة طيبة ويضمن حسن خاتمته إلا إذا كان يراقب نفسه ويسألها ويحاسبها باستمرار.

وليس هناك أي شك مطلقاً في أن هذه الرقابة القرآنية هي الأشمل والأسبق في نفس الوقت من الرقابة التي جاء بها علماء الإدارة.

لذلك يجب أن يؤخذ بها حتى نضمن نجاحاً مستمراً في حياة البشر الخاصة والعامة، وحتى نضمن نجاحاً للمشروعات في بلوغ أهدافها بطريقة مثالية. ويجب على علماء الإدارة أيضاً أن يعترفوا بأن القرآن الكريم هو المرجع

الأول في مسألة الرقابة التي تسمو بالإنسان وتدفع به إلى العمل الصالح الحسن لصالح نفسه ولصالح عمله ولصالح المجتمع. وفي هذا يقول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (97) النحل.

صدق الله العظيم.

هذا وبالله التوفيق

المؤلف

د. ناجي محمد عبد الرازق

---

(8) د. حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإسلامي والمقارن ـ الأصول العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984، ص 155 ـ 160.

المراجع

أولاً ـ القرآن الكريم:

بعد الاطلاع على السور التالية:

سورة البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، التوبة، يونس، الرعد، إبراهيم، النحل، الإسراء، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، الفرقان، النمل، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، قّ، النجم، القمر، الرحمن، الطلاق، التحريم، الملك، المدثر، القيامة، النبأ، النازعات، الانفطار، الفجر، الشمس.

ثانياً ـ الكتب العلمية:

1 ـ د. حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإسلامي والمقارن ـ الأصول العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984.

2 ـ د. حمدي مصطفى المعاز، وظائف الإدارة، دار النهضة العربية، القاهرة 1984.

3 ـ د. زكي محمود هاشم، الإدارة العلمية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979.

4 ـ د. محمد سعيد عبد الفتاح، إدارة الأعمال، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1971.

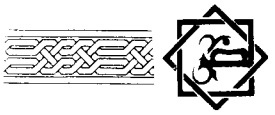

دور الأسرة في الحدّ من ظاهرة انحراف الأحداث

إعداد د. محجوب عطية الفائدي

جامعة عمر المختار ـ البيضاء

دور الأسرة في الحد من ظاهرة انحراف الأحداث (*)

المقدمـــة:

للأسرة دور كبير في الحد من ظاهرة انحراف الأحداث في أي مجتمع، كما أنها تعتبر في كثير من الأحيان المسؤول الأول عن انحراف أطفالها وهي التي تستطيع توجيه أبنائها توجيهاً سليماً إلى الطريق الصحيح، وذلك إذا ما توفر لهذه الأسرة المناخ المناسب والظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تؤهل الأسرة للقيام بمثل هذه المهمة.

وتعتمد هذه الدراسة على عينة عشوائية من الأحداث المنحرفين الذين تم ضبطهم بعد قيامهم ببعض الجنح والمخالفات القانونية، والذين تمت إحالتهم إلى النيابة العامة بالفرع البلدي بالبيضاء خلال عام 1988م، حيث كانوا يرتكبون السرقة أو المشاجرة أو المواقعة أو التشرد. وقد شملت هذه العينة عدد (50) حالة من بين الأحداث الذين حولتهم النيابة العامة إلى قسم الرعاية الاجتماعية بأمانة الضمان الاجتماعي بالبيضاء لإجراء الدراسة الاجتماعية المطلوبة.

وقد حاولنا في هذه الدراسة التعرف على أهم الظروف التي قد تكون سبباً في انحراف هؤلاء الأحداث ونوعية هذا الانحراف، وذلك من خلال تحليل الدراسة الميدانية التي أجريت على الأحداث موضوع هذه الدراسة. وقد حاولنا

(*) دراسة ميدانية مقدمة للمؤتمر الرابع للأسرة المنعقد بالبيضاء/ التمور 1989 م.

التعرف على الأحداث المنحرفين من حيث السن والجنس، وحجم الأسرة ومكان الإقامة، ونوعية الحي السكني والعلاقات الأسرية والوضع الاقتصادي والمهني لآباء هؤلاء الأحداث. وقد أنهينا هذه الدراسة بوضع بعض الاقتراحات والتوصيات بخصوص دور الأسرة الوقائي والعلاجي في الحد من انتشار هذه الظاهرة الاجتماعية المشينة.

الهدف من الدراسة:

تعتبر ظاهرة انحراف الأحداث أحد الأمراض الاجتماعية التي لا يكاد يخلو منها أي مجتمع. وتعتبر الأسرة المسؤول الأول عن انحراف الأحداث في كثير من الأحيان. وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على دور الأسرة في التشجيع على انتشار هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة أو الحد منها. وقد اعتمدت هذه الدراسة على أخذ عينة عشوائية من الأحداث المنحرفين الذين تم ضبطهم متلبسين بارتكاب بعض الجنح والجرائم والمخالفات القانونية وتم تحويلهم إلى النيابة العامة ببلدية الجبل الأخضر خلال عام 1988 م.

المشكلة البحثية:

لقد لوحظ تزايد مشكلة جنوح الأحداث وخاصة في المناطق الحضرية والأحياء الشعبية في معظم أنحاء الجماهيرية، وحيث إن بلدية الجبل الأخضر تعتبر إحدى مناطق الجماهيرية التي لم تسلم من تفشي هذه الظاهرة، فقد حاولنا دراسة أوضاع هؤلاء الجانحين وذلك للتعرف على أنواع الجرائم والجنح التي ارتكبوها، والاطلاع على الخلفية الاجتماعية لأسر هؤلاء الأحداث الجانحين لمعرفة أسباب هذا الجنوح، وبالتالي اقتراح الحلول الوقائية والعلاجية للحد من انتشار هذه الظاهرة في المستقبل.

الطريقة البحثية:

أجريت هذه الدراسة على عينة من الأحداث المنحرفين الذين تم ضبطهم متلبسين بارتكاب بعض الجرائم أو المخالفات القانونية، والذين تم تحويلهم إلى النيابة العامة بالبيضاء وذلك خلال عام 1988 م. وقد اعتمد الباحث على نتائج

المقابلات التي أجريت عن طريق الاستبيان المعد سلفاً من قسم الرعاية الاجتماعية بأمانة الضمان الاجتماعي ببلدية الجبل الأخضر، لدراسة الحالات المحولة من النيابة العامة بالبيضاء التي طلبت فيها تشخيص الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي قد تكون سبباً وراء هذا الانحراف. وقد كلف بإجراء هذه المقابلات أخصائيون اجتماعيون مدربون تدريباً جيداً،ولهم خبرة نظرية وعملية طويلة في هذا المجال.

وقد تم اختيار عدد «50» حالة اختياراً عشوائياً من بين الأحداث المنحرفين الذين حولتهم النيابة العامة إلى أمانة الضمان الاجتماعي لإجراء الدراسة المطلوبة، وكانت هذه الحالات تمثل حوالى 35٪ من مجموع الأحداث المتهمين الذين يبلغ مجموعهم «143» خلال عام 1988 م. وقد اتصل الباحث أيضاً بالقلم الجنائي بنيابة البيضاء وذلك للاطلاع على قضايا هؤلاء الأحداث المنحرفين، والتعرف على الإجراءات التي قامت بها النيابة في هذا الخصوص، كما تم التعرف على قرارات المحكمة ونوع الأحكام المتخذة ضد هؤلاء الأحداث المنحرفين بعد صدور الحكم فيهم، كما تمت أيضاً زيارة ميدانية إلى دار الرعاية الاجتماعية لتربية الأحداث وتوجيههم في بنغازي لمعرفة ظروف الأحداث المقيمين بهذه الدار، والاطلاع على البرامج المتخذة بخصوص التدريب والتأهيل والتكوين المعمول بها لتوجيه هؤلاء الأحداث المنحرفين. وقد تم تفريغ هذه البيانات وتحليلها ومن ثم حولت إلى جداول إحصائية ونسب مئوية؛ لمعرفة الخلفية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية لهؤلاء الأحداث المنحرفين والأسر التي ينتمون إليها.

الأسرة وظاهرة انحراف الأحداث:

الأسرة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، وهي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل كل ما يتعلق بأمور الحياة، وهي المكان الأساسي للنشأة الاجتماعية حيث يقضي الطفل معظم وقته بين أفراد أسرته يتعلم منهم، يراقبهم، ويقلدهم، ويستمع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم. وينشأ الأطفال في كثير من الأحيان على غرار آبائهم وأمهاتهم يتكلمون لغتهم ويتدينون بدينهم، ويتعلمون

ثقافتهم ويتطبعون بطباعهم، ويتقمصون شخصياتهم، ويرثون صفاتهم الجسمية والعقلية والأخلاقية.

والأسرة هي التي تحدد مكانة الطفل الاجتماعية والاقتصادية ومنطقته السكنية وطبقته الاجتماعية واتجاهاته الفكرية والأيديولوجية، كما أن الأسرة تعتبر أيضاً مسؤولة بطريقة غير مباشرة عن أنشطته الاجتماعية والثقافية والترفيهية، ومجال تخصصاته العلمية والتربوية، ومسؤولية الأسرة تبدأ منذ الولادة عندما تختار له الاسم الذي تريده الأسرة ـ بدون علمه أو استشارته ـ ويستمر هذا التأثير مع الطفل إلى حين أن يكبر حيث تختار له الأسرة مكان الدراسة، ومجال التخصص ونوع المهن ـ كما تتدخل الأسرة أيضاً في اختيار الزوج أو الزوجة كما هو معروف في كثير من الأقطار لدى عديد من الشعوب.

فالأطفال عناوين أسرهم ومرآة عاكسة لذويهم من حيث الاستقامة أو الانحراف،ومن حيث القدوة الحسنة أو التشرد أو العصيان. فالأسرة هي التي بإمكانها أن تزرع في أطفالها القيم الحسنة والأخلاق الحميدة،أو تتركهم يهيمون على وجوههم للتسيب والإهمال يترعرعون في مستنبت الرذيلة والانحلال. وفي هذا المجال يقول العالم الأمريكي (واطون) «أعطني عشرة أطفال وأنا أجعل منهم الطبيب والمحامي واللص والشرطي. فليس هناك طفل منحرف ولكن هناك أسرة منحرفة أو بيئة منحرفة. «علي 1987 م».

وقد أظهر الكثير من الدراسات مسؤولية الأسرة عن انحراف أبنائها بطريقة مباشرة أو غيرمباشرة، حيث تبين أن معظم الأحداث المنحرفين الذين تم القبض عليهم متلبسين ببعض الجرائم أو الجنح أو المخالفات القانونية ينتمون إلى أسر مفككة، أو أسر غير مهتمة بأطفالها بسبب الضائقة المالية أو الظروف الاجتماعية والنفسية التي مرت بها تلك العائلات. وقد بين (Koller) 1971 م في إحدى دراساته أن لتفكك الأسرة أثراً مباشراً على انحراف الأحداث، حيث أظهرت دراسته أن 62٪ من الأحداث الذين حرموا أحد الأبوين كانوا ينتمون إلى أسر مفككة أو من أسر كبيرة العدد. وقد لوحظ أن الأحداث يتأثرون بالبيئة التي يعيشون فيها. وأن الأولاد الذكور لديهم سلوك عدواني أكثر من الإناث، أما

انحراف الإناث فهو يعتبر قليلاً، وهو غالباً ما يتجه نحو الجرائم الجنسية وكذلك الهروب أو التشرد؛ غير أنه لوحظ أن انحراف البنات أصبح في زيادة مستمرة متمشياً مع زيادة التطور أو التحضر، وخاصة بعد تحرير المرأة وانخراطها في سوق العمل، ومغادرتها المنزل أو مكان الإقامة الأصلي بحثاً عن العمل أو الدراسة (حجازي 1975 م). ومن العوامل الأسرية التي تساهم في جنوح الأحداث غياب الأب عن البيت فترة طويلة بحثاً عن العمل أو لأداء الخدمة العسكرية، حيث إن مثل هذه الظروف تشجع الأحداث على التسيب وتشجعهم على التشرد والانحراف (Horton and Leslie 1978 م). وأظهرت بعض الدراسات الأخرى أن غياب أحد الوالدين عن البيت ليس السبب الرئيسي في انحراف الأحداث، ولكن نوع العلاقة التي توجد بين الأطفال وأحد الأبوين الموجودين معهم يعتبر السبب الرئيسي وراء ذلك. وهذا يعني أن وجود أحد الأبوين مع الأولاد إذا كان يحمل العلاقات الدافئة والتنشئة الاجتماعية الحسنة والتربية السليمة يعتبر أفضل بكثير من نشأة الطفل مع أبوين يعيشان في صراع دائم ومشاكل عويصة (Haskell and Yablonsky 1978) وقد أظهرت بعض الدراسات في (سوريا «علي 1987»، ولبنان «حجازي 1975م»، ومصر «عيسوي 1984 م»، والكويت «الرفاعي 1974 م) أن جنوح الأحداث يكون عادة بسبب تفكك الأسرة وكبر حجمها، وغياب التنشئة الاجتماعية الجيدة، وانخفاض المستوى التعليمي لآباء المنحرفين، وتدني الحالة الاقتصادية لأسرة الحدث والإقامة في الأحياء الفقيرة. وفي الجماهيرية أوضح (التير 1986 م) في دراسة أجريت عن ظاهرة العنف في بلدية طرابلس أن غالبية المنحرفين من الأحداث يسكنون في الأحياء القديمة والمناطق ذات الكثافة السكانية العالية. كما لوحظ أن آباءهم تغلب عليهم الأمية، ويعتبرون من ذوي الدخل المحدود. وقد أوضح (عبد الله 1985 م) في دراسة له عن جنوح الأحداث في الجماهيرية أن غالبية الأحداث الجانحين ينتمون إلى أسر كبيرة الحجم ومنخفضة الدخل، كما يزداد الانحراف لدى أبناء الأسر التي تنقصها الرقابة الأسرية على أطفالها، بسبب انشغال الوالدين بالعمل، أو التغيب عن البيت بسبب الوفاة أو الانفصال أو الإهمال لأفراد الأسرة.

أما بالنسبة لأنواع الجرائم والجنح التي كان يرتكبها الأحداث، فقد أظهرت معظم الدراسات السابقة أن جريمة السرقة تأتي في المرتبة الأولى ثم يأتي بعد ذلك المشاجرة والإيذاء، ثم الجرائم الجنسية، ثم يأتي بعد ذلك بقية الجرائم الأخرى مثل التشرد والمخدرات والتخريب والقتل والتزييف وغيرها من بقية الجرائم الأخرى المعروفة («علي 1987 م» «عيسوي 1987 م» و «التير 1986 م).

تأثير حجم الأسرة على انحراف الأحداث:

بينت بعض الدراسات وجود علاقات معنوية بين حَجم الأسرة وانحراف الأحداث. فقد أظهرت دراسات (Gluck 1950 م) أن انحراف الأحداث يوجد عادة بين الأسر الأكبر حجماً حيث إن الأبوين لا يستطيعان السيطرة على جميع أطفالهم والاهتمام بهم ومراقبتهم إذا كان عددهم كبيراً. كما أن أكبر نسبة من الأحداث المنحرفين كانوا ينحدرون من الأسر الكبيرة الحجم؛ نظراً لعدم قدرة هذه الأسر على ضبط أطفالهم أو توفير الاحتياجات الضرورية لهم. ولعل السبب الحقيقي وراء هذا الانحراف أو الجنوح ليس كبر حجم الأسرة في حد ذاته،ولكن وجود متغيرات أخرى ترتبط بكبر حجم الأسرة مثل الفقر والحالة الاقتصادية السيئة، وعدم القدرة على توفير الأساسيات للحياة المعيشية، والأمية والإقامة في الأحياء الفقيرة والمساكن الضيقة. كل هذه العوامل مجتمعة تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر على أسرة الحدث، وبالتالي تساعد على انحراف الأحداث في كثير من الحالات. كما بينت أيضاً بعض الدراسات الأخرى التي أجريت في الولايات المتحدة والسويد إن معظم الأحداث المنحرفين ينتمون إلى الأسر الكبيرة التي يزيد عدد أفرادها عن سبعة أشخاص، كما يساعد أيضاً على زيادة انحراف الأحداث المساكن الضيقة التي تقيم فيها الأسر الكبيرة الحجم (علي 1987م، Haskell &Yablonsly 1978).

ترتيب مكانة الحدث في الأسرة:

تعتبر بعض الدراسات ترتيب مكانة الحدث في الأسرة بين إخوته لها تأثير

قوي على شخصية الحدث وإمكانية ميله إلى الانحراف. فقد وجد (Gordon 1962 م) أن غالبية الأطفال المنحرفين تقع غالباً في الأطفال الذين يقعون في الوسط من حيث الترتيب، حيث إن الطفل الأول يحظى عادة بعناية ورعاية خاصة من أبويه، وبالتالي لا يكون ميالاً للانحراف أو السرقة أو الاعتداء على الآخرين. وكذلك الحال بالنسبة للطفل الأصغر سناً في الأسرة، أما الأطفال الذين يأتي ترتيبهم في الوسط بين إخوتهم فإنهم يهملون في كثير من الأحيان، مما يضطرهم إلى ارتكاب بعض أشكال الانحراف والجنوح. وقد بين (Gluck 1950 م) في بعض دراساته أن حوالى 60٪ من الأحداث المنحرفين كانوا يعتبرون أطفالاً وسطاً من حيث الترتيب في أسرهم، وهذا يعني أن إهمال الآباء بعض أبنائهم الذين يقعون في الوسط يشجعهم في الانخراط في الجنوح والانحراف، وهذا مما يعزز دور الأسرة في مراقبة جميع أطفالها ورعايتهم دون تحيز أو تقصير.

الدراسة الميدانية:

حتى نتعرف على الحجم الحقيقي لمشكلة الأحداث في بلدية الجبل الأخضر، تم الاتصال بالنيابة العامة بالبيضاء وذلك لمعرفة عدد الأحداث المنحرفين الذين تم ضبطهم، وأحيلوا إلى النيابة العامة عن طريق مراكز الأمن الشعبي بالمنطقة، وكذلك للتعرف على أنواع هذا الجنوح وأوصاف الجانحين والأحكام المتخذة ضدهم. وعلى الرغم من مشاكل التوثيق العلمي وصعوبة الحصول على الإحصائيات الدقيقة، التي تعاني منها النيابة العامة كغيرها من بقية الأجهزة الشعبية الأخرى في المجتمع الليبي، فإن تعاون الإخوة المسؤولين بالنيابة العامة قد سهل علينا هذه المهمة. وقد تم اختيار الأحداث المنحرفين في فترتين زمنيتين هما عاما 83/1988م، حيث تمت المقارنة بين هاتين الفترتين بين الأحداث المنحرفين الذين تم ضبطهم، من حيث نوع التهم الموجهة إليهم وعدد الجانحين في كل تهمة. وقد تبين من هذه الإحصائية الزيادة البسيطة في عدد الأحداث في الفترة الأخيرة، كما لوحظ أيضاً زيادة نسبة جرائم السرقة والإتلاف في الفترة الأخيرة، وكانت هذه النسبة تمثل حوالى 29٪ عام 1983 م فأصبحت تمثل

حوالي 61٪ من الأحداث المنحرفين عام 1988 م، بينما لوحظ انخفاض نسبة الإيذاء والمشاجرة حيث انخفضت هذه النسبة من 45٪ عام 1983 م فأصبحت تمثل 18٪ من مجموع الجرائم عام 1988 م، كما انخفضت أيضاً بقية الجرائم الأخرى كالجرائم الجنسية والتشرد ولكن بنسبة بسيطة، وذلك كما هو موضح بالجدول رقم «1».

جدول رقم «1»
عدد الأحداث المنحرفين ونوع التهم الموجهة إليهم وذلك في عامي 1983/1988 م بالفرع البلدي البيضاء

نوع التهمة	1983 م	النسبة ٪	1988 م	النسبة ٪
سرقة وإتلاف	36	29	87	61
إيذاء ومشاجرة	86	45	26	18
جرائم جنسية	19	15	16	11
تشرد وخمر وحرائق	14	11	14	10
المجموع	125	100	143	100

أما عن الأحكام التي تم اتخاذها ضد هؤلاء الأحداث الجانحين، فقد كانت تتراوح بين الحبس والغرامة(*) أو عدم الحكم بسبب عدم كفاية الأدلة، وحفظ القضية بسبب صغر السن أو التنازل عن القضية، أو الحكم بالبراءة وذلك كما هو مبين بالجدول رقم «2». وقد تبين من هذه الدراسة أن الحكم بالسجن أو

(*) العقوبات المتبعة في العادة لمعاقبة الأحداث الجانحين كانت تتمثل في الجلد بالنسبة لشاربي الخمر وحائزيه، ثم الغرامة والسجن لحائزي المخدرات والحبس للمتهمين بالسرقة والإيذاء والمشاجرة، والحكم بالزواج لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات بالنسبة لقضايا المواقعة والدعارة والاغتصاب.

الغرامة قد زاد من 26٪ عام 1983 م فأصبح يمثل 41٪ عام 1988 م. بينما نقص الحكم بالتنازل أو حفظ القضية من 46٪ عام 1983 م فأصبح 22٪ عام 1988 م. ولعل هذه الصرامة في أحكام النيابة العامة في الفترة الأخيرة بزيادة نسبة الحبس والغرامة تعكس الزيادة في نسبة السرقات والتخريب والإتلاف التي تحكم عادة بالحبس أو الغرامة. أما عمليات الإيذاء والمشاجرة والقضايا الجنسية فهي تنتهي عادة بالتنازل والمصالحة بين الطرفين. هذا ومن خلال الاطلاع على سجلات الأمن الشعبي وملفات النيابة العامة اتضح ارتفاع نسبة الجرائم والجنح والمخالفات المرتكبة ضد مجهولين. فقد بلغت هذه الجرائم في الفرع البلدي بالبيضاء حوالى 24٪ من الجرائم المبلغ عنها عام 1983م، بينما ارتفعت هذه النسبة لتصل إلى حوالى 32٪ عام 1988م، وهي تعتبر نسبة عالية، كما أنها تعكس عدم قدرة رجال الأمن الشعبي على القبض على المجرمين والأحداث المنحرفين؛ بسبب عدم توفر الإمكانيات اللازمة، أو الصلاحيات الممنوحة،أو الحماية المطلوبة لأفراد الأمن الشعبي.

جدول رقم (2)

أنواع العقوبات وعدد المحكومين من الأحداث

المنحرفين بالفرع البلدي البيضاء لعامي 83/1988 م

نوع الحكم أو العقوبة	1983 م	النسبة ٪	1988 م	النسبة ٪
الحبس أو الغرامة	33	26	59	41
التنازل أو الحفظ	57	46	32	22
عدم الحكم في القضية	26	21	38	27
الحكم بالبراءة	09	07	14	10
المجموع	125	100	143	100

تحليل الدراسة الميدانية:

لكي نتمكن من التعرف على ظروف هؤلاء الأحداث الجانحين، وخاصة معرفة ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والسكنية والأسرية، ومكان إقامتهم ونوع التهم الموجهة إليهم، قمنا باختيار عينة عشوائية من الأحداث المحالين إلى قسم الرعاية الاجتماعية لإجراء الدراسة الاجتماعية المطلوبة. وبعد تحليل هذه الدراسة وتفريغها، ووضعها في جداول إحصائية، وتحويلها إلى نسبة مئوية (انظر جدول 3) تبين من تحليل هذه الدراسة ما يأتي:-

1 - أن نسبة جرائم السرقة والاختلاس كانت تمثل أكثر من نصف العينة حيث بلغت نسبة المتهمين بالسرقة حوالى 56٪ من العينة، تليها نسبة المتهمين بالمشاجرة والإيذاء وكانت نسبتهم 22٪، ثم تأتي بعد ذلك الجرائم الجنسية والتشرد والخمر والهروب.

2 - كان الذكور يمثلون حوالى 84٪ والإناث 16٪ من مجموع العينة، وقد لوحظ أن جرائم السرقة كانت مقتصرة على الذكور فقط، غير أن الإناث قد ساهمن بنسبة 50٪ في جرائم المواقعة، وبنسبة 40٪ في جرائم التشرد والهروب، وبنسبة 18٪ في المشاجرة والإيذاء.

3 - كان معظم الأحداث ينتمون إلى المناطق الحضرية، حيث كان المنحرفون من المناطق الحضرية يمثلون 86٪ من مجموع العينة، كما اتضح أيضاً أن التشرد والهروب وتعاطي المخدرات والمسكرات كانت مقتصرة على المنحرفين من المناطق الحضرية.

4 - ساهم الأحداث المنحرفون من المناطق الريفية بنسبة 33٪ في المواقعة، وبنسبة 18٪ في المشاجرة، وبنسبة 11٪ في السرقات بأنواعها.

5 - أما بخصوص الحالة السكنية لأسر الأحداث المنحرفين، فقد تبين في الدراسة أن 68٪ من العينة يقيمون في أحياء شعبية أو أحياء فقيرة، وأن 32٪ يقيمون في مساكن عصرية حديثة. كما لوحظ أن جميع المتهمين بالتشرد يقيمون

في أحياء شعبية، وأن أكثر من ثلثي المتهمين بالمواقعة يعيشون في نفس المنطقة.

جدول رقم «3»
انحراف الأحداث ببلدية الجبل الأخضر حسب
صفات الأحداث ونوع الانحراف 1988 م

صفات الأحداث	السرقة	المشاجرة	المواقعة	التشرد والخمر	المجموع
عدد أفراد العينة	28	11	6	5	50
النسبة المئوية	56	22	12	10	100
نسبة الذكور	100	82	50	60	84
نسبة الإناث	—	18	50	40	16
متوسط حجم الأسرة	9,3	8,7	9,2	7,7	9
تفكك الأسرة ٪	18	18	17	60	30
نسبة الآباء الأميين	64	54	50	20	62
أحداث لهم عاهات ٪	11	09	17	—	12
نسبة الأحداث المنتظمين في الدراسة	86	91	83	80	84
نسبة من لهم سوابق	14	—	17	40	12
نسبة من ليس لهم سوابق	86	100	83	60	88
متوسط سنوات التعليم	7	6,7	6,9	6,4	6,8
نسبة من لهم مسكن حضري	89	82	67	100	86
نسبة من لهم مسكن ريفي	11	18	33	—	14
نسبة من لهم حي شعبي	64	36	67	100	68
نسبة من يقيم في حي متوسط	36	64	33	—	32
متوسط الدخل الشهري للأسرة	188	176	173	156	180

6 ـ كان متوسط حجم الأسرة يبلغ حوالى 9أشخاص،وهذا يعتبر حجماً كبيراً إذا قورن بمتوسط حجم الأسرة الليبية المعروفة. وكانت أكبر الأسر حجماً توجد عند المتهمين بالسرقة والاختلاس.

7 ـ لوحظ أن هناك 30٪ من العينة ينتمون إلى أسر مفككة بسبب وفاة أحد الأبوين أو انفصالهما، وكانت أكبر نسبة من الأحداث الذين ينتمون لأسر مفككة يعتبرون متهمين بالتشرد وحيازةالمخدرات،حيث بلغت هذه النسبة 60٪ من هذهالفئة،كما كانت نسبة الآباء الأميين تصل إلى 62٪ من العينة.

8 ـ كان متوسط عمر الحدث 15,8 سنة، أما مهنهم فكانت نسبة 84٪ منهم طلاباً والباقي منقطعون عن الدارسة. كما لوحظ أن حوالى 12٪ من العينة لديهم بعض العاهات مثل الشلل أو المرض الجسدي أو التخلف العقلي.

9 ـ أما بخصوص مهنة الأب فكان30٪ موظفين، 24٪ منتجين و 16٪ شرطة أو جنود و 10٪ متوفين و 20٪ لديهم مهن أخرى مختلفة.

10 ـ أما بشأن ترتيب الحدث في الأسرة فقد أظهرت الدراسة أن الغالبية العظمى من الأحداث يأتون في الوسط من حيث ترتيب أعمار الإخوة، حيث تبين من الدراسة أن 34٪ من العينة يعتبرون في الترتيب الثاني و 54٪ يعتبرون في الترتيب الثالث أو ما بعده. أما الأحداث الذين يوجدون في الترتيب الأول أو الأخير فهم لا يمثلون إلا نسبةبسيطة،وذلك كما هو موضح في الجدول رقم 4.

11 ـ كان متوسط الدخل الشهري لأسر الجانحين يبلغ 180 ديناراً شهرياً، وكان المتهمون بالتشرد يتحصلون على أقل دخل، ثم يأتي بعدهم في الأفضلية المتهمون بالمواقعة ثم المتهمون بالمشاجرة ثم السرقة على الترتيب. وهذا يعني أن دخل الأسرة أو الجانب المادي ليس الدافع الأساسي وراء جنوح بعض الأحداث كما تبين من هذه العينة.

جدول رقم «4»
ترتيب عمر الحدث المنحرف في الأسرة كما تبين
من عينة الدراسة 1988 م

ترتيب عمر الحدث	عدد الأحداث	النسبة ٪
الأول	04	08
الثـــانـــي	17	34
الثالث فأكثر	27	54
الأخيـــــر	02	04
المجمـــــوع	50	100

من هذه الدراسة الميدانية يمكن الاستنتاج بأن جريمة السرقة والاختلاس كانت تعتبر أكثر الجرائم انتشاراً عند جنوح الأحداث في هذه المنطقة، وكانت أنواع السرقات هي سرقة البيوت والمحلات والسيارات والأغنام والدواجن، وكان جميع المتهمين بالسرقة من الذكور، كما لوحظ أن أغلبهم من سكان المدن وينتمون إلى أسر كبيرة الحجم وأغلب آبائهم من الأميين، ويسكنون الأحياء الفقيرة ويقيمون في مساكن ضيقة وغير صحية، ويعيشون في بيئة اجتماعية يغلب عليها الانحراف والمشاكل الاجتماعية.

أما بالنسبة لجريمة المشاجرة والإيذاء فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد السرقة. وكانت أنواع المشاجرة تتمثل في الشرب والإيذاء والاعتداء والشروع في القتل، كما لوحظ أن أغلب مرتكبي هذه الجرائم من سكان المدن، وأن جميع المتهمين بهذه الجنح ليس لهم سوابق، ولوحظ أن أغلبهم يقيمون في أحياء سكنية متوسطة وليست شعبية.

أما جرائم المواقعة فهي تأتي في المرتبة الثالثة وتمثل الإناث حوالى نصف العينة،وهي تشمل المواقعة بالرضى والاغتصاب والخطف واللواط، وينتمي حوالى ثلثي هذه الحالات إلى المناطق الحضرية وخاصة الأحياء الشعبية. وقد تبين من الدراسة أن معظم حالات المواقعة تحدث لعدم رعاية الأهل ورقابة الأسرة لأبنائها،وعدم سيطرة أولياء الأمور على أولادهم أو بناتهم؛ كما لوحظ أن بعض الحالات بسبب التشرد وعدم وجود الأحداث مع ذويهم ومصاحبة رفقاء السوء. كما لوحظ أن بعض حالات المواقعة تحدث بين الجيران والأقارب والمعارف،وتكون في معظم الأحياء تحت تأثير الخمور أو تعاطي المخدرات، الأمر الذي يعتبر في منتهى الانحراف والتهور من الأحداث، ومنتهى الإهمال والتسيب وعدم المبالاة من أولياء الأمور.

أما بخصوص حالات التشرد وهي التي تأتي في المرتبة الأخيرة، فكانت تتمثل في الهروب من المنزل والمروق من الأسرة، ومصاحبة رفقاء السوء من المنحرفين،وعدم سيطرة أولياء الأمور على أبنائهم،وهذا يؤدي إلى ارتكاب بعض الجرائم الأخرى مثل السرقة والمشاجرة وارتكاب الجرائم الجنسية المختلفة. وقد تبين من هذه الدراسة أن جميع المتهمين بالتشرد والهروب يقيمون في المدن وخاصة في الأحياء الشعبية الفقيرة، كما لوحظ ارتفاع نسبة الإناث بين هذه الحالات. كما تبين أن غالبية هذه الفئة من المنحرفين ينتمون إلى أسر مفككة، أو إلى أسر اشتهرت بالانحراف، ويقيمون في مناطق مليئة بالأمراض الاجتماعية والأخلاقية ولا توجد فيها التنشئة الاجتماعية السليمة.

التوصيات والاقتراحات:

تؤكد مبادىء الأمم المتحدة بشأن الأسرة والطفولة الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية والصحية للأطفال في بيئة أسرية سليمة، وتؤكد أنه من مسؤوليات الدولة الاهتمام بالأسرة؛ وذلك من خلال تأمين احتياجاتها ورفاهيتها والمحافظة على وحدتها وتماسكها. فالأسرة هي الوحدة الأساسية المسؤولة عن عملية التنشئة الاجتماعية السليمة من ناحية التعليم والتدريب والتأهيل حتى يتحمل الأطفال مسؤوليات الحياة في المستقبل. فالاهتمام بالأسرة وتعزيز دورها

التربوي والاجتماعي يعتبران حجر الزاوية في السياسة الوقائية لانحراف الأحداث في أي مجتمع. وحتى تستطيع الأسرة أن تنجح في الحد من ظاهرة انحراف الأحداث نقترح ما يأتي:

1 ـ يجب أن تهتم الدولة بالأسرة اهتماماً بالغاً، وتوفر لها فرص الحياة الكريمة،وتمكنها من الحصول على المسكن الصحي المناسب وفرص العمل الشريف،مع ضرورة الاهتمام ببرامج خدمات الطفولة والشباب من نواحي التعليم والتدريب والتأهيل في المجالات المختلفة.

2 ـ يجب على الأسرة محاولة إشباع الحاجات البيولوجية والنفسية والاجتماعية للأطفال بالطرق السليمة، وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية السليمة وإعدادهم للحياة بطريقة صحيحة.

3 ـ تعريف الآباء والأمهات بدورهم الحقيقي بتربية أبنائهم والاهتمام بهم، حيث إن الاستثمار البشري والاهتمام بالأطفال ـ جيل المستقبل ـ لا يقل أهمية عن الاستثمار المادي الذي يتكالب عليه معظم الآباء والأمهات ويتركون أبناءهم بدون رعاية أو اهتمام.

4 ـ محاولة شغل وقت فراغ الحدث بعمل مفيد ومسلٍ وغير ممل، وذلك بأن يعهد إليهم ببعض الأعمال والمسؤوليات في حدود جهودهم وقدراتهم، وتعويدهم على الاعتماد على أنفسهم وتحمل جزء من مسؤولية الأسرة.

5 ـ لا يجوز للآباء أن يظهروا أمام أبنائهم بمظهر الإهمال والضعف والتسيب، أو بمظهر والعنف والاستبداد. كما يجب أن يلتزم الآباء والأمهات بالأخلاق الحميدة والصدق في الحديث والبعد عن المنكرات والمحرمات لأن الآباء هم قدوة أبنائهم.

6 ـ ضرورة وجود برنامج متكامل بين الأسرة والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية في الدولة، وكذلك بقية الأجهزة الشعبية والأمنية والإعلامية والقضائية للتعاون معها لمساعدة الأحداث والاهتمام بالبرامج الوقائية والعلاجية المناسبة لكل مشكلة.

الخاتمـــة :

لقد تبين من هذه الدراسة أن للأسرة دوراً كبيراً في ظهور انحراف الأحداث أو الحد منه. فالأسرة هي المسؤول الأول عن التنشئة الاجتماعية لأطفالها وعن تربيتهم التربية الصحيحة، وقد أوضحت هذه الدراسة وغيرها من الدراسات الأخرى أن معظم الأحداث المنحرفين ينتمون إلى أسر كبيرة الحجم، ويقيمون في أحياء فقيرة ذات مساكن ضيقة أو في أحياء شعبية، وأن أغلب آبائهم من الأميين، حيث إن الغالبية العظمى من الأسر التي تتصف بهذه الصفات ينقصها الوعي الاجتماعي والمقدرة الاقتصادية على تنشئة أولادها وتربيتهم بطريقة جيدة. كما لوحظ أيضاً أن بعض هؤلاء الأحداث المنحرفين ينتمون إلى أسر تتسم بالتفكك ويشتهرون بالانحلال والانحراف، ويعيشون في مناطق مليئة بالأمراض الاجتماعية والأخلاقية المختلفة، كما لوحظ أن معظم حالات الانحراف كانت تحدث بسبب عدم اهتمام الآباء بأبنائهم أو عدم سيطرتهم عليهم بسبب مصاحبة رفقاء السوء، أو الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية التي تعيشها أسر هؤلاء الأحداث المنحرفين؛ ولذلك يمكن القول أنه على الرغم من أن ظاهرة انحراف الأحداث تعتبر نتيجة لكثير من العوامل والمتغيرات المتشابكة، مثل النواحي البيولوجية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فإن أهمية دور الأسرة ومسؤوليتها عن التنشئة الاجتماعية الجيدة لا يستطيع أحد إنكارها في هذا المجال.

المراجع

المراجع العربية

1 ـ حجازي، ومصطفى، الأحداث الجانحون، دراسة ميدانية نفسية اجتماعية بيروت/ دار الطليعة 1975 م.

2 ـ عبد الله، عبد السلام، ملامح ظاهرة انحراف الأحداث. رسالة ماجستير، جامعة الفاتح طرابلس 1985 م.

3 ـ عيسوي، عبد الرحمن، سيكولوجية الجنوح. بيروت دار النهضة العربية، 1986 م.

4 ـ علي، بدر، مشكلة جنوح الأحداث، مجلة الوحدة، السنة الرابعة، العدد 39 ديسمبر 1987 م المجلس القومي للثقافة العربية ـ الرباط ـ المغرب.

5 ـ التير، مصطفى، الشباب والمدينة والعنف ـ ورقة مقدمة إلى مؤتمر القضايا المعاصرة للشباب المسلم، مالطا سبتمبر 1986 م.

6 ـ الرفاعي ، علي/ دراسة خاصة عن عوامل جنوح الأحداث في الكويت/ بغداد منشورات المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعي/ 1974 م.

المراجع الأجنبية

1 - Gluck, Sheldon. Unravelling Juvenile Delinquency N.Y. Commonwealth Fund. 1950.

2 - Gordon, I Human Development. N.Y. Harper and Raw, 1962.

3 - Haskell M. and L. Yablonsky - Jovenile Delinquency, Rand Mc. Nally College Pub. Cop. Chicago, 1978.

4 - Koller, K. « Parental Deprivation. Family Background and Female Delinquency. British Journal of Psychiatry 118 (March) 1971, 319 - 27.

5 - Horton P. and G. Leslie.The Sociology of Problem.Prentice - Hall, Inc. Englewood. Cliffs. N. Jersey 1978.